



جامعة أم القرى

كلية دار العلوم

قسم النحو والصرف والعروض

التناسق بين أي القرآن الكريم وأثره النحوي والدلالي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

عبد الله بن مصطفى بن محمد الشنقيطي

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد حماسة عبداللطيف

أستاذ النحو والصرف والعروض

٢٠١٢م

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي تكفل بحفظ كتابه، وعلمنا لغة القرآن لتدبر معانيه ووجوه إعرابه، وأوقفنا على محكم آية وفصل خطابه.

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله وسلم على النبي الأكرم وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن من أجلّ العلوم علوم العربية، إذ هي المرقاة إلى فهم كتاب الله الكريم، والوسيلة الأنجع لدعوة الناس إلى شرعه الحكيم، ودلالاتهم على خالقهم وسيرهم في طريقه القويم.

ومن المعلوم أن علوم العربية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني، بل إن أحد أهم أسباب نشأة هذه العلوم هو المحافظة على أسباب فهم كتاب الله قائمة.

«وقد ظهر ذلك جلياً في حفاوة علماء العربية الأوائل بالنص القرآني إعراباً لتراكيبه، وتفسيراً لمعانيه، واستشهاداً بنصوصه، وإظهاراً لأوجه إعجازه، وعناية بقراءاته وتوجيهها النحوي، وتجويداً لقراءته، واتصالاً لسند القراءة والإقراء إلى يومنا هذا. وقد ألفوا التصانيف الكثيرة التي تطوف جميعها حول كعبة النص المقدس، ولكن جهود أسلافنا ودراساتهم انحصرت في حدود الجملة المفردة فيما برزت الدراسات النصية الحديثة التي تتمتع بنظرة شمولية إلى النص اللغوي، محاولة إبراز أوجه تماسكه واتساقه، وإظهار أبعاده الدلالية في إطار نظرة كلية متوازنة دون إهمال لنحو الجملة، إذ نحو الجملة يقوم بدوره من خلال الحفاظ على المعنى الجملي الذي هو أساس المعنى النصي، ولهذا فلكل منهما حدوده وأدواته، وليس لأحدهما أن يقوم بإلغاء الآخر، فهما فرعان لعلم واحد»^(١)، وبالجملة يمكن القول أن الدرس النصي

(١) د. أحمد عفيفي نحو النص، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص ١٣٣.

يمثل دعوة لدراسة «الثابت والمتغير معاً، والثابت هو النظام النحوي، والمتغير هو نصوص اللغة بتراكيبها وجملها، وهو التعبير المكتوب أو المنطوق»^(١).

وفد وضع المحدثون مجموعة من المعايير إذا توافرت في حدث لغوي فإنه يُعد نصاً محققاً للغاية التواصلية بين أفراد الجماعة اللغوية، وهذه المعايير هي (السبك، والحبك، والقصدية، والإعلامية، والمقبولية، والتناص، والمقامية)، ويتعلق المعياران الأوليان بالبنية التركيبية للنص، أما المعايير الخمسة الأخرى فهي تشكل عالم النص، ووجوه تأثيره وتأثره.

وكل هذه المعايير السابقة تعمل متضافرة من أجل تفسير النص، والفصل بينها هو في الحقيقة فصل تنظيري، أما عند التطبيق فيستحيل الفصل بينها، وكل واحد منها يصح اختياره مدخلاً للتحليل النصي، إذ إنه سوف يستدعي تلقائياً النظر في المعايير الأخرى.

نشأة فكرة البحث:

كنت قد عقدت العزم على أن يكون بحث الدكتوراه في حقل الدرس النصي، بعد اطلاعي على عدد من أهم الأبحاث فيه. وكان أن وجدت أن المعايير النصية العامة، وحتى بعض المعايير الفرعية قد حظيت بدراسات عديدة، فتعددت الرسائل العلمية والبحوث التي درست السبك والحبك - كل منهما على حدة، أو مجتمعين تحت مصطلح (التماسك النصي)، كما درست معايير المقامية (سياق الموقف)، والمقبولية، والقصدية، والإعلامية كذلك. وبقي معيار (التناص) لم يحظ بأي دراسة إن على مستوى التنظير أو التطبيق مع أنه يعد من أكثر المعايير تعبيراً عن النصية.

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، ص ٢٣.

حتى إن الرسائل والدراسات التي أشارت إليه ضمن تطبيقها لجملة المعايير النصية، أو لبعض منها، كانت إشارات عامة جمعت جملة من التعريفات الغربية، مع إشارات خافتة لنشأة المصطلح، وعلاقته ب(السرقات) -مع خلط كبير في ذلك، فقد عدّ معظم الدارسين كلما جاء تحت باب السرقات تناصاً وليس الأمر كذلك كما هو مبين في الفصل التمهيدي من هذا البحث تحت عنوان: (براءة التناص من التلاص).

فالتقت هذه الحاجة العلمية لمعالجة هذا المصطلح مع رغبة سابقة لدي في دراسة العلاقات القرآنية وأثرها في تفسير القرآن بالقرآن. ولدى قراءتي لكتاب أستاذنا الكبير د. تمام حسان (البيان في روائع القرآن)، استوقفني مبحث بعنوان: (القرآن يفسر بعضه بعضاً)^(١) فوجدته يقرر أن هذه الظاهرة تعرضت لها الدراسات النصية الحديثة تحت مصطلح التناص، وقرر وجود التناص في القرآن.

ثم انطلق يمثل لهذه الفكرة بجملة من المواضيع في القرآن، وعرض لقضايا تفسيرية شائكة طالما أثارت الكثير من الخلاف بين المفسرين حولها، وقدم لها تفسيرياً معتبراً منطلقاً من البعد التناسي.

فما كان مني إلا أن عرضت الفكرة على أستاذي الجليل أ. د. محمد حماسة فاستقبلني بقدر كبير من التفهم -لم أجده عند غيره^(٢)- والانفتاح الفكري على دراسة الجدير، وخوض غمار الجديد، مع قدر من الريث والأناة اللذين يلازمان أمثاله من العلماء، لفحص الفكرة، ومدى صلاحيتها للتطبيق على النص القرآني؛ مما استفز

(١) البيان في روائع القرآن ٢ / ٣٢٣.

(٢) ليس هذا ضرباً من المجاملة لأستاذي، فندر أن ذكرت العنوان (التناص بين أي القرآن) لأحد إلا قوبلت بموجة رفض عارمة، وإغلاقاً لباب النقاش، بإدعاء تنزيه القرآن عن مصطلح سيء السمعة يوازي في اذهان البعض (التناص) وهو (السرقات). بينما وجدت من أستاذي ريثاً واستماعاً للفكرة وأمثلتها، والفرق بين التناص والسرقات، وأن التناص أداة تفسير، ومُظهِر لأنواع من إعجاز القرآن. وما هو إلا أن قرأ بعض الأفكار والأمثلة حتى انشرح صدره للفكرة، وشجعني على إتمامها.

لديّ مشاعر التحدي العلمي لإثبات جدارة الفكرة للدراسة. وانطلقت بعدها، أقوم وأتعثر، حتى وجدت أن ظاهرة التناص من ظواهر اللسان الإنساني.

وما قام به الباحثون الغربيون لم يكن سوى الكشف عن بعض تفاصيلها، ومحاولة وصفها، وسك بعض مصطلحاتها، وبالتالي فهي لم تكن صناعة غريبة.

وهي موجودة بل كثيرة في النص القرآني، وبصور فريدة من صور التناص تصل تخوم الإعجاز بما يتناسب مع أفضلية الكلام الرباني.

ومصطلح التناص المراد في هذه الدراسة هو تناص نص قرآني مع نص قرآني آخر، ووجود تعالق دلالي أو لفظي بينهما. وقد وُجِدَت عناية بهذا النوع من التعالق عند بعض أسلافنا من المفسرين فيما عرف بتفسير القرآن بالقرآن، كما وجد في بعض أبواب علوم القرآن (نحو المتشابه اللفظي- والمناسبات- ووجوه القرآن وغيرها). وإن كانت دراستي لمعيار التناص توضح بعض أوجه هذا النوع من التفسير، إلا أنها تذهب أيضاً إلى إظهار مدى تقاطع التناص كمعيار من معايير الدراسة النصية مع عدد من المعايير الأخرى، وتأثيره فيها، وتأثره بها؛ إذ التناص يساعد على فهم النص في صورته الكلية حيث «إن مجموعة النصوص التي يُذكرنا بها هذا النص تنطوي على مجموعة من الإشارات، والشفرات التي تُسهّم في حل شفرات أخرى، وتفسير إشارات يصعب فهمها بمعزل عن النصوص الأخرى»^(١).

والباحث إذ يلج إلى هذه الدراسة يسأل الله العون في أن تكون إسهاماً في خدمة كتاب الله وامتداداً للجهود السالفة في إظهار وجوه إعجازه، ومحاولة للمشاركة في بلورة نظرية عربية في علم النص من خلال مراكمة الدراسات لمفردات النظرية القائمة، وتطبيقاتها، «ذلك أن النظرية الحقيقية وليدة عمل كثير متكرر من خلال النصوص، ولذلك فنحن بحاجة إلى جهد كبير... حتى تستوي هذه النظرية

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، لونجمان، ص ١٤٥.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

- ١- انطلاق هذه الدراسة من اتجاه جديد في التحليل اللغوي، حيث إن الاتجاه النصي بدأ يبرز بوصفه منهجًا تحليليًا معاصرًا، وقد أخذت الحاجة تشتد إليه؛ ومن هنا بدأت الجامعات العربية في الاهتمام به، والتوصية بضرورة القيام بالعديد من الدراسات النظرية والتطبيقية حوله، وإخضاع النصوص المختلفة للتطبيق النصي، وأجد النص القرآني أحقها بذلك وأكثرها إعطاءً للمصداقية، ولعل من أبرز ما ورد في هذا الإطار ما أوصى به المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، الذي عُقد في كلية دار العلوم بعنوان «العربية بين نحو الجملة ونحو النص» في فبراير ٢٠٠٥م؛ حيث أوصى هذا المؤتمر بضرورة الإفادة من معطيات علم النص في قراءة النصوص قراءة متكاملة، وتوجيه الدرس الحديث في ضوء هذه النظرية المتكاملة^(٢).
- ٢- عدم الوقوف على دراسة سابقة للتناص القرآني وأثره في تفسير النص القرآني قائمة على الاتجاه النصي في الدراسات الحديثة.
- ٣- بيان علاقة المعايير النصية بالتناص داخل النص القرآني.
- ٤- ما يتميز به النص القرآني من إحكام في النسيج التركيبي، وتفرد في النظام البنائي، وهو الأمر الذي يؤمل منه أن يكون قد أسهم في إثراء الدراسة، وخروجها بنتائج جيدة، تسهم في رفد الدرس العربي الحديث.
- ٥- أن هذا الموضوع يصل اللغة بالقرآن في إطار علاقة متجددة، ويجعل النص القرآني ميدانًا للدراسة؛ ومن هنا فإن جوانب التطبيق والتحليل والاستنتاج فيه هي الأبرز، وليس مقصورًا على التنظير.

(١) الإبداع الموازي للتحليل النظري للشعر، د. محمد هـ بد اللطيف ص ١٢.

(٢) ينظر: كتاب المؤتمر الثالث للعربية، توصيات المؤتمر، (الجزء الثاني)، ص ٩٨٨-٩٨٩.

٦- أنه من خلال الدراسة النصية يمكن تجسيد الوظيفة الحقيقية للنحو، وهي الوظيفة التي لا تقف عند بيان الخطأ والصواب، وإنما تتجاوز ذلك إلى عوالم الدلالة، وتفسير البنى، وتحليل التراكيب.

٧- أن هذه الدراسة تُعد تراثية وحديثة في آن واحد؛ فهي تقوم على تأصيل قضية التناص وعلاقتها بمعايير النصية من جانب، والنظر إليها كما قدمها درس اللساني الحديث من جانب آخر.

وتهدف هذه الدراسة إلى أهداف عديدة، منها:

١- محاولة الإفادة من معطيات درس اللساني النصي الحديث في مجال تحليل النص القرآني، للكشف عن أنماط التناص فيه من خلال ما جاء من آيات ومقاطع متناصة.

٢- رصد صور التناص القرآني، وملاحظة علاقتها بمعايير النصية فيه.

٣- تحديد طرائق العرض القرآني لهذه الوسائل.

٤- دراسة الأثر الدلالي المترتب على هذه العلاقة.

٥- تناول المعنى الكلي للنصوص المتناصة في القرآن، وتجاوز الدراسة الجزئية القائمة على نظام الجملة.

٦- الغوص في أعماق هذه النصوص القرآنية، وكشف مدى تألفها وتماسكها وانسجامها، وأثر ذلك في البناء الكلي للنصوص.

٧- محاولة رصد موقف المفسرين من هذه الظاهرة، وما ورد من إشارات في كتب علوم القرآن، والدراسات المعاصرة، وتوظيف ما ورد من ذلك فيما يخص الدراسة.

منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة في ضوء الاعتماد على الوصف والاستقراء والتحليل، من خلال رصد مظاهر التناسل وصوره في القرآن الكريم، مع الاستعانة بما ورد في كُتُب التفسير، وعلوم القرآن، وإعراب القرآن، وإعجازه، والدراسات النصية المعاصرة؛ على أن يكون الجانب التطبيقي التحليلي هو الأبرز والأغلب في الدراسة، وذلك بتقديم الإطار النظري لكل مظهر من هذه المظاهر - بإيجاز، ومن ثمَّ الشروع في تقديم النماذج، وتحليل النصوص القرآنية المتناسلة، وتطبيق المعايير النصية عليها وفق الإطار المحدد للدراسة والخطة المقترحة للبحث. وقد راعت الدراسة التطبيقية استحالة استقصاء النصوص فاعتمدت النمذجة منها لإيضاح الفكرة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقع في ثلاثة فصول، يسبقهما مقدمة وفصل تمهيدي، وتقفوهما الخاتمة، ثم الفهارس الفنية. تتحدث المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهداف الدراسة ومنهجها. فيما يقوم الفصل التمهيدي بشرح مختصر لظروف نشأة المصطلح، وأهم ملامحه ومضامينه، ودرجاته، وآلياته، وتجلياته في التراث، ووجوده في القرآن.

فيما تتوالى فصول البحث، كما يلي:

الفصل الأول: أنماط التناسل بين آي القرآن، وفيه مباحث:

- التناسل التطابقي.
- التناسل التشابهي.
- التناسل التكاملي.
- التناسل التقابلي.
- التناسل التفاعلي.

الفصل الثاني: علاقة التناص بالمعايير النصية في القرآن, وفيه مبحثان:

- علاقة التناص بالسبك في القرآن.

- علاقة التناص بالسياق.

الفصل الثالث: أثر التناص بين آي القرآن النحوي والدلالي, وفيه ثلاثة مباحث:

- رفع الإبهام.

- التناصب والعدول.

- ترجيح وجه إعرابي.

- تقدير المحذوف.

الدراسات السابقة:

لم يحظ البحث بدراسات ذات علاقة مباشرة بموضوعه يفيد منها الباحث, إذ الموضوع لم يُطْرَقَ قبل ذلك, إن على مستوى التناص كمعيار نصي, أم على مستوى التناص الداخلي في القرآن. ومعظم الدراسات ذات العلاقة تتقاطع مع هذه الدراسة في المادة المدروسة (مثل المتشابه اللفظي في القرآن) دون أي تقاطع منهجي ذي بال.

ومن أبرز هذه الدراسات:

- أحمد محمود أمين, الخواص التركيبية للآيات المتشابهة لفظا في القرآن الكريم, رسالة ماجستير, جامعة عين شمس.

وهذه الرسالة تختلف في موضوعها عن هذا البحث في أمرين, هما:

١- أن هذه الرسالة تصنف تحت نحو الجملة؛ حيث تناولت الخواص التركيبية في إطار الجملة الواحدة, بخلاف البحث المراد فهو يصنف تحت نحو النص؛ حيث يتناول أحد المعايير النصية, وتطبيقاته في القرآن,

وعلاقته بالمعايير الأخرى.

٢- أن مصطلح التناص - الذي هو أحد معايير النصية- أوسع وأعمق من مجرد التشابه اللفظي، الذي يُعدّ نمطا واحدا من أنماط خمسة للتناص في القرآن تناولها البحث، وهو (التناص التشابهي)^١.

- إبراهيم موسى، تجليات التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، دكتوراة، جامعة النجاح، ٢٠٠٥م.

- أحمد زنبير، المعارضة الشعرية عتبات التناص في القصيدة المغربية، دكتوراة، جامعة محمد الخامس، ٢٠٠٦.

- أحمد بَقَّار، التعاليات النصية: التناص والمناص، بحث ألقى في مؤتمر الألسنية النصية: واقع ورؤى، جامعة لندن، ٢٠٠٩م.

- أحمد عبدالمنعم فارس، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، ماجستير، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٥م.

(وكل هذه الرسائل والبحوث تتناول التناص في النص الشعري، فيما بحثي يتناول الأمر تطبيقا على النص القرآني، وإن كنت قد أفدت من الجميع في الجانب النظري، والمفهوم العام للتناص).

- المحمدي الإبراهيمي، التناص الأسلوبي مع القرآن الكريم عند الشعراء الأندلسيين، دكتوراة، جامعة الرباط، ٢٠٠٤م.

(وهي رسالة تتناول التناص الخارجي للنص القرآني وتأثيره في غيره، فيما دراستي عن التناص الداخلي بين أجزاء النص القرآني).

- عبد المنعم علي عثمان، التنويع الأسلوبي في صور التكرار القرآني، دكتوراة، دار العلوم، ٢٠٠٠م.

(١) انظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

(وهذه رسالة تركز في جانب التكرار الذي يعد نوعا من أنواع التناص التتابقي^(١) فقط).

هذا، وإن كانت الإشارة إلى صعوبات البحث ضربا من تقرير الواقع؛ فإنه لا يسعني إلا أن أحمد الله على ما يسر من جو علمي مشجع على البحث، وتحفيز ذهني متواصل من لدن مشرفي الفاضل، وتعاون أخوي من زملائي الكرام. وبعد ذلك ربما وسعني ذكر ثلاثة أصناف من التحدي واجهتني، هي:

١- أن الحقل النصي يشكل حقلًا علميًا جديدًا بالنسبة لي، بأفكاره، ورموزه، ومصطلحاته، إلا أنه كان جديدًا مُحبَّبًا إلا النفس لما فتح لي من آفاق واسعة للنظر العلمي، وحفزني على الاطلاع على كثير من الدراسات والاتجاهات الحديثة في الدرس اللغوي.

٢- أما الأمر الذي أخذ مني مأخذًا، فهو كون التناص مصطلحًا نشأ في حضان الشعر ثم الرواية ردحا من الزمن حتى أصطبغت عدد من مصطلحاته ومفاهيمه بصبغة لا تتناسب مع النص القرآني في بعض تفاصيلها، مما اضطرني إلى اجترار بعض المصطلحات لتتناسب النص القرآني، وتجنب ما لا يليق منها بالنص المقدس.

(١) انظر المبحث الأول في الفصل الأول.

وأخيراً يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر و العرفان، ووافر الحب والتقدير والامتنان، لأستاذي الأجل في نفسي، والأبلغ تأثيراً في فكري، المشرف على هذا العمل أستاذي أ. د. محمد حماسة عبداللطيف، الذي أحسّ بعميق الفخر لدى انتسابي إلى التلمذ على يديه. وأشكره -متع الله به- فقد أحيى في نفسي ونفوس زملائي الأمل أنه لازال بي ظهرانينا من العلماء القدوات أولو بقية، يجمع بين بذل العلم ثراً ندياً، وبسط الوجه واليد بالخير برا سخياً. إذ جنّته وقد ضاق بي أفق البحث العلمي، فتلقاني بصدر رحب، وأتاح لي لأستقي من سلسيله العذب، ومازال بي يُفَتِّح مغاليق السؤال، ويغرس أصول الأفكار والأقوال، حتى أينعت فكراً جديداً رشيداً، وأفقاً واسعاً مديداً.

لقد كان مفهوم النحو في نظري ضيقاً، حتى تتلمذت على كتبه التي نبهتني لأبرز ما فيه، وهي دلالاته. وتربيت في مدرسته الفكرية التي أسس فيها لنهج الحرية البحثية، والشجاعة العلمية في ريادة المناطق العلمية الوعرة، مما يساعد طلابه على تكوين شخصياتهم العلمية، مستقلة فكرياً، ومنضبطة منهجياً. فله مني خالص الشكر وصادق الدعاء.

وأجدني مطوّقاً بفضل مصرَ وجميلِ دارِ العلوم، هذه الكلية التي كانت وما زالت وستظل -بإذن الله- منارة إشعاعٍ علميٍّ، والتي قدّمت للعالم الإسلامي رموزاً علميةً يشار إليها بالبنان، فشكراً مصرُ، وشكراً جامعة القاهرة، وشكراً دار العلوم.

وجديرٌ بالشكر والعرفان كُلاً من ساندني طيلة فترة كتابة هذه الرسالة، وفي المقدمة والداي -حفظهما الله- وإخوتي م. عبدالمنعم ومحمد، وزملائي في المملكة العربية السعودية ومصر، وأخص منهم د. مفلح القحطاني ود. إبراهيم المباركي، وزوجتي الغالية التي كانت خلال هذه المسيرة العلمية خير معينٍ لي، وبنياتي «مسرة» و«رزان» و«أسماء» -جعلهن الله من قرّة العين، كما أخص بالشكر جامعتي أم القرى التي أتاحت لي فرصة الابتعاث والدراسة في هذه الكلية العريقة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

تحرير المصطلح وتحديد

وفيه خمسة مباحث، وهي:

المبحث الأول: نشأة المصطلح وتطوره.

المبحث الثاني: ملامح المصطلح وآلياته ودرجاته.

المبحث الثالث: أنواع التناص وتقسيماته.

المبحث الرابع: تجليات التناص في التراث العربي.

المبحث الخامس: التناص في القرآن الكريم.

المبحث الأول: نشأة المصطلح وتطوره

حين بدأ التركيز من قبل العلماء والباحثين على النصوص الأدبية بحسبانها أعمالاً جديرة بالدراسة، استصحب هذا الاتجاه ضرباً من التناول الكلي لجملتها مكونات النص، بمعنى تناول دقائق أجزاء النص وكل ما يحيط به، والعناية بالدائرة الكبرى حوله، بوصفه مولوداً جديداً، وعملاً متقدماً، يحمل خصوصية الزمان، وعليه بصمة المكان مضافة إلى بصمة مبدعه، وبدأوا يوسعون اهتمامهم إلى الدوائر ذات العلاقة بالمفهوم.

في تلك الأثناء كانت البذور الأولى لمصطلح (التناص) تحاول الظهور، وتشق طريقها نحو النور^(١) من خلال العناية التي أبدتها بعض العلماء والنقاد بدراسة علاقات النص بغيره من النصوص، وتأثره ببعضها شكلاً أو مضموناً، ونوع هذا الأثر، وتقييم درجة براعة المبدع في توظيف مخزونه الفكري، وموروثه الثقافي في إيصال فكرته، ومدى ملاءمتها للقالب المختار لإخراجها؛ من خلال رصد الروافد التي جرى ماؤها في نهر نصه وساهمت في تشكيل مجراه الرئيس، سواء أكان ذلك على سبيل الاستدعاء التلقائي غير الواعي من الذاكرة العميقة والعقل الباطن دون قصد، أم كان على سبيل الاستدعاء الواعي والمتعمد الذي يظهر فيه قدر من الصنعة وربما التكلف، حينها بدأ يتبلور (التناص) كمفهوم معبر عن هذا النوع من العلاقات النصية.

وعند التتبع لسياق نشأة مصطلح التناص، والأطوار التي مر بها نجد أن

(١) المراد المحذبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، أبريل، ١٩٩٨م، ص ٨٦.

الإشارات الأولى لمفهوم التناص قد ظهرت عند العالم الروسي ميخائيل باختين^(١) Mikhail Bakhtin (١٨٩٥ . ١٩٧٥م) من خلال كتابه (فلسفة اللغة) حين اهتم بالوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص عند استعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء - من نصوص سابقة عليها^(٢). وقد استخدم للتعبير عن هذه العلاقة مصطلح (الحوارية Dialogism) حيث قرر أن «كل تلفظ يرتبط بعلاقة مع التفظات السابقة خالقا بذلك حوارا معها»^(٣). بل تجاوز ذلك حين استخدم الحوارية «مفتاحا لقراءة النصوص يقود إلى القبض على شعريتها، ومفسرا قويا للإجناسية»^(٤).

ومع الاعتراف بأسبعية باختين في إشاراته الأولية إلى المفهوم إلا أن قصب السبق في هذا المجال كان من نصيب تلميذته جوليا كريستيفا^(٥) Julia Kristeva

(١) فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي (سوفييتي). ولد في مدينة أريول. درس فقه اللغة Philology وتخرج عام ١٩١٨. وعمل في سلك التعليم وأسس «حلقة باختين» النقدية عام ١٩٢١. اعتقل عام ١٩٢٩ بسبب ارتباطه بالمسيحية الأرثوذكسية، ونفي إلى سيبيرية مدة ست سنوات، بدأ عام ١٩٣٦ التدريس في كلية المعلمين في سارانسك، ثم أصيب بالتهاب أدى إلى بتر ساقه اليسرى عام ١٩٣٨، عاد باختين بعدها إلى مدينة ليننغراد (بترسبرغ)، وعمل هناك في معهد تاريخ الفن، الذي كان أحد معاقل «الشكلايين» الروس، ثم عاد إلى «سارانسك»، يكتب في مجلات عدة، وخاصة «قضايا الأدب» Voprosy Literary و«السياق» Kontekst.

(٢) الشعر العربي الحديث بنياته وأبدالها، محمد بنيس، ص ٣، الشعر المعاصر، درا توبقال، المغرب، ط (١)، ١٩٩٠م، ص ١٨٣-١٨٥.

(٣) ميخائيل باختين والمبدأ الحواري، لتودوروف، ص ١٢١.

(٤) التفاعل النصي والتناصية، في النظرية والمنهج، نهلة الأحمد، كتاب الرياض (١٠٤) ص ١١٣، دار اليمامة، ٢٠٠٨م.

(٥) فرنسية من أصل بلغاري، من مواليد ١٩٤١م بمدينة سيلفن ببلغاريا، وهي أديبة عالمة لسانيات، وهي محللة نفسية، وفيلسوفة ونسوية، أصبح لكريستفا تأثير في التحليل النقدي الدولي بعد أن نشرت كتابها الأول Semeiotikè في عام ١٩٦٩م، وأنتجت كمية هائلة من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص، والسيمائية، وفي مجالات اللسانيات، ونظرية الأدب والنقد، والتحليل النفسي، والسيرة الذاتية. مؤسسة ورئيسة لجنة جائزة سيمون دي بوفوار.

التي هي صاحبة مصطلح التناص Intertextuality حيث وقع أول ذكر له في محاضرتها (الكلمة: الحوار والرواية) في عام ١٩٦٦م^(١)، ونشر كمقالة ثم وضعته في كتابها (Sémiotique) تحت اسم التناص Intertextualité وتعد رائدة الدراسات النقدية للتناص، وأول من استخدمه، في «أبحاث من أجل تحليل سيميائي» في عام ١٩٦٩م، إذ ترى أن التناص إنما هو تقاطع عبارات مأخوذة من نصوص أخرى، وفي كتابها «نص الرواية» عام ١٩٧٦م عادت لتقر بأن التناص هو التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، ثم وصلت بعد حين إلى أن كل نص هو تسرب وتحويل من نص آخر^(٢).

وهي ترى أن النص جهاز عبّر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة عن طريق ربطه بالكلام التواصلية رامياً بذلك إلى الإخبار المباشر عن مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمتزامنة^(٣).

وإن كان المصطلح قد ظهر في منتصف الستينات وتداوله دارسوا النقد الأدبي الحديث بعد كرسيفا التي أشارت إلى أن «كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات»^(٤)، فقد التقى حول هذا المصطلح الجديد الكثير من الباحثين الغربيين، وتداولته الدراسات النقدية تصنفه أنواعاً، وتتوسع في تطبيقاته وتعمق، وتقيم حوله الحلقات العلمية، وتضيف إليه ليتقلب في مراحل التطور، وكان من أبرز الأسماء في هذا الصدد:

-
- (١) دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، ص ١٤٧، دار العبيكان، ط ١، الرياض، ١٩٩٦م.
(٢) ينظر: التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، ط (١)، ٢٠٠٩م، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، رقم (٢٣)، ص ٢٠.
(٣) علم النص، جوليا كريستيفا، ص ١٨، تر: محمد البقاعي. عن كتابه (دراسات النص والتناصية ص ٧٨).
(٤) السابق ص ١٩.

- جيرار جينيت (gerard genette)^(١):

هو واحد من أبرز المنظرين للتناص، وله جهد واضح في تشييد هذا المصطلح وبناء إطار واضح له، وفي تحديد مفهومه بما أسهم به من كتابات حول المصطلح، ظهرت في كتابه (أطراس) عام ١٩٨٣م؛ حيث بدأ بوضع اقتراح جديد يضع به تصورا شاملا للمجال النظري الذي يمكن من خلاله حصر الفضاء المميز للتناص من خلال النظر للنص من الخارج، وهذه النظرة الخارجية تمكن بها أن يبلور وجهة نظر موضوعية تتميز بالوضوح أطلق عليها (ما وراء التناصية) ذلك المفهوم الذي يحدد الشاعرية الحقة لدى المبدع، وأصبح معيارا يحدد ما يسميه جينيت (المتعالية النصية) للنص، ويستطيع من خلاله أن يحدد بوضوح مجموعة الأطر التي تحكم علاقة نص ما - سواء كانت علاقة داخلية أو خارجية - بمجموعة من النصوص الأخرى، على فرض أن كل نص يمكن تعالقه مع نصوص أخرى ضمن علاقة ظاهرة أو خفية، ومن هنا فإنه يقترب من مفهوم التناص (كإجراء معلمي) خاص بفهم النصوص من الناحية التناصية، كما نجده يتقدم بمبادرة لاتخاذ (التناص) أداة لدراسة العلاقة بين النصوص المكونة لنص معين، وإن هذه العلاقة تخضع لآليات أو عمليات تحويل وصولا إلى أن الأصل أن أي نص يتضمن نصوصا متعددة^(٢).

كما يطلق جينيت على (التناص) مسمى (التداخل النصي) ويؤكد معناه الأول، كما عند كريستسفا فيقول عنه: إنه (التواجد اللغوي) «سواء أكان نسبيا أم كاملا أم ناقصا» لنص في نص آخر وهذا المفهوم ما يدعوه بـ(النص المتعالي) أو (التعالي

(١) ناقد وأديب ولغوي فرنسي، يعتبر الرائد الثاني للدراسات التناصية، والمنظر الحقيقي لمصطلحات وتقنيات التناص، أحد أعضاء حلقة (تيل كيل) الشهيرة، وأحد رواد ما بعد الحداثة، وصاحب نظريات: التعاليات النصية، وعتبات النص، وغيرها.

(٢) مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ت: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ص ٩٨-١٠٤.

النصي) ذلك النص الذي يكون في علاقة، خفية أو جلية، مع غيره من النصوص. ومن هذا المنطلق فإن (جينيت) يطلق على النص المتناس أو (النص الجديد) مسمى (جامع النص).

وأخيراً، نجده يتجاوز المفهوم السائد في حينه، ويظهر أكثر تحديدا حين يقرر أن التناس عند الإنتاج هو: «قراءة لنصوص سابقة، وتأويل لهذه النصوص، وإعادة كتابتها ومحاورتها بطرائق عدة على أن يتضمن النص الجديد زيادة في المعنى على كل النصوص السابقة التي يتكون منها»^(١).

- رولان بارت: (Roland Barthes)^(٢):

يعد بارت من أبرز من ساهموا في تطوير المصطلح وتعميقه؛ من خلال التوسع في تطبيقاته، وإعادة تعريفه، بل ذهب بعيدا في بعض آرائه، فهو صاحب مقولة: (ليس هناك ملكية للنص أو أبوة نصية؛ لأن الكتاب والمبدعين يعيدون ما قاله السابقون بصيغ مختلفة، فالنص الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة، فهو لا يأتي من فراغ، ولا يفضي إلى فراغ)^(٣).

ويتمادى في إطلاقاته، فيصف التناس بأنه بحث عن الكتابة في الكتابة بتذويب النصوص وإماتها تناسياً وملكياً، من هنا بارت قد ذهب إلى أن ميزة التناس لا نهائية، أي إن ميزة الأثر الأدبي (النص) هو أنه يفتح آفاقا جديدة، دائما

(١) ينظر: مجلة الأعلام - ع/٤-٥-٦/١٩٩٥م - دار الشؤون الثقافية العامة، والموقف الثقافي - ع/١٧/١٩٩٨م - دار الشؤون الثقافية العامة، ومدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ت: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. ص ٩٠٠.

(٢) فيلسوف فرنسي، ناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي. وُلد في ١٢ نوفمبر ١٩١٥م، وتوفي في ٢٥ مارس ١٩٨٠م، واتسعت أعماله لتشمل حقولاً فكرية عديدة. أثر في تطور مدارس عدة كالبنوية والماركسية وما بعد البنوية والوجودية، بالإضافة إلى تأثيره في تطور علم الدلالة. بعد من أهم رموز تيار مابعد الحداثة، وصاحب نظرية (موت المؤلف) المثيرة للجدل. ومن أهم مؤلفاته:

(٣) آفاق التناسلية، تر: محمد خير البقاعي، ص ٧٩.

لنصوص أخرى، فكل أثر أدبي جدي، قابل لئتناس معه، وكلما كان أكثر انفتاحا كان أكثر قبولا لأن يتناس، أي إنه يوحى، ويحاكي، ويؤثر، وبذلك يتوقف عن دوره كواقعة تاريخية، بل يتحول إلى واقعة أنثروبولوجية، (علم إنسانية) غير قابلة للاستنفاد؛ إذ ننظر إليه من حيث كونه معنى، أما إذا نظر إليه من حيث كونه لغة، وباعتبار لغة الأدب لغة رمزية فإنها تولد معاني متعددة، مما يخلق محيطا إبداعيا، قابلا لفرض هيمنته وسلطته على المبدعين الآخرين^(١).

ويصنف النصوص إلى نوعين: ف«المكتوب هو نص ما بعد حدثي يختلف جوهريا عن النص الكلاسيكي، فقد كُتب حتى يستطيع القارئ في كل قراءة أن يكتبه وينتجه وهو يقتضي تأويلا مستمرا ومتغيرا عند كل قراءة، ولهذا فالقارئ منتج وبان، حيث يشارك - إن لم يتجاوز الكاتب - في إنتاج النص. ولا يسعى النص عندئذ إلى إبراز الحقيقة وتمثيلها، وإنما يسعى إلى نشر المعنى وتفجيرها، ويتم كل ذلك عبر مفهوم النصوص والنصوصية المتداخلة (التناس) ومفهوم موت المؤلف»^(٢). فيعتمد التناس أداة لقراءة النص، ودليلا على تفاوت القراءات وسبب ذلك برأيه أنها مجموعة من عمليات التناس مع النص المقروء تتعدد بتعدد خلفيات وأحوال قارئها.

(١) ينظر: ظواهر فنية في لغة الشعر، د. علاء رمضان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٦م، ص ١١٠.

(٢) ينظر: التناس في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، ص ١٨، ١٩.

المبحث الثاني: ملامح المصطلح وآلياته ودرجاته

التناص في اللغة: على وزن (تَقَال) أو (تَقَاعُل): أصلها تَنَاصُصٌ،

مشتقة من مادة (ن ص ص).

وفي المصطلح:

اجتهد العلماء والباحثون في وصف هذه الظاهرة اللغوية التي لا ينفك عنها أي نص كتبه البشر، أو خطاب قالوه، أيًا كان اللسان الذي جاء عليه هذا الخطاب أو كُتِبَ به ذلك الكتاب. وكانت هناك مجموعة كبيرة من المحاولات لتعريف هذا المصطلح، إلا أنها جميعًا لم تعد أن تكون مقاربات وصفية لمضامين المصطلح وبعض مفرداته، دون أن تصل إلى صورة (الحد) الجامع المانع.

ويدور معظم ما جاء من محاولات تعريف أو أوصاف أو مقاربات أو إشارات ذلك حول مضامين أساسية، وملامح عامة، ولعل أبرزها:

- ١- التعالق بين النصوص حتمية تاريخية، فلا يتصور وجود نص منقطع النسب، بل لا بد أن يكون نتيجة للخلفية التاريخية.
- ٢- انفتاح النصوص على بعضها تأثرًا وتأثيرًا، فهي دائما عابرة لحواجز الجغرافيا والتاريخ والأيدولوجيا والعرق، مما يؤكد أن كل نص هو ترحال بين للنصوص داخل اللغة، مما يؤكد على حيوية اللغة^(١).
- ٣- تفاوت الأساليب ليس لتفاوت الموهبة والقدرة الشخصية على الإبداع فحسب، بل إن التفاوت في طبيعة التكوين الثقافي، والنشأة الاجتماعية، والموروثات الشعبية، والاتجاه الفكري، والأساليب العالقة بالذاكرة تعد عوامل مؤثرة في إنتاج النص، وأسلوب صياغته.

(١) آفاق التناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، ص ٨٠.

٤- تتعدد الدلالات بتعدد القراءات؛ والنواتج عن تعدد القراء وبالتالي الخلفية الثقافية لكل منهم، وبيئته المحيطة وموروثه الشعبي، وتكوينه الشخصي، وحالته النفسية لحظة إنتاج النص.

آليات التناص (كيف يحصل التناص؟):

١- التضمين لأجزاء كاملة:

وذلك بحضور نص داخل نص آخر حضورا كليا اقتباسا أو تضمينا، فتوظف أجزاء كاملة دون ان يطالها أي تأثير.

٢- التشرب والامتصاص:

ويحصل بالتأثر غير المباشر والذي لايلحظه كل أحد -حتى أن منشيء النص ربما تأثر دون وعي منه- من خلال تكرار المعنى في ثوب لفظي وأسلوبى جديد.

وربما كان بالتقاط جزء من الفكرة، ودمجها مع أفكار أخرى، مع عرضها بألفاظ وتراكيب وأساليب مغايرة لطريقة العرض السابقة.

٣- التحوير:

ويحصل باجراء تحويلات طفيفة أو كبيرة على النص المؤثر لاتطمس الأثر، وذلك بتغيير الاتجاه الدلالي للألفاظ والصيغ بتوظيفها في خدمة اطار دلالي جديد. وربما حصل التحوير في المعاني بجعلها جزءا من فكرة قادمة من حقا دلالي مغاير.

٤- التحويل:

ويكون بحضور الأسلوب أو الفكرة حضورا معنويا من خلال ذكر ضدها، أو النسخ في فكرة مغايرة وبأسلوب مغاير على منوالها دون وجود دليل ملموس عليها. فلا يتسنى لكل أحد أن يلحظ الأثر الحاصل ما عدا الباحث المدقق، والناقد الخريّت.

٥- التشارك:

ويكون ذلك بالتعاون بين أكثر من فرع نصي يمثل كل منها نصا سابقا في تكون المجرى العام لنهر النص الجديد.

فربما شارك البيت الشعري والمثل الشعبي والآية القرآنية والحديث النبوي كل منها بجزء من لفظه أو ظل من ظلال معناه في تكوين الدلالة الكلية للنص الناشيء.

٦- التفاعل:

حيث أن النصوص المنشأة لنص ما لاكتفي أثناء وجودها في النص بالاصطفاف والتجاوز، بل تتجاوز ذلك الى التفاعل والتجاوز، مكونة نسيجا ينفرد بسمات جديدة، وينتج دلالات فريدة، وربما قطعت أي آصرة نسب بجذورها.

٧- التوارد:

هناك نصوص تتعالق وتتقاطع بمقادير مختلفة مع استحالة إفادة أصحابها من بعض، للبعد المكاني أو التاريخي أو غيره، وإنما تتقاطع في إحدى مناطق المشترك الإنساني الفكري. ربما لتشابهه في شخصيات قائلها. فكما يتشابه بعض البشر المتباعدين مكانيا في أشكالهم وأصواتهم وشخصياتهم؛ فكذلك ربما تشابهوا في أفكارهم وأقوالهم. ومثل هذا كان قد حصل عند العرب فأطلقوا عليه (توارد الأفكار أو وقع الحافر على الحافر)^(١).

(١) هذا ملخص ما وصل إليه الباحث من مفاهيم أساسية مكونة لمصطلح التناص من خلال القراءة في عدد كبير من الكتب والمقالات لرواد التناص مثل: باختين، وكريستيفا، وجينيت، وبارت، ودوتوروف، وما كتبه النقاد العرب مثل: محمد بنيس، والغدامي، وحمودة، وعزالدين مناصرة، ومرئاض، الأحمد، وغيرهم.

فوائد التناص:

- ١- المساعدة في تحليل النصوص، تحليلًا دلاليًا، من خلال استحضار النصوص الأصلية، ومدى تأثير الجديد بها.
- ٢- البحث في أنساب النصوص وجذورها المكونة لها. فبقدر ما انتسبت تلك النصوص إلى أعمال أدبية راسخة في العراقة، بقدر ما أضافت لنفسها من قيمة.
- ٣- المتعة الجمالية: المتأتية من الإبداع في سبك هذا المزيج من النصوص في بوتقة واحدة وإعادة إنتاجها في دلالة كلية جامعة مضخمة بعبق النصوص العتيقة. بل يجعل رولان بارت التناص شرطًا أساسيًا لإدخال النص في إطار اللذة فيقول: «ومالم يجتمع النص بنص متعة آخر فإنه يقع خارج إطار اللذة وخارج النقد»^(١).
- ٤- يساعد على فهم النص وفك شفراته، حيث أن مجموعة النصوص التي يذكرنا بها هذا النص تنطوي هي الأخرى على شفرات وإشارات تسهم في حل شفرات هذا النص، وتفسير إشاراته^(٢).

درجات التناص:

التناص من المصطلحات التي نالت حظًا وافراً من الاهتمام فتناولتها الأقسام بالتعريف والتنظير والتطبيق، وأيسر ما يقال في تعريفه أنه تداخل نص مع نص آخر أو تواجد نص من خلال نص آخر، إلا أن هذا التواجد له درجات والعلاقة بين النص الأصلي والنص الفرعي المتداخل معه لها درجات.

(١) لذة النص: رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، ص ٤٩.

(٢) المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي، ص ١٤، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط ١، المغرب، ١٩٩٩

وفي دراسة للدكتور: محمد مفتاح يتحدث فيها عن «درجات التناص»^(١) ويقسمها إلى:

(أ) **التطابق**: ويقصد به تساوي النصوص من الناحية البنيوية والنتائج الوظيفية وعلى هذا الفهم فإن التطابق لا يكون إلا في النصوص المستسخة.

(ب) **التفاعل**: ويقصد به أن أي نص ما هو إلا نتيجة للتفاعل مع نصوص أخرى هذه النصوص يحكم تواجدها في النص أهداف المبدع ومقاصده وكذلك نوع النص المنقول إليه، فالنص الديني قد يحتوي على قرآن وأحاديث وآثار...، والنص الأدبي، قد يشتمل على أمثال وحكم ونصوص أخرى من نوعه وقد يكون النص مقتبساً من أجناس كثيرة من الثقافة العربية إلا أن المبدع بمهارته يجعله نصاً واحداً له دلالاته الخاصة وله إشاراته الخاصة، وهذا دورُ القارئِ الفطنِ الذي يفهم انتماء تلك النصوص وإشاراتها.

(ج) **التداخل**: ويقصد به أن نصوصاً متعددة تتداخل بعضها في بعض في فضاء نصي عام، وعلى الرغم من عدم تحقق الامتزاج أو التفاعل بينها، بل تبقى دخيلة تحتل حيزاً من النص الأصلي إلا أن هذا التداخل يحدث صلة من نوع ما بين النص الدخيل والنص الأصلي.

(د) **التحاذي**: أما إذا لم توجد صلات بين هذه النصوص المتداخلة فإن وجود بعضها إلى جانب بعض يصير مجرد تحاذٍ، أي تجاورٍ وموازاةٍ في فضاء مع محافظة كل نصٍ على هويته الخاصة التي تميزه عن النص الآخر، وكثير من الكتب القديمة وكتب الاختيارات قديماً وحديثاً هي من هذا النوع.

(هـ) **التباعد**: إذا كان من الممكن تحاذي النص الحديثي والنص القرآني أو النص

(١) ينظر: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط ١٩٩٩م، ص ٤١-

الكلامي والنص الفلسفي، فإن التباعد بأنواعه يتجلى في مجاورة نكتة سخيفة لأية قرآنية كريمة أو لحديث نبوي شريف - أو في محاذاة حديث عن الحمقى حديثاً عن الحكماء والدهاة والصفات الإلهية. وهناك أمثلة لهذا التباعد بأنواعه المختلفة في كثير من كتب الجاحظ وبعض كتب أبي حيان التوحيدي.

(و) **التقاصي**: ويمكن اعتبار هذا التباعد نوعاً أولياً من التقاصي، إذ يقوم على التقابلات التالية: النصوص الدينية، النصوص السخيفة والفاجرة، النصوص الحكيمة والنصوص الحمقية... وهو ما يبلغ مداه في نقض القرآن الكريم لما ورد في بعض الكتب السماوية، وفي أشعار النقائض، وفي بعض كتب العقائد والكلام والسياسة والفلسفة.

كما أن الدكتور: صلاح فضل قام بتقسيم التناص إلى درجاتٍ ثلاثة، فيقول في هذا المعنى، إن الحد الأدنى للتناص يكون في الخواص الشكلية، مثل الإيقاعات والأوزان والأبنية المقطعية، على اعتبار أنها مرتبطة في استخدامها بمجموعة الأعراف التقليدية المتصلة بكل جنس أدبي، ثم يتحدث عن الدرجة الوسطى من التناص، ويقول: إنها تشمل الإشارات والانعكاسات غير المباشرة سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها.

أما الدرجة القصوى من التناص يمثلها الاقتباس والمعارضات وتقليد النصوص مما يحيل على مجموعة الشفرات الأسلوبية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل يمكن القارئ من التعرف على النصوص المقتبسة وإرجاعها إلى عالمها^(١).

ومن ذلك يبدو أن التناص قد يكون بصورة ظاهرة جلية لا تخفى على القارئ العادي، وقد يكون على شكل تلميح وإشارات، وقد يكون تناصاً خفياً حيث يتمثل

(١) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، لونجمان: ٣٠٩، ٣١٠.

فيما هو مشترك بين المبدعين من لغة أو إيقاع أو وزن.

المفهوم الكلي للتناص من وجهة نظر الباحث

بعد ان قدم الباحث خلاصة وصفية لملامح مصطلح (التناص) عند عدد من أهم رواده ودارسيه؛ فإنه يُقدّم هذه المحاولة لتعريف مصطلح التناص، ووصف الصورة التي يقصدها في هذا البحث عند إيراده لهذا المصطلح، حيث يَخُصّ فيها إلى أن المفهوم الكلي للتناص هو التعالق والتفاعل بين النصوص من خلال حضور بعض ألفاظها أو معانيها أو أساليبها أو أفكارها في بعض، سواء أكان ذلك على سبيل التأثير غير المقصود، أم التطويع والتوظيف المقصود.

المبحث الثالث: أنواع التناص وتقسيماته

نظرا لأن التناص يعد مصطلحا ينطلق من دائرة العلاقات بين النصوص إذ تمثل البعد الأولي المتبادر للذهن عند تناول المصطلح، فإنه يشكل مسبارا راصدا لطبيعة العلاقات الحاصلة بين النصوص والمقاطع المتناصّة، ويتأثر تبعا لذلك بالتقسيمات واسعة الطيف وبالغة التنوع التي وضعها العلماء للعلاقات النصية، والتي تختلف باختلاف القواعد التي انطلقوا منها، وزوايا الرؤية التي ينظرون من خلالها.

ففي إطار التطور الذي شهده المصطلح على يد الفرنسي جيرار جينيت نراه قد قدم تصنيفاً للتناص، جعله في خمسة أنواع؛ فقد «ميز جينيت سنة ١٩٨٢، بين خمسة أنواع لما للتناص، هي:

١- التناص الأصلي الذي يعني حضور نص في نص آخر دون تحويل له أو محاكاة.

٢- المُنَاص (Paratexte) الذي يجمع بين مختلف النصوص، والذي يتجلى من خلال العناوين، والعناوين الفرعية، والمقدمات، والذيل، والصور، وكلمات الناشر.

٣- المِيتَانَص (Métatextualité) الذي يعني تضمين النص وحدات نصية سابقة عليه دون تنصيب عليها.

٤- النص اللّاحِق (Hypertexte) الذي يعني تحويل نص سابق أو محاكاته.

٥- مِعْمَارِيَّة النص التي تحدد الجنس الأدبي للنص: شعر، رواية، قصة. ويتتبع هذه الأنماط يمكن تحديد نوعين أساسيين فحسب: هما «التناص»، و«الميتانص»، كما يمكن إجمال هذه الأنماط على النحو التالي:

ويحصر جنيت التناص في حالات حضور فعلي لنص في نص آخر.

أما المُنَاص أو البارنص (النصية الموازية) فهي العلاقة التي يقيمها النص مع

محيطه النصي المباشر، ويتكون من إشارات تكميلية مثل العنوان، المدخل، التعليقات... إلخ.

والميتانص (العلاقة النقدية) هي العلاقة الواصفة، علاقة التفسير والتعليق التي تربط نصا بآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به.

والهيبيرنصية (النصية المتفرعة): علاقة تجمع نصا لاحقا (متفرع أو متسع) مع نص سابق (أصل أو منحسر) في إطار جامع.

والنصية الجامعة (معمارية النص): وهي علاقة بين إشارة واحدة من النص الموازي، وهي إشارة الانتماء التصنيفي لصنف عام مثل (رواية، شعر...) إلخ.

والنصية الجامعة التي هي النمط الخامس هي التي تتناول التفاعل النصي في النص الواحد، وتضم ما يسمى بالمصاحبة النصية، أي العلاقات المتبادلة في النص والصورة المتكاملة له، من حيث بناؤه المعماري، أو ما يطلق عليه «جيرار جينيت» التعاليات النصية «التي تدرس شعرية النصوص عبر علائقها»^(١)، وقد كان عدد من العلماء يحلم بجنس عام للنص وقد تحقق حلمهم على يد «جينيت» الذي انتهى إلى اقتراح «النص الجامع» أو النصية الجامعة، أو جامع النص^(٢).

(١) ينظر: التفاعل النصي والتناصية النظرية والمنهج، نهلة الأحمد، ص ٢٥٦.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٩٣.

التقسيمات الثنائية للتناص:

بما أن التناص ينتمي لحقل العلاقات اللغوية؛ فهو يتأثر بقدر كبير بأفكار هذا الحقل وتقسيماته، ومن ذلك ما شاع من اعتماد التقسيم الثنائي لكثير من أنواع العلاقات اللغوية. ولذا خضع التناص في كثير من تقسيماته إلى هذه الثنائيات المبنية على طبيعة العلاقة القائمة بين النصوص والمقاطع المتناصّة، ولعل أبرز تلك التقسيمات ما يلي:

١- التناص الكلي والجزئي:

ويقصد بـ«التناص الكلي» هو حضور أجزاء كاملة من نصوص سابقة في النص الجديد على سبيل التضمين أو الاقتباس مع تباين القدرة والمكنة في توظيفها. أما التناص الجزئي فهو «اقتراب النص الجديد من نص آخر في بعض ملامحه، فيتقاطع النص مع غيره في جزء أو جانب من جوانبه دون الاتكاء كلياً على بنية النص السابق أو التطابق معه»^(١)، وهذا اللون يكون فيه نوع خفاء؛ حيث إنه يحدث أحيانا دون قصد أو وعي من المبدع، وإنما تكون للمخيلة أو الذاكرة القرائية دور فيه.

٢- التناص الداخلي والخارجي:

ويطلق التناص الداخلي على ما هو قائم من علاقات تناصية بين أجزاء العمل الواحد، ويظهر بشكل جلي بين قصائد الديوان الواحد، بل وربما في القصيدة الواحدة. ومن صورته تناص الكاتب مع نفسه في أعماله المختلفة ويطلق عليه البعض «التناص الذاتي». كما يقع مع مجموعة النصوص الداخلية التي توضع ضمن النص وتحافظ على استقلاليتها دون أن تمتزج بالنص، فكل كاتب يحاول جاهدا أن يكسب قوله مصداقية ويقينا ببعض النصوص الموثوق بها ليعزز فكرة ما أو يستشهد

(١) أثر التناص في الشعر، لفاضل الدليمي، ص ١١، دار الثورة، الموصل، ط ١، ١٩٩٥.

على رأي بعينه، ويحاول المبدع أن يعضد فكرته، فيضع النص السابق بين علامتي التنصيص؛ ليصبح نصا موازيا ويبقى متميزا مستقلا عن المتن الأصلي.

أما التناص الخارجي فيقصد به علاقة النص الجديد بالنصوص المؤثرة في تكوينه من خارج إنتاج منشئه. ويعد أكثر أنواع التناص شيوعا في الدراسات ويدخل البعض في هذا الصنف مجموعة التعليقات الخارجية التي توطيء الولوج إلى النص متمثلة في مجموعة العناوين التي تقع تحتها الفقرات السردية، كما ينضم إليها ما يوضع في الهوامش من تعليقات، وإشارات يحتاجها النص للتوضيح أو التفسير أو التعليق لبيان شيء لا بد منه، من هنا فإنها تعد ضرورية لتحليل النص، وهي لا شك توحى بدلالات ربما يعجز النص ذاته عن الإيحاء بها^(١).

ويمكن القول بأن: «التناص الداخلي والخارجي من قبيل ذلك اللون الذي أطلق عليه «جينيت» الموازي والجامع»^(٢).

٣- التناص المقصود وغير المقصود (الواعي واللاواعي):

والتناص المقصود هو ذلك التأثير المباشر بين النص الجديد وما سبقه من نصوص، ويكون عن وعي وقصد من المبدع، ويندرج تحته مجموعة من المفاهيم مثل الاقتباس والتضمين. وهو واضح ومحدد ومع ذلك يستطيع المبدع أن يوظفه ضمن صياغات إبداعية فريدة تصل حد الإدهاش.

(١) ينظر: التناص: النظرية والممارسة، مصطفى بيومي، ص ١٣، نادي الرياض الأدبي، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

(٢) التفاعل النصي، ص ١٩٤.

أما التناص غير المقصود فهو ذلك الضرب من التأثر الحاصل في النص الجديد بنصوص سابقة يقوم منشيء النص باستدعائها لاشعوريا من ذاكرته دون أن يتعمد ذلك، بل يكون الأمر محظ عمل لا إرادي منطلقه الرغبة في التعبير عن الأفكار فيحصل استدعاء تلقائي من المخزون الثقافي ومحفوظات الذاكرة، ولا يكون المبدع على وعي بحضور نص آخر في النص الذي يبدعه^(١).

٤ - التناص الظاهر والخفي:

التناص الظاهر وهو ما يكون فيه النص السابق ظاهرا وواضحا في حضوره في النص الجديد ويمكن اكتشافه بسهولة، من قبل قارئ يمتلك ثقافة جيدة، ولأن صاحب النص أعاد النص السابق بشكل حرفي ولم يعتمد لإخفائه ببعض التغييرات.

أما التناص الخفي فهو ما لا تتأتى ملاحظته إلا بالتدقيق وإمعان النظر، فصاحب النص يعتمد لإخفاء النص السابق في اللاحق ببعض التغييرات التي تطمس معالمه، ولا يدرك هذا إلا صاحب نظرة بعيدة ويمتلك حسا فائقا في المقارنة والاستحضار. ذلك التأثر الخفي غير المباشر، ويمكن وصفه بالتأثر اللاشعوري، أو التناص المستتر^(٢).

(١) ينظر: التناص في شعر المقاومة، مجاهد المصري، ص ١٩، دار اليرموك، عمان، ط ١، ١٩٩٨م.

(٢) السابق، ص ٢١.

المبحث الرابع: تجليات التناص في التراث العربي

إذا كان مفهوم التناص ذو النشأة الغربية قد أخذ طريقه في الذيوع والانتشار، وتبعه الاستخدام العربي - كما هو المعتاد، فإن التناص هو مصطلح جديد لظاهرة أصيلة في أدبنا القديم، وقد تتبع المصطلح كثير من الباحثين في أدبنا القديم، وكشفوا عن وجوده وإن اختلف المسمى، وقد كانت محاولة د. محمد بنيس في كتابه «الشعر المغربي المعاصر» من أبرز تلك المحاولات، فقد أظهر أن آلة النقد القديمة قد أدركت علاقة النصوص وتداخلها منذ وقت مبكر، حيث كانت البداية من العصر الجاهلي، وقد ضرب مثلاً للمقدمة الطللية، والتي تعكس شكلاً لسلطة النص و«قراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها» فكون المقدمة الطللية - كتقليد شعري متبع - حيث الوقوف والبكاء وذكر الدمن، هي من العام المشترك، فهذا التقليد يفتح الباب واسعاً أمام التداخل النصي وتلاقي المعاني والأفكار والأسلوب، فالمناخ مهياً ومتشابكاً؛ ليتيح ذلك التفاعل النصي»^(١).

ظواهر تناصية تراثية (النقائض - المعارضات - الموازنات):

إن الدارسين لتجليات هذا المصطلح في تراثنا لا يمكنهم تجاوز ما يسمى ب (النقائض الشعرية) التي شاعت في الشعر العربي وبلغت أوجها في العصر الأموي، والتي تمثل تجلياً واضحاً للتناص في التراث العربي، حيث احتفى بها النقاد واعتنوا بدراستها.

ولا يخفى على أحد تلك المعارك التي دارت رحاها من منافسات وخصومات يسجلها تاريخنا الأدبي، والتي استعدت بروز ظاهرتين: إحداهما شعرية وهي (المعارضات الشعرية)، والأخرى نقدية وهي (الموازنات بين الشعراء)، فلا يخلو النقد الذي تتناوله الموازنات الأدبية والخصومات النقدية من دليل على ذيوع وانتشار

(١) الشعر المغربي المعاصر، د. محمد بنيس، ص ١٨٢.

التفاعل النصي، فالوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني^(١)، والموازنة بين البحترى^(٢) وأبي تمام^(٣) للآمدي^(٤).

ابن سلام رائد التناسل:

لقد عرف محمد بن سلام معنى «التناسل» وإن لم يكن قد عرف مصطلحه، وعلى أساس فكرة التناسل كانت طبقات ابن سلام التي بناها على مبدئين هما التجانس والكثرة ويعني بالكثرة الخبرة، وبالتالي فإن الشاعر المكثّر أكثر خبرة من الشاعر المقل، ومن هنا صنّفهم إلى طبقات يقول د. يوسف عوض الأستاذ بجامعة سالفورد بإنجلترا: «لا يخالجنّا شك في أن محمد بن سلام كان يدرك جوهر فكرة

(١) هو: علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن: قاض من العلماء بالأدب، ولد بجرجان وولي قضاءها، وتوفي بنيسابور سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو دون السبعين، من كتبه: الوساطة بين المتنبي وخصومه، وتفسير القرآن.

ينظر: وفيات الأعيان ١/٣٢٤، يتيمة الدهر ٣/٢٣٨، شذرات الذهب ٣/٥٦.

(٢) هو: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحترى، شاعر كبير، كان مع المتنبي وأبي تمام أشعر أهل زمانهم، ولد سنة ست ومائتين هـ وتوفي سنة أربع وثمانين ومائتين هجرية.

ينظر: معجم الشعراء، للمرزباني، بمصر، ١٣٥٤هـ، (٤٦١)، والأعلام، للزركلي: خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٧)، ١٩٨٦م، ٨/١٢١.

(٣) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان، ولد في قرية «جاسم»، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق حتى توفي سنة ٢٣١هـ. من تصانيفه: ديوان الحماسة، مختار أشعار القبائل، نقائض جرير والأخطل.

ينظر: وفيات الأعيان ١/١٢١، وشذرات الذهب ٢/٧٢، والنجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة ٢/٢٦١.

(٤) هو: الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم، عالم بالأدب، راوية، من الكتاب، له شعر، أصله من آمد ومولده ووفاته بالبصرة، من تصانيفه: المؤلف والمختلف، والموازنة بين البحترى وأبي تمام، ومعاني شعر البحترى، وغير ذلك. توفي سنة سبعين وثلاثمائة هـ.

ينظر: معجم الأدباء ٨/٧٥، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ، ١/٢٨٥.

«التناص» Intertextuality والتي نقول بها في وقتنا الحالي والتي تعني في مفهومنا المبسط أن الإبداع الأدبي إنما يستند على الخبرة الأدبية السابقة، ذلك أن الأدب الجديد انزياحٌ عن الأدب القديم»^(١).

ومن هذا نرى أن دماء التناص كانت تجري في عروق المبدعين، والنقاد القدامى، وكانوا يعطلون له بطول ما عانى الأديب من قراءة واطلاع وما علق بذاكرته من معلومات وقراءات قديمة يتم استدعاؤها بعد ذلك عن طريق التناص الذي تحدثنا عن صورته، وكان منها التذکر.

حضور التناص عند أبي هلال العسكري:

كما أن لأبي هلال العسكري فصل تفوح منه رائحة التناص تحدث فيه عن حتمية أخذ اللاحق من السابق - وهذا أمر طبيعي، فالطفل لا ينطق إلا بعد استماعه للبالغين - ثم يتحدث عن شروط هذا الأخذ حتى يكون الآخذ أولى بالنص من صاحبه، إلا أنه وضع هذا الكلام تحت مسمى (حُسْنُ الأخذ) «ذهب فيه إلى أنه ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم»^(٢).

ثم يكمل أبو هلال العسكري حديثه عن الشروط التي تجعل الآخذ أولى بالنص من صاحبه، ولكن بيت القصيد عندنا هو المعنى الواضح لـ«التناص» والذي يجعله شاملاً بمعنى أنه يمكن أن يكون الأخذ أو التقليد في المعنى فقال: (تناول المعاني ممن تقدمهم) ثم يجعل الأخذ في طريقة رصف الكلمات أو أسلوب المبدع فقال: (والصب على قوالب من سبقهم) وكأنه يقصد بها طريقتهم في رصف الكلمات

(١) التناص القرآني في شعر أمل دنقل. د. عبد العاطي كيوان - الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ٣٧، نقلاً من: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١١٨.

(٢) السرقات الأدبية: ٤١، ٤٢. نقلاً عن: أبو هلال العسكري، الصناعتين، الفصل الأول من الباب السادس:

ونظمها.

ونخلص مما تقدم إلى قولٍ واحدٍ، وهو أن الحس النقدي القديم قد عرف معنى «التناس» وتحدث عنه كثيراً، ووضع له صوراً كثيرة، وأقر وجوده وأنه لا يستطيع مبدع أن يكتب شيئاً قبل أن يقرأ كثيراً في إبداع سابقه، فإذا أراد أن يبدع استحضر شيئاً من هذه المعاني أو العبارات المخزونة في ذاكرته، إلا أنه كان على قناعة بأن «اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات»^(١).

فالتأثر بالقديم لا شيء فيه إلا أنهم يرفضون أن يكون المبدع ما هو إلا ببغاء يردد فقط ما قاله سابقه بل يكون المبدع صاحب قلم متفرد وطريقة خاصة في رصف ألفاظه ليعبر عن المعاني التي تجيش بداخله، وإن شاركه فيها غيره، إلا أنه يعبر عنها بطريقة الخاصة، وهكذا يكون للتناس أثره الفعّال في الإبداع والنقد الأدبيين.

من المؤكد أن النقد العربي قد عرف «التناس» قديماً في عباءة «التضمين» وكان التناول بلاغياً، وأشار إليه العلماء بقولهم: «ويسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدمة المأثورة بذكر قصة أو حال معهودة الإحالة؛ لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور»^(٢).

براءة التناس من التلاص (علاقته بالسرقات الأدبية):

لا يمكن لرصد لتجليات التناس في التراث العربي تجاوز ما سجلته كتب الأدب والنقد من بروز لمصطلح (السرقات الأدبية) على اختلاف أنواعها، وتتبع النقاد للشعراء لكشف ما اعتور أشعارهم من أبيات مسروقة أو قصائد منحولة، أو

(١) العمدة: ٢٨١/٢.

(٢) منهاج البلاغ وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص ١٨٩.

حضور لأفكار ومعانٍ سبقوا بها، وهو بذلك يقدم رسدا نقديا لتأثر الشعراء بعضهم ببعض ينطلق في معظم أحواله من منطلق تناصي لا تخطؤه العين.

لقد تناول نقادنا القدماء ألوانًا من التأثير والتأثر بين الشعراء تحت مسمى (السراقات)، وفي إطار ذلك تناول تعددت المصطلحات والمسميات، وظهرت مفاهيم هي بالفعل تقترب كثيرا - إن لم تكن هي بالفعل - مفاهيم التناص كما عرفه نقاد الغرب، وقد ساق النقد العربي القديم العديد من الأمثلة التي تفوق الحصر تظهر درجات التأثر من أقصاها إلى أقصاها، منها ما هو بالفعل سرقة حقيقية، ومنها ما هو من قبيل الشائع العام المشترك، كما تناولوا ما يعرف بتوارد الخواطر، كما تجدهم قد وصفوا بعض السراقات بأنها سرقة حسنة أو سرقة جميلة، ليمنحوها شرعية البقاء، بل أشد من ذلك حين تدرج بعض هذه المصطلحات ضمن علم البديع كشكل من أشكال البلاغة ودليل براعة من مبدع النص، وهذا ما أقرته كتب التراث البلاغي^(١) حين اعتبرت السراقات الشعرية أساليب فنيّة وتم إلحاقها ضمن أبواب البديع في الدراسات البلاغية.

ظروف نشأة المصطلح :

ولاريب أن ظروف نشأة المصطلح قد اقتضت من علمائنا الأفاضل سكه على هذا النحو بما يتناسب مع ما كان سائدا في حينه من فرط عناية بالتدقيق في مصادر الشاعر، وأمانته في ما ينسب لنفسه من الأشعار، وتزامن ذلك مع شيوع انتحال قصائد الشعراء المغمورين، والإغارة على أبيات الشعراء الصغار، أو أخذ الأفكار السابقة وتحويلها.. إلى غير ذلك من أشكال السرقة، حتى إنهم نسبوا للفرزدق أنه «كان يُصَلِّتُ على الشعراء، ينتحل أشعارهم، وكان يقول: خير السرقة، ما لم تُقَطع فيه اليد»^(٢)؛ مما استدعى مزيد عناية بهذه الظاهرة، وتعمد اختيار

(١) عيار الشعر لابن طباطبا، ص ٩٨. والتلخيص للقرظيني، ٤٤/٢.

(٢) الموشح للمرزباني، ص ٧٦. تحقيق: علي محمد الجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥ م.

المصطلح المنفر منها، والجارّ للخزي لمتعاطيها، فاختر مصطلح (السرقعة) على سبيل الردع عن هذا الفعل المشين. ثم أصبح هذا الأمر منهجا أصيلا في تعاطيهم مع الشعراء في كل العصور السابقة واللاحقة. وهذا الاتجاه العلمي أمر نفخر بتسجيله كسابقة تاريخية لتراثنا في حفظ حقوق المؤلفين والمبدعين، ومراعاة الأمانة العلمية والتاريخية.

التوسع في اطلاق المصطلح وآثاره:

ورغم هذه الظروف المبررة لصياغة المصطلح، إلا أن توسعا كبيرا حصل بعد ذلك في استخدامه، إذ تم سحبه على كل صور التأثر والتأثير بين الشعراء والمبدعين، حتى غدا الشعراء والمبدعون فسطاطين: سابقون مبدعون، ولاحقون مقلدون. وازداد البعض إيغالا في استخدام المصطلح ليشملوا به أنواعا مما لا يقع حتى في دائرة اشتباه السرقعة من العلاقات النصية، بل هو محض تعالق معنوي، أو تشابه لفظي، أو تشابه في الصياغات مع استبعاد تعمد السرقعة، مع أن طائفة من أئمة النقد العربي قد وصفوا بعض هذه الصور ب(حُسن السَّرْق)، و(تداول المعاني) فنجد أباهلال العسكري يقول: «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم والصبّ على قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها...»^(١). مما يشير إلى ملاحظتهم للأبعاد الجمالية، والبراعة الصياغية الكامنة في هذه الصور.

وترتب على التوسع في استخدام مصطلح (السرقعة) في وصف أي علاقة تأثر بين نصين أياً كان مستوى المتأخر وتفوقه في التعبير والتوظيف لمادة التناسل،

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص ١٩٦.

وإدخال كثير من صور الإبداع والتميز تحت مظلة هذا المصطلح الذي استخدم لوصف فعل سلبي، وقُصد به الإدانة والردع عن مثله، مما يلزم معه إعادة تحرير المصطلح وتحديد ما يندرج تحته من صور التفاعل النصي بين النصوص، وما يجب إخراجهِ وتحريرهِ من قيد مصطلح لايمثله، بل ربما ألقى عليه بظلال سلبية وأحاطه بحواجز نفسية تمنع الكثيرين من مجرد التعاطي معه.

مصطلح سيء السمعة:

كما أن الانطباع الأولي الذي يتركه المصطلح في الذهن من كونه يشكل وصفا جنائيا يقتضي معاقبة صاحبه أوريا اقتياده للسجن، مما يستدعي بالضرورة موقفا أخلاقيا منه، قد أحاط كثيرا من الصور الإبداعية وما تحمله من الأبعاد الجمالية بهالة من النفور والصدود، لاذنب لها فيها سوى نسبتها لهذا المصطلح الذي وصفه البعض بـ(سيء السمعة). فنجد شوقي ضيف معبرا عن هذا بقوله: «اضطرب النقاد في بحث هذه الوسيلة ووقفوا يسمونها سرقة وغصبا ونحو ذلك من أسماء لا تعبر تعبيراً واضحاً عن حقيقتها، ومن أجل ذلك كنت أوتر أن ننحي التسمية القديمة ونضع مكانها اسم «التحوير»؛ إذ يأخذ الشاعر معنى مسبوفاً أو مطروفاً فيديره في ذهنه، وما يزال به يحور فيه حتى يظهر في هيئة جديدة تخالف الهيئة القديمة»^(١).

ولم يعد هناك شك في أن جُلَّ ما اصطلح على تسميته بالسرقات من قبل النقد الأدبي قديما هو عينه المراد بالتفاعل النصي أو التناسل كمصطلح جديد، بعدما وصفت السرقات بأنها شائعة بحيث لا يخلو منها نص، وقد وُصف كبار الشعراء وما أخذوه معنى أو لفظاً أو كليهما معا بأنها من باب السرقات، وهو الشائع المشترك، حتى قيل عن شاعر في مكانة «أبي تمام» بأنه: «كثير السرق جداً»، «وأنه لم ينفرد وبيبتدع إلا في ثلاثة معان!!»^(٢).

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ص ٢٩٦.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحري، للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط (١)، ١٩٩٤م،

وعي الأسلاف بتفاوت دلالة المصطلح:

فالسرقعة بهذا المفهوم ليست بالمعنى الأولي للكلمة، وقد فطن القدماء أنفسهم إلى هذا المفهوم حين أشار بعضهم إلى أنه قد آن الأوان لأن يخرج مفهوم السرقعة من ذلك الإطار الأخلاقي، فيرفع الحرج عن المبدع، كما أنه عاد ليؤكد دون استثناء أن التأثر في باب المعاني لم يسلم منه أحد من المبدعين، فيقول: «وكان ينبغي ألا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوئ هذين الشاعرين؛ لأنني قدمت القول في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء، وخاصة المتأخرين؛ إذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر»^(١).

ومن أبرز المعنى النادر في عبارة أشرف من الأولى، فقد قاسم الأول الفضل؛ إذ الفضل في اختراع المعنى للمتقدم، والفضل في تحسين العبارة للمتأخر. والقول الثاني الذي حسنت فيه العبارة بلا شك أفضل من الأول؛ لأن المعنى لا يؤثر فيه التقدم ولا التأخر شيئاً، وإنما ترجع فضيلة التقدم إلى القائل لا إلى القول .

فبشار بن برد حين ظفر «سَلْم الخاسر» بفكرته في بيت أخف لفظاً، لم يستطع رغم تغيُّظه أن يطلق عليها سرقة، فقول بشار^(٢):

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفِرْ بِحَاجَتِهِ * * * وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ^(٣)

١٣٧/١.

(١) السابق ٣١١/١.

(٢) هو: بشار بن برد العقيلي بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، نشأ في البصرة، وقدم بغداد، وأدرك الدولتين: الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق، من الطبقة الأولى، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة سنة سبع وستين ومائة هـ.

ينظر: وفيات الأعيان ٨٨/١، وتاريخ بغداد ١١٢/٧، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م، ٢٨٩/١.

(٣) ينظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م، ١٩٦/٣، والبيدع في نقد الشعر، لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني، دار الكتب

أخذه سلّم الخاسر^(١) فقال:

مَنْ راقِبَ النَّاسَ ماتَ مَماً * * وفازَ باللذّةِ الجسور^(٢)

فلما سمع بشار هذا البيت قال: «يعمد إلى معاني التي أسهرت فيها ليلي، وأتعبت فيها فكري، فيكسوها لفظاً أخف من لفظي، فيروى شعره، ويترك شعري، والله لا أكلت اليوم ولا صمت»^(٣).

وفي هذا إقرار يبيح فيه التأثر ويعطيه شرعيته، رغم وضوحه، وأكثر من ذلك حين يقر بحسن البيت الجديد، حين يشير إلى جمال الفكرة مع خفة اللفظ.

مراتب الشعراء في التأثر:

صنف النقاد الشعراء أصنافاً أربعة، وجعل معيار كل مرتبة منها هو مدى التأثر بغيره، أو الانفراد بالابتكار، وجعلت مراتب الشعراء من حيث التأثر النصوص السابقة كما يلي:

١- الاختراع: وهو انفراد وابتداع يتفرد به المبدع، ويوصف بأنه غاية في الاستحسان.

٢- الاستحراق: وهو مبدع تأثر، لكنه تفوق على الأول فيأتي تالياً في

العلمية، ص ٤٢، والمنصف للسارق والمسروق منه، ص ٣، والصناعتين الكتابة والشعر ٢١٤/١.
(١) هو: سلم بن عمرو بن حماد، شاعر خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي. سكن بغداد. له مدائح في المهدي والرشيدي العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية. وشعره رقيق رصين. قيل: سمي الخاسر، لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً، توفي ١٨٦هـ.
ينظر: وفيات الأعيان ١/١٩٨، وتاريخ بغداد ٩/١٣٦.

(٢) ينظر: الأغاني ٣/١٩٦، والمنصف للسارق والمسروق منه، ص ٣، ولباب الآداب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن ليج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١/١٧٦، والإعجاز والإيجاز، لأبي منصور عبد الملك إسماعيل الثعالبي، دار الغصون، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) العمدة، لابن رشيق ١/١٠٤.

الاستحسان.

٣- الشركة: متأثر لم يزد عما جاء به سابقه، فهو مساو له ولا عيب فيه.

٤- السرقة: هي انحطاط المتأثر عن المؤثر، فهو أقل من سابقه، وهي سرقة معيبة^(١).

هذا التقسيم يكاد يلخص القضية في هذا الإطار، وأهم ما وراء هذا التقسيم هو إقرار الناقد بأن هناك ثلاثة من أربعة أشكال لتأثر الشاعر بسابقه مباحة.

الفروق بين التناس والسراقات:

يمكن للمتأمل أن يلاحظ جملة من الفروق الجلية بين مفهومي التناس والسراقات، لعل أظهرها:

- السرقة هي ظاهرة غير مشروعة بل تعد اتهاماً سيئاً إلى النص ومنشئه وتلبسهما لبوس النقص، أما التناس فظاهرة مشروعة، هي نتاج لتفاعل بين النصوص، وتمنح قيمة إضافية للنص بقدر براعة استخدامها.

- التناس ينطلق من نظرة كلية للنص، بينما السرقة تنطلق من نظرة جزئية لبعض أجزاء النص دون بعض.

- التناس هو سعي دعوب للبحث عن شاعرية النص، ومدى تعانقه مع نصوص أدبية أخرى، والسرقة توجه نحو الذات «ذات المبدع» والانتقاص من قدر صاحب النص.

- السرقة يعمد إليها الناقد غير المنصف من أجل التجريح وإنكار الإبداع على المبدع، وإدانتته، أما التناس فهو دراسة متأنية للنص بكلية تنم عن خبرة

(١) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص ١٩٥، ١٩٦.

الناقد وثقافته، كما تدل على سعة اطلاع المبدع ومهارته.

- السرقة عملية قسدية واعية يتعمدها صاحبها، أما التناس فيغلب عليه أن يكون فعلا لاواعيا يتسرب فيه المعنى أو اللفظ من الذاكرة، أو يكون تضمينا ظاهرا.

- السرقات تتكى على المنهج التاريخي، فالمفاضلة بين النصوص فيها تكون على أساس الزمن، فالسابق مبدع، واللاحق متأثر سارق. أما التناس فيتناول النص بمنهج تحليلي يتكى على النص الجديد وحده، ذلك المولود الذي هو الحفيد الشرعي لتلك النصوص السابقة، ففيه بعض الشبه منها، ولكن تبقى له شخصيته المستقلة.

- كثير من المصطلحات التي وضعت تحت مظلة السرقات لاتعبر عن الوضع الأصلي للمصطلح بل هي إلى التناس أقرب.

علاقة ما نسب إلى السرقات بالتناس

فإذا كان التناس -بمفهومه العام- هو تداخل النصوص، أو حضور نص داخل نص بطريقة ما، وجاءت آراء نقادنا القداماء في تناولهم للسرقات الشعرية - كما أطلقوا عليها- لتؤكد تداخل النصوص ومدى تأثر النصوص وتأثيرها، وكيف أن تلك المصطلحات المستخدمة قديما تلتقي في أغلبها مع مفهوم التناس، وهذه المصطلحات والمفاهيم قد تكون أوضح تقسيما، وأكثر تفصيلا من المصطلحات الغربية، فيسعدنا تقسيمها إلى مجموعتين: مصطلحات تنتمي إلى التناس وأخرى لا تنتمي إلى التناس (أقرب إلى وصف السرقات، وهذا لون من الإنصاف يعيد لمثل هذه المصطلحات شأنها ومكانتها بعيدا عن مسمى السرقات ويمكننا أن نجمل تلك المصطلحات كالتالي:

أولا: مصطلحات لا تنتمي إلى التناس، ومنها:

السرقعة:

وقد توسع القدماء - كما أسلفنا - في إشارتهم إلى شمول السرقعة لكل تأثر بشاعر سابق (أخذ كامل اللفظ والمعنى أو أخذ بعض المعنى، أو كامل اللفظ وبعض المعنى) فيقول ابن رشيقي: «والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى، كان ذلك لمعاصر أو قديم»^(١). إذا فالسرقعة بحق أخذ النص بكامله أو معظم أجزائه وأفكاره وادعاء الأبوة لها.

الغصب:

وهو أخذ النص غلبة على قائله في حياته؛ فينسب الشاعر لنفسه شعر غيره عنوة ويغلبه في أخذه رغم قيام الحجة للشاعر الأصلي، ويضطر لترك روايته. ومن ذلك ما صنعه الفرزدق حين اغتصب بيتاً من (اليربوعي)^(٢) حيث قال الفرزدق: «والله لتدعنه، أو لتدعن عرضك»، فقال اليربوعي: «خذه، لا بارك الله لك فيه».

الإغارة:

وهو أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً، فيروى له دون ذكر قائله، كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد: ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ** وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا^(٣)

(١) العمدة ٢/٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) هو: الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي، من تميم، شاعر فصيح بدوي، وكان هجاء، جيد الرثاء، أدرك دولة بني أمية، توفي سنة ٦٨ هـ. ينظر: الأغاني ٩/١٢، المؤلف والمختلف للحسن بن بشر الأمدى، تحقيق: ف. كرنكو، ط القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ص ٢٤.

(٣) ينظر: جمهرة أشعار العرب، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي الهاشمي دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م العرب ١/٢٦٤، الشعر والشعراء ١/١٢، الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي، ط (٢)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ١/٢٣٢.

فقال: متى كان الملك في بني عذرة؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره^(١).

وهو لا يختلف عن الغصب كثيرا، إلا أن صاحب النص الأصلي لا يترك روايته في شعره.

الاختلاس:

وهو استعمال المعنى القديم في غرض جديد. أو تحويل المعنى من غرض إلى غرض آخر،. كأن يتحول المعنى من نسيب إلى مدح. (ويُسمى أيضا، نقل المعنى).

ومن الاختلاس قول أبي نواس من الكامل:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ * فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ^(٢)

(١) العمدة ٢/٢٨٢.

(٢) ديوان الحسن بن هانئ، ص ٩٤٦، العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط(٣)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٤٨/١.

اختلسه من قول كثير^(١):

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا * تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

الاصطراف:

هو أن يُعجب الشاعر ببيتٍ من الشعر، فيصرفه إلى نفسه، ويلحقه بشعره دون علم صاحبه، ويغلب أن يكون مع الشعراء الأقدم.

وهو وليد الإعجاب بالسابق، والأخذ به، ويكون ذلك بإحدى طريقتين: أن يعتبره مثلاً له فهو «اجتلاب» و«استلحاق». وإن لم يكن على سبيل المثل فهو انتحال، وهو أقرب إلى السرقة وإن ورد على غير ذلك.

الانتحال والادعاء:

وهو أن يدعي شعراً لغيره، وليس بشاعر. وقد فرقوا بين الادعاء والانتحال، فإذا ادعى إنسان شعراً لغيره، وهو ليس بشاعر، فهو ادعاء، وإن كان شاعراً فهو انتحال.

هو أن ينتحل الشاعر قولاً لغيره وهو يقول الشعر، فيدعي الشاعر البيت أو الأبيات جُملةً لنفسه، وهي بلفظها كله، أو جُلّه لشاعر آخر. ومن ذلك قول جرير من الكامل:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُؤْبُوكَ غَادَرُوا * وَشَلًّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

(١) كثير عزة هو: أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، الخزاعي، القحطاني، شاعر متيم من أهل المدينة أكثر إقامته بمصر ووفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه قربه إليه، وكان مفرط القصر دميماً وهام بحب عزة بنت جميل الضمرية، واشتهر بها وأخباره معها كثيرة، وتوفي بالمدينة سن خمس ومائة هـ.

ينظر: خزانة الأدب ٢/٣٨١، ومعجم الشعراء ص ٣٥٠، والأعلام ٦/٧٢.

(٢) العمدة ٢/٢٨٧-٢٨٨.

غَيَّضَنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيَتْ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا؟^(١)
فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلّوط السّعدي انتحلها جرير، وانتحل-
أيضاً- قول طفيل الغنوي^(٢) من الطويل:

وَلَمَّا التَّقَى الْحَيَانَ أَلْقَيْتِ الْعَصَا ** وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(٣)

الموارد (توارد الخواطر):

وهي تطابق قول الشاعرين الغالب على الظن عدم التقائهما أو تسامعهما ببيت أو أكثر. وتصدق إذا صحّ أن الشاعر، لم يسمع بقول الآخر، وكانا في عصر واحد. ويسميه بعض النقاد (وقع الحافر على الحافر). وهنا تنتفي السرقة، كما ينتفي التناس، لاقتضائه لحضور النص في النص الآخر.

الاجتلاب:

قد عُرف بأن يجتذب الشاعر بيتاً لشاعر آخر، لا على سبيل السرقة، بل على سبيل التّمثّل به، وقد يسمى (الاستلحاق)، ومن الاجتلاب قول النابغة الذبياني:

وَصَهْبَاءَ لَا تُخْفِي الْقَذَى وَهِيَ دُونَهُ ** تُصَفِّقُ فِي رَأُوقِهَا ثُمَّ تُقْطَبُ
تَمَرَزُّنَهَا وَالْدِيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ ** إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنُوا فَتَصَوَّبُوا

(١) ديوان جرير، ص ٦٣٧، طبقات فحول الشعراء ٤١٢/٢، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢١٩/٢، الصناعتين الكتابة والشعر ٤/١، محاضرات الأدباء ٨٥/٢، ديوان الحماسة، شرح الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مطبعة التوفيق، مصر، ١٣٢٢هـ، ١٤٧/٢، خزنة الأدب ١٤٢/٦.

(٢) هو: طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني من قيس عيلان، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان وهو أوصف العرب للخيل، عاصر النابغة الجعدي، وزهير بن أبي سلمة، توفي نحو سنة ثلاث عشر هـ. ينظر: رغبة الآمل من كتاب الكامل، وهو شرح لكتاب الكامل للمبرد، لسيد بن علي المرصفي، طبع بمصر، ١٣٤٨هـ، ١٤٦/٢، وخزنة الأدب ٦٤٣/٣.

(٣) ينظر: العمدة ٢٨٣/٢-٢٨٤.

فاستلحق البيت الأخير ، فقال:

وَإِجَانَّةِ رِيَا الشَّرُوبِ كَأَنَّهَا * * إِذَا إِغْتَمَسَتْ فِيهَا الرُّجَاةُ كَوَكَبُ
تَمَزَّزْتُهَا وَالْدِيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنُوا فَتَّصَّوَبُوا^(١)

وبعضهم لا يعدون ذلك من باب السرقة. قال الأصمعي: ربّما اجتلب الشاعر البيت ليس له، فاجتذبه من غيره، فيورده شعره على طريق التمثيل، لا على طريق السرقة له.

ثانيا: مصطلحات تنتمي إلى التفاعل النصي، مثل:

السلخ:

وهو أخذ المعنى وبعض اللفظ، وسماه البعض (الإمام). وهو: أن يكون التأثير مقصورا على المعنى لا غير، من غير إيراد لفظ المتناص معه. أو أن يكون التأثير بأخذ المعنى، وشيء يسير من اللفظ، ومسمى الإمام مأخوذ من الإمام بالشيء أي معرفته، وتجيء بمعنى أنه لم يتعمق فيه، قال القزويني: (وإن كان المأخوذ المعنى وحده، سُمِّيَ: إِمَامًا وَسَلَخًا)^(٢).

الاهتدام:

وذلك إذا كان الأخذ فيما دون البيت ، ويُسمى النسخ - أيضا - وهو أن يأخذ الشاعر البيت أو البيتين ، وهو بمعنى التضمين. ومن الاهتدام قول النجاشي:

(١) الكتاب، لسيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ٤٧/٢، المقتضب، للمبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ٢٢٦/٢، دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: أ. محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص ١١٥، الحماسة البصرية ٧٤/٢، خزنة الأدب ٨٣/٨.

(٢) الإيضاح، ص ١١٢.

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَاحِحَةٍ ** وَرِجْلٍ رَمَتْ فِيهَا يَدُ الْحَدَثَانِ (١)

فأخذ (كُنْتُ) الشطر الأول ، واهتدم باقي البيت ، فجاء بالمعنى في غير اللفظ،
أتم البيت ، فقال: وَرِجْلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ (٢).

المُؤَازَنَةُ:

وهي الإتيان بنص (بيت) يوازي تماما البيت المتوازي معه بالتفعيلات والإيقاع،
وليس ضرورة أن يتشابهها في المعنى، بل يقتصر الشاعر على أخذ أبنية الكلمات
فحسب، مثل قول كثير:

تَقُولُ مَرِيضًا فَمَا عُدْنَا ** وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا (٣)
وازن في الشطر الأخير قول نابغة بني تغلب:

بَخَانَا لِبُخْلِكَ قَدْ تَعَلَّمِينَ ** فَكَيْفَ يَعِيبُ بَخِيلٌ بَخِيلًا (٤)

التضمين:

هو أن يضمن المبدع كلامه شيئاً من مشهور الشعر أو النثر لغيره من الأدباء
والشعراء.

(١) خزانة الأدب ٥/٢١١.

(٢) العمدة ٢/٢٨٧.

(٣) ديوان كثير عزة، شرحه: عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ط(١)، ١٩٩٤م، ص٩٦، الحماسة
البصرية ٢/١٥٩.

(٤) العمدة ٢/٢٨٨-٢٨٩.

الاقتباس:

وهو تضمين آية أو حديث شريف، أو أن يأخذ المبدع من القرآن والسنة ويدرجه في كلامه بطريقة صريحة أو غير صريحة.. والاقتباس: هو الأخذ والاستفادة، وعرفه الرازي^(١) فقال: (هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام، تزييناً لنظامه وتفخيماً لشأنه).

وقال ابن قيم الجوزية^(٢): (ويُسمى التضمين، وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره، ويدرجه في لفظه، لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيب، فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر، فهو تضمين، وإن كان قليلاً أو نصف بيت، فهو إيداع).
وقال الحلبي: هو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، ولا ينبّه عليه، للعلم به.

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين أبو عبد الله، القرشي، البكري، التيمي، الطبرستاني الأصل، ثم الرازي ابن خطيبها، المفسر، المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في علوم الشريعة، صاحب المصنفات المشهورة، أتقن علومًا كثيرة وبرز فيها. من تصانيفه: التفسير الكبير سماه «مفاتيح الغيب»، و«كتاب المحصول»، و«المنتخب»، وغير ذلك. توفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمئة.

ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٦٥/٢، طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ٨/٨١.

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن القيم، شمس الدين من أهل دمشق، ولد سنة إحدى وتسعين وستمئة، أحد كبار علماء الحنابلة، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية. من تصانيفه: الطرق الحكمية، وزاد المعاد، ومفتاح دار السعادة، والفروسية، ومدارج السالكين. توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمئة. ينظر: الدرر الكامنة ٤٠٠/٣.

الإمام:

هو أخذ استعارة اكتشفها شاعر أو مبدع قبله ، وهو في موقف الملم بها .
أو أن يعتمد إلى تضاد المعنيين ؛ بحيث يدل أحدهما على الآخر ، وهو ضرب
من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيبان:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً

وقول أبي الطيب:

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً البيت (١)(٢).

وتدرج تحته مصطلحات تفصيلية، نحو:

التناسب: وهو اختلاف الألفاظ واتفاق الأغراض.

والنقض: وهو نقض معنى من سبقه.

والنقل: وهو أخذ المعنى من فن إلى فن.

والزيادة: وهو زيادة المعنى، وقد أورد «ابن رشيق» الكثير من أمثلة هذا اللون

قول النابغة يذكر طول ليله:

كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ ** وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ** وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ^(٣)

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه:

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ ** وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لِحْظُ الْحَبَائِبِ

(١) شرح ديوان المتنبي، ص ٢٥٥، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، لعبد الله بن عبد الرحمن الاصبهاني،

دار الكتب العلمية، ص ٧، معجز أحمد ٢٩٣/١، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٥٩.

(٢) العمدة ٢٨٧/٢.

(٣) الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٤٥٣، زهر الآداب ١٤٥/٢، خزانة الأدب ٢٨٤/٢، ٢٣٦/٣.

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْلَهَمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِّنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَاهِبِ (١) (٢)

التعريض:

ومن التعريض والزيادة معا ما أورده «ابن رشيق» من «تلويح» وهو لون من التعريض قول المجنون قيس بن معاذ العامري:

لقد كنتُ أعلو حبَّ ليلي فلم يزلَّ * * بي النفضُ والإبرامُ حتى علانينا (٣)

فلوح بالصحة والكتمان، ثم بالسقم والاشتهار تلويحًا عجيبًا، وإياه قصد أبو الطيب بعد أن قلبه ظهرًا لبطن فقال:

كَمَّمْتُ حَبَكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرُمَةٌ * * ثم استوى فيك إسراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاض عن جسدي * * فصار سُقْمِي به في جِسْمِ كِثْمَانِي (٤)

إلا أنه أخفاه وعقده كما ترى، حتى صار أحجية يتلاقها الناس.

التوليد اللفظي:

وهو أن يقتدي الشاعر بشاعر آخر مولدا من اللفظ معنى أو إضافة عليه، ومما أورده «ابن رشيق» في هذا قول أمية بن أبي الصلت (٥) يمدح عبد الله بن

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي، ص ٤٠.

(٢) العمدة ٢/٢٤١.

(٣) محاضرات الأدباء ٢/٤٨، الحماسة البصرية ٢/٢١٨.

(٤) ديوان المتنبي ٤/١٩٢، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص ٤٢.

(٥) هو: أمية بن عبد الله بن أبي الصلت التقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل

الإسلام، وكان مطلعًا على الكتب القديمة، وهو ممن حرّموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في

الجاهلية. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة. توفي سنة خمس هـ. ينظر: جمهرة

الأنساب، ص ٢٥٧، خزانة الأدب ١/١١٩، تهذيب تاريخ ابن عساكر، لابن بدران، المكتبة العربية،

دمشق، ط (١)، ٣/١١٥.

جدعان^(١):

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ تَبَجَّ وَصُلْبٌ * * وَأَنْتَ الرَّأْسُ أَوْلُ كُلِّ هَادٍ^(٢)

فقال نصيب^(٣) لمولاه عمر بن عبد العزيز:

فَأَنْتَ رَأْسُ قَرِيشٍ وَابْنُ سَيِّدِهَا * * وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ^(٤)

فولد هذا الشرح وإن كان مجملاً في قول أمية بن أبي الصلت.. ثم أتى علي بن جبلة^(٥) فقال يمدح حميد بن الحميد:

فَالنَّاسُ جِسْمٌ، وَإِمَامُ الْهَدَى * * رَأْسٌ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ^(٦)

فأوقع ذكر العين على مشبه معين، ولم يفعل نصيب كذلك، لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم؛ لأن من ولد عمر هو ولي عهد، ففي قول علي بن جبلة زيادة.. وجاء ابن الرومي^(٧) فقال:

(١) هو: عبد الله بن جدعان سيد بني تميم، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وكان من الكرماء في الجاهلية وكان في بدء أمره فقيراً مملقاً وكان شريراً يكثر من الجنايات حتى أبغضه قومه. ينظر: البداية والنهاية ٢/٢١٧.

(٢) نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى، ١٩٥٣م، طبع بمصر ٨/٢٩٢.

(٣) هو: أبو الحجن نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر مقل، مقدم في النسيب والمدائح، كان عبداً فاشتراه عبد العزيز بن مروان واعتقه، وتتمسك في أواخر عمره، وتوفي سنة ثمان ومائة هـ.

ينظر: الشعر والشعراء، ص ١٥٣، وطبقات الجمحي ٢/٦٧٥، والأعلام ٨/٣١.

(٤) العقد الفريد ٥/٢٥٧، الأغاني ١٣/٩٦.

(٥) هو: علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الابناوي، من أبناء الشيعة الخراسانية، أبو الحسن، المعروف بالعمكوك: شاعر عراقي مجيد، واستنفذ أكثر شعره في مدح أبي دلف العجلي. وقتله المأمون سنة ٢١٣ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/٣٤٨، وتاريخ بغداد ١١/٣٥٩.

(٦) الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م، الطبعة الأولى ١/٢٦٠، الحماسة البصرية ١/١٤٦.

(٧) هو: علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالى بني العباس، ولد ونشأ في بغداد وتوفي بها سنة ثلاث وثمانين ومائتين هـ.

عين الأمير هي الوزى * * ر وأنت ناظرها البصير^(١)
فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة، فهذا مجرى القول في التوليد^(٢).

التوليد المعنوي:

قال عنه «ابن رشيق»: أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة؛ فلذلك يسمى التوليد، وليس باختراع؛ لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له أيضاً سرقة إذ كان ليس أخذاً على وجهه، ومن ذلك قول امرئ القيس:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا * * سَمَوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ^(٣)
فقال عمر بن أبي ربيعة^(٤)، وقيل: وضاح اليمن^(٥):

فأسقط علينا كسقوط الندى * * ليللة لاناها ولا زاجر^(٦)

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه، أو ينحو نحوه إلا في المحصول، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية^(٧).

ينظر: وفيات الأعيان ١/٣٥٠، وتاريخ بغداد ١٢/٢٢، ومعجم الشعراء ص ٢٨٩.

(١) ديوان ابن الرومي، لابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢/٧٠٨.

(٢) العمدة ١/٢٦٤.

(٣) الصنائع الكتابة والشعر، ص ٢٤٩، سر الفصاحة ص ٢٥١، معاهد التصييص ٢/٨، خزنة الألب ١/٣٢٦.

(٤) هو: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قریش أشعر منه، ولد سنة ٢٣هـ في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه، غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً سنة ٩٣هـ.

ينظر: وفيات الأعيان ١/٣٥٣، ٣٧٨، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ١١.

(٥) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من آل خولان، من حمير: شاعر، رقيق الغزل، عجيب النسيب. كان جميل الطلعة يتقنع في المواسم. له أخبار مع عشيقته له اسمها (روضة) من أهل اليمن. قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد ابن عبد الملك، فرأى (أم البنين) بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد، فتغزل بها، فقتله الوليد. ينظر: النجوم الزاهرة ١/٢٢٦، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/٢٩٥، والأعلام للزركلي ٣/٢٩٩.

(٦) الأغاني ٦/٢٢٩، الحماسة البصرية ٢/١١٣، ديوان المعاني ١/٢٢٦.

(٧) العمدة ١/٢٦٣.

وقد صنع الصنيع ذاته «ابن شهيد» مع بيت امرئ القيس في قوله:

سموت إليها بعدما نام أهلها ** سمو حباب الماء حالاً على حال^(١)

عمد إليه ابن شهيد وولد فيه من المعاني الأخرى، وفصل ما أجمل الأول،

يقول ابن شهيد:

ولمّا تَمَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ ** فنام ونامت عيون العَسَسِ

دنوتُ إليه على بُعْدِهِ ** دُنُو رَفِيقِ دَرَى ما التَمَسِ

أدبُ إليه ديببَ الكَرَى ** وأسمو إليه سُمُو النَّفَسِ^(٢)

فقد فصل ابن شهيد المعنى في قالب إيقاعي جديد ومختلف.

التكرار:

ضرب ابن رشيق مثلاً للتكرار في تناوله للجديد من الشعر، وقد ورد فيه التكرار، وهو أن يعجب الشاعر المتبع بمعنى للشاعر المبتدع فيوظفه، ثم لا يلبث أن يكرره، ومن ذلك ما ساقه ابن رشيق: مما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ^(٣):

إذا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ** عرابةَ فاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ^(٤)

(١) خزانة الأدب ٥٥٠/٨.

(٢) رسالة التوابع والزوابع، ابن شهيد الأندلس، ص ١٣٢، نوح الطيب ١٩٨/٣.

(٣) هو: الشماخ بن ضرار - وقال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه - ابن حرملة بن سنان

المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، وكان أرجز

الناس على البديهة. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة اثنتين وعشرين هـ.

ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٢٣، والحماسة المغربية ١/٢٠٦، والإصابة ٣/٣٥٣، والوافي بالوفيات،

للصفي، تحقيق: أحمد الأرنبوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،

١٠٣/١٦.

(٤) ينظر: ديوان الشماخ بن ضرار ص ٦٩، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١/١٢٤، والحماسة البصرية ١/١٢٢، وخزانة الأدب ٣/٣٨.

فقال أبو النواس:

أقول لناقتي إذا بَلَّغْتِي * * * لقد أصبحت مني باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلاً ولا قلت «أشرفي بدم الوتين»^(١)

وكرره فقال:

وإذا المطيبي بنا بَلَّغْنَ محمداً * * * فظهورهن على الرجال حرام
قرئنا من خير من وطئ الحصى فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمَامٌ^(٢)

التوسع:

وهو أن يلتقط المبدع لفظاً فيتوسع فيه استخداماً وتوظيفاً في السياق، أو يتوسع في مدلوله ومعناه، ومن ذلك ما قاله التبريزي^(٣) في قول القائل:

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا * * * ونشتم بالأفعال لا بالتكلم^(٤)

وعلق التبريزي على هذا بقوله: وتجهل أيدينا.. أفعال الإنسان كلها منسوبة إلى جوارحه على التوسع، فلذلك نسب الجهل إلى الأيدي والحلم إلى الرأي والمعنى: أن أيدينا تجهل في ضرب الأعداء وفي رأينا الإصابة ولسنا نشتم أعداءنا بالتكلم بل

(١) ينظر: الزهرة ٢٠٩/١، والموازنة، ص ٩٧، والصناعتين ص ٢١١، وخزانة الأدب ٤٠/٣.

(٢) ينظر: ديوان الحسن بن هاني ص ٨٣٤، ومحاضرات الأدباء ٦٢٣/١، والحماسة المغربية ٢٧٩/١، والحماسة البصرية ١٢٣/١.

(٣) هو: يحيى بن علي بن محمد الشيباني، المعروف بالخطيب التبريزي (أبو زكريا) أديب، نحوي، لغوي، عروضي، ولد سنة ٤٢١ هـ ونشأ ببغداد، ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ على أبي العلاء المعري وأخذ عنه، من تصانيفه: شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، الملخص في إعراب القرآن في أربع مجلدات. توفي سنة ٥٠٢ هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط(٣)، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ٢٦٩/١٩.

(٤) ينظر: ديوان الحماسة ص ٢٥٢، والصناعتين الكتابة والشعر ص ٤٩، وديوان المعاني ص ٨٠، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٩١/٣.

نشتمهم بِالْفِعْلِ وَهُوَ قَتَلْنَا لَهُمْ^(١).

ولقد عده ابن الأثير مفهوما يذكر للتصرف في اللغة لا لفائدة أخرى، ولهذا نراه يضعه ضمن المجاز جنبا إلى جنب مع التشبيه والاستعارة، ورد على من يحكم بأنه شامل لأنواع المجاز كلها بوصفها جميعا تعد توسعا في الاستخدام، فالتوسع في التشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعًا، وإن لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالهما.. وقد جعل ابن الأثير التوسع على ضربين:

أحدهما: يرد على وجه الإضافة، واستعماله قبيح، لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه؛ وذاك لأنه يلتحق بالتشبيه المضمرة الأداة، وهذا الضرب كما وصفه لا يستعمله إلا جاهل بأسرار البلاغة، أو ساه غافل، وعد منه قول أبي تمام:

وكم أحزرتُ منكم على قبحِ قَدِّها * * صُرُوفِ النَّوَى من مُرهِفِ حَسَنِ الْقَدِّ^(٢)

الاحتباك:

وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول، وقد مثلوا له بقول أبو صخر الهذلي:

إِذَا ذُكِرْتُ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا * * كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّهَ الْقَطْرُ^(٣)

فإن التَّقْدِيرَ فِيهِ: وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَةَ وَانْتَفَاضَةَ كِهْزَةِ الْعُصْفُورِ وَانْتَفَاضَتَهُ.

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة ٢٥٢/١.

(٢) ينظر: الموازنة، ص ٦٠، والصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٠٥، وسر الفصاحة، ص ١٣٥.

(٣) ينظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢٩٨/٧، والبرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت ط (١)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٣/١٣٠، وتاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٢٨/١٠٥.

فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ (١).

وقول الحارث بن حلزة (٢):

والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ ** لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا (٣)

أورد القزويني بعد شرح البيت في الهامش تعليق السيوطي عليه بقوله: «أنه لا إخلال فيه، بل فيه نوع بديعي هو الاحتباك؛ حيث حذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر فما ذكر في كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر» (٤).

وعد من قبيل الاحتباك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الْأَتَقَاتِ فَعَثَّ تَقَتِلُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (٥).

فَحَذَفِ الوصف وهو لفظ «مؤمنة» في الأوائل لدلالة مقابله في الأواخر لفظ «كافرة» وحذف من الأواخر جملة «تقاتل» في سبيل الطاغوت لدلالة مقابله في الأوائل، وهي جملة ﴿ تَقَتِلُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ ﴾.

وهذا الحذف من الأوائل لدلالة الأواخر، ومن الأواخر لدلالة الأوائل يُسَمَّى

(١) ينظر: خزانة الأدب ٣/٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) هو: الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد البشكري الوائلي، شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات، كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقاته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، وجمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم، له ديوان شعر. توفي نحو سنة خمسين ق هـ.

ينظر: الأغاني ١١/٤٢، وخزانة البغدادي ١/١٥٨.

(٣) ينظر: ديوان الحارث بن حلزة، ص ١٦، وجمهرة اللغة ٢/١٠٠٠، والأغاني ١١/٥٢، والصناعتين الكتابة والشعر ص ١٨٨.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة ٣/١٧٤.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٣.

«الاحتَبَاكَ» إذا اجتمع الحذفان معاً^(١).

الإيداع:

وهو أن يعمد الشاعر أو المتكلم إلى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدرًا أم عجزًا، وأما الناثر فإن أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمي إيداعًا، وإن كان لنفسه سمي تفصيلًا.. وقد عده بعضهم من باب التضمين وهو خاص بالنثر، وأن يكون المودع نصف بيت إما صدرًا أو عجزًا^(٢). وعدوا منه قول عليّ رضي الله عنه في جواب كتاب لمعاوية:

ثم زعمت أنني لكلّ الخلفاء حسدت، وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك، حتى تكون المعذرة إليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها^(٣).

وقد مثلوا له في الشعر، وهذا العجز من البيت ذاته تمثل به عبد الله بن الزبير حين عيره أهل الشام بقولهم: يا ابن ذات النطاقين على سبيل المعيرة لها بذلك، يقصدون على طريقة الجاهلية أنها كانت خادمة لا مخدومة، فأنشد من الطويل:

وعَيْرَهَا الواشونَ أني أحبُّها * وتلكَ شِكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها^(٤)

لأن هذا الاسم من فخر أسماء رضي الله عنها، فإنه سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخرجت له ولأبيها رضي الله عنه زاد الهجرة، فأخذ الإمام عجز هذا البيت فأودعه كلامه

(١) البلاغة العربية، الميداني دمشقي ٣٤٧/١.

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ١٦٤/٧.

(٣) أسرار البلاغة ١٦٦/١.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة ٨٧٨/٢، وتهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١)، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ١٣٨/٦، ومعجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٩٩١م، ٤٧٢/٣، ودرة الغواص، الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م، ١٤٨/١، ولسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، بتحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون. ط دار المعارف ٤٤١/١٤.

بعد أن وطأ له توطئة لائقة به. ملائمة له^(١).

الاستعانة:

سئل العتابي عن «الاستعانة» في بلاغة الخطيب فقال: أن يقول عند مقاطع كلامه: اسمع مني، وافهم عني؛ أو يمسح عثونه، أو يقتل أصابعه، أو يكثر التفاته من غير موجب، أو يتساعل من غير سعة أو ينبهر في كلامه^(٢).

وفي الشعر قيل: «أن يستعين الشاعر ببيت لغيره، في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته، وخصوصاً أبيات التوطئة له، وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه، إن لم يكن البيت مشهوراً، وبعضهم لم يشترط ذلك، وهو الصحيح، ومنه:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كَوْرِهَا ** وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ»^(٣)

فهذا البيت للأعشى استعان به علي عليه السلام.

وتعد «الاستعانة» بهذا المفهوم لونا من التضمين، حتى قيل إن التضمين يشمل الاستعانة والإيداع والرفو، يقول: الميداني الدمشقي: «فإذا بلغ مقداره تضمين بيت فأكثر، فقد يُطلق عليه لفظ «الاستعانة». وإذا كان مقداره شطر بيت أو دونه، فقد يُطلق عليه «الإيداع» إذ الشاعر قد أودع شعره شيئاً من شعر غيره، وقد يُطلق

(١) ينظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ٣٨١/١.

(٢) ينظر: العقد الفريد ١٢٦/٢، والعمدة ٢١٦/١.

(٣) ينظر: ديوان الأعشى الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ١٠٧، وإصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط(٤)، ص ٢٨٢، وأدب الكاتب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٩٨٢م، ٣١٢/١.

عليه «الرَّفْوُ» لأنَّ الشاعر «رَفَا» حَزَقَ شِعْرَهُ بشيءٍ من شعر غيره»^(١).

الاحتذاء:

اعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر أن يبدأ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبياً - والأسلوب ضرب من النظم والطريقة فيه - فيعتمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره. وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر محتذياً، إلا بما يجعلونه به أخذاً ومُسترقاً.

وعد من قبيل ذلك: قول امرئ القيس:

كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّدَةِ ** ولم أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خِلْخَالِ
ولم أَسْبَأْ الزَّقَّ الرُّوِيَّ ولم أَقُلْ لَخِيلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

قد أخذه، عبد يغوث الحارثي:

كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا ولم أَقُلْ

لَخِيلِي كُرِّي نَفْسِي عن رجاليا

وَلَمْ أَسْبَأْ الزَّقَّ الرُّوِيَّ ولم أَقُلْ

لِإِسَارِ صِدْقٍ: أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

التلميح:

إشارة المتكلم في كلامه إلى آية أو حديث أو شعر مشهور أو مثل سائر أو قصة.

وذلك نحو قول أبي تمام:

لعمرو مع الرَّمْضَاءِ والنَّارِ تَلْتَنِظِي ** أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

(١) البلاغة العربية، الميداني المشقي ٥٤٠/٢.

أراد البيت المضروب به المثل: المستجير بعمره عند كربته، كالمستجير من الرّمضاء بالنار.

الحل: تحويل الشعر إلى نثر.

العقد: تحويل النثر إلى شعر.

وقال أبو العتاهية^(١) في ذلك:

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ * * فأنت اليوم أوعظُ منك حيًّا^(٢)

قال عيسى عليه السلام: تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل ما يجازى به أهل الحسنات؛ أجل لا يجنى الشوك من العنب. فقال ابن عبد القدوس^(٣):
إذا وتّرتَ امرأً فاحذِرْ عداوتَهُ * * من يزرعُ الشوكَ لا يحصدُ العنبًا^(٤)

كشف المعنى: وهو إظهار المعنى الذي تحدث فيه الأول من طرف الأخير.
فأما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس:

(١) هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي بالولاء، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية، ولد سنة ثلاثين ومائة هـ، شاعر مكثر، سريع خاطر، كان ينظم المائة والمائة والخمسين بيتًا في اليوم، توفي في بغداد سنة إحدى عشرة ومائتين هـ.

ينظر: معاهد التصحيح ٢/٢٨٥، لسان الميزان ١/٤٢٦، تاريخ بغداد ٦/٢٥٠.

(٢) ينظر: الحيوان ٣/٩١، والبيان والتبيين ١/٢١١، وعيار الشعر ١/١٣١، والعقد الفريد ٣/٢٠٥، والأمثال في لغة العرب ٣/٣، والصناعتين الكتابة والشعر ١/١٥، وزهر الآداب ٢/٨١.

(٣) هو: صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، مولاهم، أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلمًا، يعظ الناس في البصرة، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد نحو سنة ستين ومائة هـ.

ينظر: نكت الهميان في نكت العميان، لصاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، مصر، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، ص ١٧١، وأمثال المرتضى ١/١٠٠، وفوات الوفيات ١/١٩١.

(٤) ينظر: الأمثال لابن سلام ١/٥٠، والزهرة ١/٢٢٠، وجمهرة الأمثال ١/١٠٥، والحماسة المغربية ٢/١٢٤١، والحماسة البصرية ٢/٥٩، نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٧٧.

نُمَشِّي بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا ** إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضَهَّبٍ^(١)

وقال عبدة بن الطبيب^(٢) بعده:

ثَمَّةٌ قُمْنَا إِلَى جُرْدِ مُسَوِّمَةٍ ** أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيْلُ^(٣)
فكشفت المعنى وأبرزه^(٤).

المجدود: وهو أن يشتهر المعنى ويظل جارياً على الألسنة في جدة متميزة. أما المجدود من الشعر فنحو قول عنتره العبسي^(٥):

وَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرَمِي ** وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدِّلاً
على قول امرئ القيس:

وَشَمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَمَا ** نَبَحْتُ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي^(٦)

(١) ينظر: ديوان امرئ القيس، لامرؤ القيس، دار الكتب العلمية بيروت، ص ١٦، والبديع في نقد الشعر، ص ٥٠، والعين ٢٢٥/٦، إصلاح المنطق ٤٢٤/١، والشعر والشعراء ١٥٥/١،

(٢) هو: عبدة بن يزيد الطبيب بن عمرو بن علي، من تميم، شاعر فحل، من مخزومي الجاهلية والإسلام، كان أسود شجاعاً، شهد الفتوح، وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن، بالمدائن وغيرها. توفي نحو سنة خمس وعشرين هـ.

ينظر: الأغاني ١٦٣/١٨، والشعر والشعراء، ص ٢٧٩، ومعاهد التنصيص ١٠٢/١.

(٣) ينظر: المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاکر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط(٦)، ص ١٤١، والعقد الفريد ١٤٣/١، والأغاني ٣٢/١٠، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢١٩، والحماسة البصرية ٣٢٤/٢، ومعاهد التنصيص ١٠٣/١.

(٤) العمدة، لابن رشيق ٢٩٠/٢.

(٥) هو: عنتره بن شداد بن عمرو بن العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد. يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، قتلته الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي. ينسب إليه ديوان شعر، أكثر ما فيه مصنوع. توفي سنة اثنتين وعشرين ق. هـ.

ينظر: الأغاني ٢٣٧/٨، والشعر والشعراء ص ٧٥.

(٦) ينظر: ديوان امرؤ القيس ص ٧١، والأغاني ٣٠١/٣، وتهذيب اللغة ٧٦/٥، والحلل في شرح أبيات الجمل، لابن السيد البطلوس، تحقيق: د. مصطفى إمام، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط(١)، ١٩٧٩م، ٧٤/١.

ومنه أخذ عنترة، والمخترع معروف له فضله، متروك له من درجته، غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره إن كان طويلاً، أو يبسطه إن كان كزاً، أو يبينه إن كان غامضاً، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافاً، أو رشيق الوزن إن كان جافياً فهو أولى به من مبتدعه، وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر^(١).

المُرَادَةُ:

أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات، يهبها له. والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة، وأكثر من ذلك، إذا كانت شبيهة بطريقته، ولا يُعدّ ذلك عيباً، ولا يجوز ذلك إلاّ للشاعر الحاذق المبرز. أن يقدم الشاعر لزميله أبياتاً على سبيل المعونة تنمة لمعنى كان قد بدأ فيه ولم يكمله «أو الاستزفاد» بأن يرفد بها شاعراً آخر، ليغلب خصماً له في الهجاء كما قال جرير^(٢)

لذي الرمة^(٣): أنشدني ما قلت لهشام المرئي، فأنشده قصيدته:

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بَحْرُوِي * مَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ القِطَارَا^(٤)

(١) العمدة ٢/٢٩٠.

(٢) هو: جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفَى بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره، ولد سنة ثمانٍ وعشرين هـ، ومات سنة عشر ومائة هـ في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هَجَاءً مَزّاً؛ فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً.

ينظر: وفيات الأعيان ١/١٠٢، خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٦.

(٣) هو: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيش بن مسعود العدوي، من مضر، ولد سنة سبع وسبعين هـ، شاعر من فحول الطبقة الثانية من عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بإمرئ القيس، وختم بذي الرمة، توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ. ينظر: الشعر والشعراء، ص ٢٠٦، ودائرة المعارف، للبيستاني، دار الحياة، بيروت ٩/٣٩٢، والأعلام ٥/١٢٤.

(٤) ينظر: ديوان ذي الرمة، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ص ١١٩، والألمالي في لغة العرب ٢/١٤٢، والأغاني ٨/٦٢، وتاج العروس ٣٧/٤٢٢.

فقال: ألا أعينك؟ قال: بلى بأبي وأمي، قال: قل له:

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ ** بيوتَ المجدِ أربعةَ كَبَارَا
يَعُدُّونَ الرَّيَّابَ وَآلَ سَعْدٍ ** وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا الْمَرْئِيُّ لَغْوًا ** كما أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْحوَارَا^(١)

فلقية الفرزدق، فلما بلغ هذه قال: جيد، أعده، فأعاده، فقال: كلا والله، لقد
علكهن من هو أشد لحيين منك، هذا شعر ابن المراغة^(٢).

الالتقاط والتلفيق:

إذا أُلِّفَ البيت من أبيات، قد رُكِّبَ بعضها من بعض. وبعضهم يسميه:
الاجتذاب والتركيب. ومن هذا الباب كشف المعنى والمجدود من الشعر، وسوء
الاتباع، وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه^(٣).

أما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية^(٤):

إذا ما رأني مقبلاً غَضَّ طَرْفَهُ ** كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي مُقَابِلُهُ^(٥)
فأوله من قول جميل:

(١) ينظر: الأمازي في لغة العرب ١٤٢/٢، والأغاني ٦٢/٨، والإنباه على قبائل الرواة، لأبي عمر يوسف بن
عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري الرواة، دار الكتاب
العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٥٧/١.

(٢) العمدة ٢٨٢/٢.

(٣) العمدة ٢٨٢/٢.

(٤) هو: يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة: شاعر
مطبوع. من شعراء بني أمية، مقدم عندهم، وله شرف وقدر في قومه بني قشير. كنيته «أبو المكشوح»
ونسبته إلى أمه من بني «طثر» من عنز بن وائل. وفي اسم أبيه خلاف. كان حسن الشعر، حلو
الحديث، شريفاً، متلواً للمال، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة. توفي سنة ١٢٦هـ

ينظر: إرشاد الأريب ٢٩٩/٧، وفيات الأعيان ٢٩٩/٢.

(٥) ينظر: البديع في نقد الشعر، ص ٤٦.

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيةٍ ** يقولون: من هذا؟ وقد عرّفوني^(١)
ووسطه من قول جرير:

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ ** فلا كعباً بلغت ولا كلاباً^(٢)
وعجزه من قول عنتره الطائي:

إذا أبصرتني أعرضت عني ** كأنَّ الشمسَ من حولي تدور^(٣)

الاتقاط والتغليظ: وهو بناء البيت من أبنية أبيات عديدة.

تجليات التناص في صور أخرى:

وقد يتجلى التناص في صور معرفية وأدبية أخرى - خارج معركة السرقات،
ويقوم أساساً لبعض الاتجاهات المعرفية، ومن ذلك:

الاتفاق:

المراد الاتفاق في الغرض، وهو على لونين: عام وخاص، أما العام فهو اتفاق
ما يشترك في معرفته الناس ويوصف بأنه مستقر في العقول والعادات.

والخاص: مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر، ويناله بطلب واجتهاد، ويعد
المعنى العقلي عاماً، والتخييلي خاصاً، و«الجرجاني» ينفي تهمة السرقة عن المعنى

(١) ينظر: ديوان جميل بثينة، ص ١١٠، ومجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي الشيباني،
المعروف بثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط(٥)، ١٩٨٧م، ص ٣٩، والأمالي
في لغة العرب ٢٠٧/١، وزهر الآداب ٣٨٢/١.

(٢) ينظر: ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد طه، دار المعارف، القاهرة، ص ٧٣، وجمهرة أشعار العرب
٧١/١، والعين ٣٤١/٤، وطبقات فحول الشعراء ٣٧٩/٢، والمقتضب ١٨٥/١، والأغاني ٩/٨.

(٣) ينظر: ديوان الحماسة، ص ٧٣، والبديع في نقد الشعر، ص ٤٧، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء
٦٨/١، والواضح في مشكلات شعر المتنبي ١٤/١.

(٤) العمدة، لابن رشيقي ٢٨٩/٢، ٢٩٠.

العقلي، ويثبتها للمعنى التخيلي.

التعريب: نقل النص من لغة أجنبية إلى العربية والتصرف في بعض ملامحه باستبدال بعض الأحداث أو الأفكار أو الأماكن والأعلام بما يلائم الصبغة العربية.

الترجمة: نقل النص من لغة إلى أخرى.

«وهو من وجهة نظر البحث نص آخر يتعلق به النص المترجم، فالنص المترجم هو قراءة ثانية وإنتاج آخر فيها احترام للنص السابق، وفيها خرق يعتري القوافي والإيقاع، وفيها إكمال وتمطيط بسيط للموقف، فهي فعل قراءة وإعادة كتابة، ومشروع استيراد وتطبيع يخضع منته وإنشأؤه من جديد لخيارات ذات طبيعة لغوية وأسلوبية وجمالية وأيديولوجية»^(١).

(١) التفاعل النصي، ص ٢٧٢.

النقل:

من لغة إلى لغة مع الإشارة إلى النص الأصلي.

الاستدعاء والاستحضار والاستلهام والتوظيف: وليس بينها اختلافاً ذا بال، ويمكن أن تنطوي تحت التناسخية^(١).

المحاكاة:

يلتجئ المبدع إلى توظيف المقتبس أو المستنسخ بطريقة حرفية دون أن يبدع فيها.

الإحالة:

غالباً ما نجد الكاتب يوظف بعض الكلمات أو العبارات التي توحى بإشارات أو إحالات مرجعية رمزية أو أسطورية^(٢).

(١) السابق ص ٢٤٢.

(٢) آفاق التناسخية ص ٣.

المبحث الخامس: التناص بين آي القرآن الكريم

القرآن الكريم كتابُ الله المعجز الذي أيد الله به نبيه محمداً ﷺ وجعله معجزته لقوم كانت صنعتهم الأولى هي الكلام، يتنافسون فيه ويتبارون ويجعلون للكلمة سوقاً تُلقى فيه ونُقِّم، وقد احتوى القرآن الكريم معجزاتٍ كثيرة لا تستطيع الأذهان إحصاءها إلا أن الله - تعالى - يُبدي لكل عصر شيئاً منها، ومن هذا الإعجاز القرآني، أنك تجد بين آي القرآن ضرباً من التعالق والتعانق لا تتأتى لأي نص بشري، حتى أنك تجد بعضه يفسر بعضاً.

التناص القرآني بين التطبيق والتنزيه:

يجد المسلم نفسه مترددا إزاء تطبيق بعض المفاهيم والنظريات اللغوية على النص القرآني لما يحمله من القداسة، وما ينبغي له من التنزيه عن أي نقص قد يشوب أصل المفهوم أو النظرية أو مفرداتهما مما لا يليق بنص شأنه الكمال المطلق من كل وجه، وحقه الاحترام التام لجنابه الكريم: كونه كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). إلا أن هذا الحال من استحضار الهيبة، والتخوف من الجرأة على حياض القدسية، والقول على الله بغير علم، يترافق مع استشعار اللوالب المتعلق بالباحث المسلم في هذا الحقل من التعبد لله بإظهار وجوه جديدة لإعجاز هذا الكتاب العظيم، أو السير على منوال سلفنا من علماء العربية الذين أقاموا النص القرآني محوراً حاكماً لما استجد من دراساتهم، وجعله المرجعية ذات المصادقية الكبرى لتطبيقاتهم، فكانوا يكتفون بالشاهد القرآني الواحد لإقامة القاعدة أو قبول النظرية.

إشكالان يواجهان دارس التناص في القرآن:

يحاول الباحث هنا أن يسير في هذا الحقل الشائك مسيراً حذراً؛ فيتجنب التبع الأعمى لأصول مفهوم التناص في صورته الأولية، وما يتبعها من تفاصيل.

ويستحضر -في ذات الوقت- ما ينبغي للنص القرآني من التنزيه عن كل ما يجر له شبهة تنقص، أو احتمال عيب، مراعيًا لتحديدين حقيقين بالتوقف عندهما ومحاولة الإجابة على ما يطرحانه في الذهن من تساؤلات، ومعالجة ذلك، وهما:

١-النشأ الغربية للمصطلح في صورته الراهنة .

وما يتبع ذلك من تصور أولي لكون الفهوم المندرج تحت هذا المصطلح صناعة غربية وابن بار لبيئته الأولى، وكل ما يجيء بعد ذلك هو تابع.

ولكن دراسة هذا التساؤل، ووضعه على طاولة البحث هو السبيل العلمي للوصول إلى الإجابة شافية، وحل واضح لهذا الإشكال، وقد كان.

فكان من العوامل الرئيسة المشجعة على التعاطي مع هذا المفهوم، ثم الوصول إلى نتيجة مخالفة لذلك التصور الأولي جذريا، مايلي:

أ- حتمية تواجدالتناص في كل اللغات الانسانية فهو ظاهرة من ظواهر اللسان الانساني، وكلما حصل من الدارسين الغربيين هو أسبقية الكشف عن وجوده - لا إيجاده- ومحاولة وصفه ، وبالتالي فهو لم يكن قط صناعة غربية محضة.

ب-وفرة شواهد حضوره في الواقع اللغوي العربي، وشيوع استخداماته المتكررة والمتنوعة في حقولها المختلفة .

ج- رصد علماء العربية لأجزاء كبيرة من هذه الظاهرة اللغوية في لغتنا العربية ، ودقة وصفهم لها ، وعنايتهم بها سبرا وتقسيما ، وتقصيا للشواهد ، وإقامة للدراسات المختلفة حولها .

د-عناية علماء التفسير والدراسات القرآنية بعدد من القضايا التي يحضر فيها البعد التناصي بشكل جليّ، وبدا ذلك واضحا في عدد من الظواهر اللغوية -مثل المتشابه اللفظي ، والأساليب التفسيرية - مثل تفسير القرآن بالقرآن ، وصولا إلي نشأة بعض العلوم القرآنية -مثل علم المناسبات .

وقد توسع العلماء في التعاطي مع هذه القضايا وأقاموا حولها المؤلفات والدراسات , وعند التأمل في تفاصيل ذلك نجد أن واحد من أهم الأصول التي اعتمدوا عليها هو استخدام التناص كمسبار راصد لعدد من هذه الظواهر , وأداة رئيسة لتطبيق بعضها , وبحثه .

٢- نشأة المصطلح مرتبطاً بالشعر والرواية والدراسات النقدية المحيطة بهما , مما أثر على المصطلحات الفرعية .

ولذلك بعد أن قمت بوصف ملامح المصطلح عند كبار دارسيه قدمت التصور الذي وصلت اليه واقصده في هذه الدراسة^(١). متخلصاً من بعض رواسب المصطلح وظلاله التي لا تليق بالقرآن, وقد اقتضى هذا الأمر أن أبدأ بتقرير ما يلي:

أ- رفعة القرآن وقدسيته دون غيره من نصوص اللغة, فهو المعيار الأول في ثقافتنا للقبول والرفض, ويترتب على ذلك أن ما أقوم به ليس استخذاء امام المصطلح الغربي ومحاولة لالصاق القرآن به , بل هي محاولة لعرض التناص على النص المحوري في الدراسات العربية لأخذ ما يناسب لغتنا وقرآنا من مفردات هذا المفهوم , واطراح ما يتناقض معها .

كما أن هذه الدراسة تمثل أقوى طريق يمكن أن يعطي لهذا المفهوم قدراً أكبر من المصادقية وقابلية التطبيق , أو ينزعهما عنه .

ب- أن ما أقوم به هو محاولة لتطوير المصطلح, وتطويعه بما يتناسب مع أصول لغتنا , فرغم أن أصل المصطلح يدخل تحت ظواهر اللسان الإنساني , ولها تجلياتها في التراث العربي , إلا أنني أحاول رصد الظواهر والمصطلحات التي قررها اسلافنا مما يدخل تحت المفهوم العام لهذا المصطلح أو يستخدمه كأداة عملية, واستخدمه -تأسيساً لقائمة مصطلحاتنا الخاصة في هذا المجال .

(١) ينظر: ص ١٤ من هذا البحث .

ج-تتزيه القرآن عما يمكن أن توصف به نصوص أخرى - مما يقع تحت مصطلح التناص - بما يفهم منه نقصها واحتياجها لغيرها . مثل ما يقرره رواد التناص من عدم انفكاك أي نص عن التأثير بغيره والأخذ مما سبقه: حتى ذهبوا إلى أن «كل نص هو فسيفساء نصوص سابقة»، ولا ريب أن هذا الوصف لا ينطبق على القرآن , فهو المعين المؤثر في غيره, والمثل الأعلى للأسلوب اللغوي في العربية يقتبس منه المبدعون , ويضمنون معانيه وأساليبه في أعمالهم.

د-أن البحث ركز على استخدام المصطلحات التي استخدمها علماءنا في وصفهم لتجليات التناص واستخدامته في القرآن , مع بعض المصطلحات التي استحدثها الباحث مما يتطلبه البحث .

التناص القرآني بين الداخلي والخارجي

شاع في عدد من الدراسات مصطلح (التناص القرآني) وكل هذه الدراسات ركزت على مفهوم تأثير الشعراء والمبدعين بالنص القرآني اقتباسا وتضمينا لألفاظه ومعانيه وأساليبه , بل وحتى معارضة بعض الملحنين المنحرفين لنصوصه , مثل القصيدة المشهورة لأمل دنقل التي يقول فيها:

المجد للشيطان معبود الرياح

من قال لا في وجه من قالوا نعم

فنلاحظ أن هذا الابتسار لمفهوم (التناص القرآني) وجعله حكرا على علاقة النص القرآني بغيره من النصوص , وتأثيره فيها مما يعد ضربا من (التناص الخارجي) ؛ تسبب فيه اقتصار الدراسات السابقة على دائرة العلاقات الخارجية بين النص القرآني وبغيره من النصوص , دون الالتفات للعلاقات التناصية الداخلية بين

أجزاء النص القرآني التي يمكن وصفها بالـ (التناص الداخلي)^(١). مع أنها ربما كانت أكثر تعبيراً عن مصطلح التناص القرآني .

وهذا البحث يركز على دراسة العلاقات التناصية بين آي القرآن ، ويقدم محاولة لسد هذا الفراغ المصطلحي ؛ مما قد يؤثر على استخدام مصطلح (التناص القرآني) مستقبلاً ، ويجعل الباحثين أكثر دقة في وصف ما يريدون دراسته من فرعي التناص القرآني .

والتناص بهذا المفهوم يمكن أن يكون تابعا لمجموعة نصوص سابقة يتفاعل ويتعالق معها بكيفيات مختلفة، ويمكن أن يكون «علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض كما تقوم بين النص والنص كعلاقة المسودة بالتبويض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: (القرآن يفسر بعضه بعضا)»^(٢).

فالتناص في هذه الحالة « يحمل خصوصية التطبيق فبدلاً من أن تكون هذه المفاهيم والصور المطروحة بين نص حاضر ونصوص أخرى غائبة، فإن التناص المقصود هنا ينصب على النص الواحد دون نصوص أخرى»^(٣).

وبذلك يكون التناص عنصراً مهماً من عناصر النص، حيث يؤدي دوراً أساسياً في الربط بين أجزائه، فحينما يتضمن النص الواحد عبارة غامضة ثم يذكر ما يوضحها، أو يتضمن أمراً مجملاً، ثم يذكر ما يفصله، أو يتضمن تركيباً يحتمل أكثر من احتمال دلالي، ثم يذكر ما يعين أحد هذه الاحتمالات، أو يتضمن سؤالاً، ثم

(١) يستخدم البعض لوصف العلاقات التناصية بين أجزاء النص الواحد مصطلح (التناص الذاتي) واخترت استبداعه لما فيه من استحضار لذات منشئ النص، تنزيهاً للذات العليا، واكتفيت بمصطلح (التناص الداخلي) لكونه معنياً بالمستوى اللغوي داخل النص .

(٢) نحو الجملة ونحو النص ص ٢ .

(٣) نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي د/ أحمد عفيفي ص ٨٣ .

يذكر جوابه, فإن ذلك كله يحدد المعني ويؤكد.

ونخلص من ذلك إلي أن للتناص في القرآن مفهومي رئيسين:

أحدهما: **التناص مع نص خارجي** بتداخل نصوص غائبة في نص حاضر تتفاعل وتعالق معه على المستوي النحوي وعلى المستوي الدلالي.

والآخر: **التناص مع نص داخلي**, وهو ما أشار إليه الدكتور / تمام حسان من أنه تفسير لشيء غامض, أو تفصيل لمجمل أو جواب عن سؤال, أو تحديد لمعني محتمل, وإلي غير ذلك من هذه الوجوه, وعلاقة هذا بنحو النص أو ثق من سابقه, والحق أن نحو النص يفتح بابه لقبول التناص بهذين المفهومين معا, فلا مانع من تحقيق التناص بمفهومه الأول, أو مفهومه الثاني, أو بالمفهومين معا, والنصوص العربية الفصيحة, وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حافلة بالتناص بالمفهومين جميعا.

- من صور التناص القرآني مع نص خارجي:

مما وقع في القرآن الكريم من التناص بمفهومه الأول ما أطلق عليه السيوطي وغيره التضمين, وعدوه من أنواع البديع, وهو إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعني أو ترتيب النظم.

قال ابن أبي الأصبع^(١): «ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضوعين تضمننا فصلين من التوراة والإنجيل, قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ﴾ (المائدة: ٤٥)». وقوله تبارك اسمه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ

(١) الإتيان في علوم القرآن ٣/٢١٤-٢١٥.

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ، يُعْجَبُ
الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
(الفتح: ٢٩).

فأية المائدة من التوراة، وآية الفتح من التوراة والإنجيل.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ
تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ (الأعلى: ١٤-١٩).

فذهب الضحاك إلي أن الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إلي القرآن
والمعني أن هذا القرآن كان في الصحف الأولى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، أي الكتب
المنزلة عليهما، ولم يرد أن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف، وإنما هو علي
المعني، أي أن معني هذا الكلام وارد في تلك الصحف.

وروى الآجري عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ: هل في أيدينا شيء مما
كان في يد إبراهيم وموسي مما انزل الله عليك؟ قال: «نعم، اقرأ يا أبا ذر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ ... الآيات».

«ومثّل له - أي التضمين - ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في
القرآن، كقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾
(البقرة: ٣٠)، وعن المنافقين: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ (البقرة: ١٣)، ﴿وَقَالَتِ
الْيَهُودُ﴾ (البقرة: ١١٣)، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ﴾ (البقرة: ١١٣) وكذلك ما أودع الله فيه
من اللغات»^(١).

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢/٢١٤-٢١٥.

ومنه أيضا ما ورد علي ألسنه الأنبياء والمؤمنين, نحو قوله تعالى علي لسان عيسى - عليه السلام - وهو في المهد: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ﴿٣٣﴾ (مريم: ٣٠-٣٣).

ونحو قوله تعالى علي لسان المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ومنه ما ورد علي ألسنه بعض الحيوانات والطير, نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ ﴾ (النمل: ١٨) وقوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ ۗ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ ﴾ (النمل: ٢٢-٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۖ ﴾ (النمل: ٨٢).

وهكذا فإن التناص بمفهومة الأول وهو يحدث بين النص الحاضر ونصوص غائبة من تفاعل وتعلق وتداخل في اللفظ.

والتناص بمفهومه الثاني - وهو تفسير لشيء غامض, أو تفصيل لمجمل, أو جواب عن سؤال, أو تحديد لمعنى محتمل, أو تفسير لمطلق - فإن القرآن يفسر بعضه بعضا.

قال أبو بكر بن العربي: «ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، ومنتظمة المباني علم عظيم»^(١).

ومن ثم لا ينبغي تفسير الآية والوقوف علي المراد منها بمعزل عن سياقها أو بمعزل عن النص القرآني كله بل ينبغي معرفة المراد من الآية في ضوء آيات أخر توضحها وتزيل أبهامها، أو تفصل مجملها، أو تخصص عمومها، أو تقيد مطلقها، أو تكون إجابة عن سؤال إلى غير ذلك من وجوه التفسير والتوضيح، وقد عُنِيَ القدماء بالنظرة الشاملة إلى النص القرآني كله عند تفسيرهم للآية.

مقاصد التناص بين آي القرآن وغاياته:

والتناص القرآني لا يأتي هباءً ولكنه يأتي لأغراضٍ ومقاصد كثيرة نعد منها ولا نعددها، ما يلي:

(أ) أن يكون في الكلام لبسٌ وخفاء؛ فيأتي التناص ليزيل هذا اللبس.

(ب) أن يكون ظاهر الآيات مُشكل؛ فيأتي التناص ويكشف هذا الإشكال، ويوضحه.

(ج) أن يوجد ضمير، ولا يوجد مرجع له؛ فيأتي التناص ليزكرنا بآية أخرى بها العائد.

(د) أن يوجد في الآية إجمال يحتاج إلى تفصيل؛ فيأتي القرآن بآية أخرى أو آيات أخرى تفصل ما سبق إجماله.

(هـ) أن يكون هناك قول مُنكر أو تساؤل ويحتاج إلى إجابة؛ فيأتي التناص ليزكرنا بآية أخرى هي إجابة عن هذا التساؤل أو رد على هذا القول.

وأول هذه الغايات والمقاصد - كما سلف - أن يكون في الكلام لبس وخفاء؛

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

فيأتي (التناص) ليزيل هذا اللبس، ومن أمثله: ما نجده في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] فإن الأول اسم منه والثاني «أفعل» تفضيل، بدليل قوله بعده: ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] ولهذا قرأ أبو عمرو الأول بالإمالة لأنه اسم، والثاني بالتصحيح ليفرق بين ما هو اسم وما هو «أفعل» منه بالإمالة وتركها»^(١).

وهي لمحة نحوية دلالية رائعة لعب فيها التناص دورًا كبيرًا فبدون قوله تعالى: ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ كان من الصعب فهم ﴿ أَعْمَى ﴾ الثانية على أنها «أفعل» تفضيل أما عن كونها غير قابلة للتفاوت ولا يأتي منها «أفعل» تفضيل، فالرد على ذلك هو أن العمى المقصود هنا ليس عمى البصر ولكنه عمى البصيرة، ومما لا شك فيه أن عمى البصيرة متفاوت، ومن هنا صح أن يأتي منها «أفعل» تفضيل.

ومن ذلك ما في آيات متباعدة من نفس السورة، وربما كانت في سور مختلفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَاجُ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] فسر في آية الفتح: ﴿ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكٰفِرِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]^(٢).

فجاء التفسير بعد فارق اثنتين وأربعين سورة، فسورة المائدة رقمها خمسة في المصحف الشريف وسورة الفتح رقمها ثمان وأربعون، وهذا من الإعجاز القرآني ومن دلائل التماسك الشديد في النص القرآني.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنَ الْكٰوِرِ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلَا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٣-٢٤]، وقد فسره في سورة فاطر: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٠٤/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٠٥/٢.

[فاطر: ٣٤]^(١)، فيقول الله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ولم يذكر هذا القول الطيب إلا بعد اثنتي عشرة سورة حيث يقول تعالى في سورة فاطر: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فكان هذا هو القول الطيب الذي هدوا إليه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وبيانه في سورة الانفطار، بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧-١٩]^(٢)، فيقول تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وترتيب سورتها الأولى في المصحف الشريف ويأتي بيان ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ وتفصيل القول فيه في سورة (الانفطار) وترتيبها الثانية والثمانون، وذلك مما يثبت (التناص القرآني) خلال آيات القرآن ولا يشترط لذلك توالي الآيات أو توالي السور التي بها هذه الآيات.

أما الغاية الثانية: وهي أن يكون ظاهر الآيات مشكل، لكن عندما تقارن بآية أخرى تزيل هذا الإشكال وتوضح الأمر جلياً، ومن ذلك «قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وكثير من الناس يدعون فلا يُستجاب لهم، وبيانه بقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] فبين أن الإجابة متعلقة بالمشيئة»^(٣).

فالآية الأولى فيها من العموم ما يجعل أي إنسان يدعو الله ولا يُستجاب له في حيرة من أمره وفي شك، إلى أن تأتي آية الأنعام لتحدد له وتوضح له الشرط

(١) السابق: ٢٠٥/٢.

(٢) السابق: ٢٠٥/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢٠٦/٢.

الأساسي في الاستجابة وهو المشيئة، وبذلك يطمئن قلبه ويعلم أن الله لم يشأ بعد.

وفي هذا المعنى نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فإن ظاهره مُشْكِلٌ، لأن الله تعالى قد هدى كفارًا كثيرًا وماتوا مسلمين، إنما المراد: لا يهدي من كان في علمه أنه قد حقت عليه كلمة العذاب، وبيانه بقوله تعالى في السورة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]. وقوله في سورة أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] (١).

فالآية الأولى -أيضًا- فيها من العموم ما يشير إلى أن الله لا يهدي كافرًا أبدًا إلا أننا نعلم أن الله تعالى قد هدى كفارًا كثيرين وماتوا مسلمين، ولكن الفارق هنا بين علم الله وعلم البشر، فالمقصود في الآية إنه ﴿كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ في علم الله الأزلي أي أنه سيموت على كفره؛ لذلك حقت عليه كلمة العذاب، وهذا ما تؤكداه الآيتان الأخريان، اللتان حل بهما هذا الإشكال.

ومن الآيات التي يفك رموزها التناص القرآني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الكهف: ١٦].

فعند قراءة هذه الآية يختلط فهم (ما) هل هي نافية؟ أم موصولة؟ ولكن عند العودة للآية السابقة لها نجد قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]. فتأتي هذه الآية لترجح كون (ما) موصولة، لا نافية، وهكذا يلعب التناص القرآني دوره في فك هذا الغموض.

(١) السابق: ٢٠٦/٢.

أما الغاية الثالثة للتناص القرآني: وهي أن يوجد ضمير ولا نعرف على من يعود، وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة نذكر منها، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنَفًا أَوْ إِتْمَانًا فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

لا نستطيع تفسير الضمير في (بينهم) وعلى من يعود؟ إلا إذا رجعنا إلى الآية (مائة وثمانين) من نفس السورة، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. فعلم أن الضمير يعود على (الوالدين والأقربين).

وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا فَيُعْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] نفق حائرين أمام الضمير في (يتفرقا) إلى أن نعود إلى الآية (ثمان وعشرين بعد المائة) من نفس السورة فنجد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨] وعندئذ يتضح عود الضمير، وأنه يعود على (المرأة وزوجها).

وكذلك عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]. فالضمير في (واستوت) لا يعلم على أي شيء يعود إلى أن نرجع إلى الآية ثمان وثلاثين، والتي قول الله تعالى فيها: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]. وعندئذ نعلم أن الضمير في (واستوت) يعود على الفلك، وهكذا يبدو لنا دور التناص القرآني في معرفة صاحب الضمير الذي يُذكر منقطعاً عن من يعود عليه، وبذلك نتأكد من أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

أما الغاية الرابعة للتناص القرآني فهي أن يكون هناك إجمال يحتاج إلى تفصيل فتأتي آية أخرى لتفصل ما أجمل في الآية الأولى ومن ذلك ما قاله الرازي

في تفسيره للآية (إحدى وثلاثين) من سورة البقرة حيث يقول: «اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمالي بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله (...) فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي)^(١)، ذلك الجواب التفصيلي الذي يقول فيه الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣١] وبهذا التناص القرآني ينجلي الخفاء المستور خلف هذا الإجمال في ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بتفصيل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ فاتضح هذا الإجمال وتأكد أيضاً، وهذا ما أراده الرازي من قوله: (فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي).

ومنه قوله تعالى في أول سورة المائدة: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١] فأحل الله تعالى أكل الأنعام بشكل عام إلا أنه تعالى استثني منها مجموعة أجمل الإخبار عنها بقوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ وبعد فاصل طوله آية كاملة رقم (٢) يفصل الله تعالى هذا الإجمال بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ [المائدة: ٣].

وبذلك يفصل الله تعالى الإجمال الموجود في الآية الأولى والذي لا يفهم منه إلا أن هناك بعض الأنواع محرمة ولكن ما هذه الأنواع؟ هذا ما لم يُعرف إلا من

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. د. محمد خطابي، ط ١، المركز الثقافي العربي: ١٨٨. نقلاً

من: التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، مج ١، ١٩٠/٢.

خلال الآية الثالثة من نفس السورة، وبذلك يفسر القرآن بعضه بعضاً.

أما الغاية الخامسة من غايات التناص القرآني فهي: أن يكون هناك قول أو تساؤل يحتاج إلى إجابة ثم تأتي آية أخرى؛ لترد على هذا التساؤل أو ذلك القول، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣] يرد عليهم بقوله: ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ١-٣]، ففي الآية الأولى قول المشركين لرسول الله ﷺ: ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾، فنجد الرد القرآني عليهم بعد اثنتين وعشرين سورة في المصحف الشريف بقوله: ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾. ونلاحظ التوكيدات الكثيرة التي منها القسم والعطف عليه بقسم آخر ثم الجملة الاسمية ودخول «إن» عليها ثم اللام المزحلقة، وكل هذه توكيدات تكسب الرد على المشركين حزمًا وقوة، فلا يستطيعون معاودة الاتهام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠] بيانه: ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ [الرحمن: ١-٢] ﴾.

وفي هذه الآية يبدو التناص القرآني وأثره العظيم في ذكر هذه الأقوال ثم الرد عليها، وفي هذه الحالة، وعندما يُطرح هذا السؤال: ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾؟ يرد الله تعالى عليهم بسورة كاملة اسمها ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ثم تبدأ بقوله تعالى -ردًا على هذا التساؤل-: ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ثم تتحدث السورة عن خصائص وصفات لا ينبغي أن تكون إلا لله وكيف أنه خلق السماء ورفعها ووضع الميزان، وكيف أنه وضع الأرض للأنام، وخلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان، من مارح من نار، وهكذا يذكر الله تعالى أعمالاً وصفات لا

(١) البرهان: ٢٠٩/٢.

(٢) السابق: ٢٠٩/٢.

تكون إلا الله، حتى إن أول كلمة في السورة لا تكون إلا الله فالفعل منها يوصف به البشر أنه يرحم بعضهم بعضاً وكذلك (الرحيم) وُصِفَ بها الرسول ﷺ أما (الرحمن) إذا ذُكِرَتْ فلا (رحمن) إلا الله.

هذه بعض غايات التناسل القرآني التي تؤكد أن القرآن يفسر بعضه، سواء أكان ذلك بإزالة الإيهام والخفاء، أم بإزالة الإشكال الظاهري لبعض الآيات، أم بالتعرف على صاحب الضمير وإن كان مقطوعاً عنه، أم بالرد على الأقوال والتساؤلات.

الفصل الأول

أنماط التناص بين أي القرآن الكريم

وفيها خمسة مباحث، وهي:

المبحث الأول: التناص التطابقي

المبحث الثاني: التناص التشابهي

المبحث الثالث: التناص التكاملي

المبحث الرابع: التناص التقابلي

المبحث الخامس: تناص التفاعل الخفي

أنماط التناص في القرآن

مَهَاد:

لما كان التناص ظاهرة لغوية تنتظم جميع النصوص البشرية، ومنها تلك المنضوية تحت لواء اللسان العربي، ويُعنى بطبيعة العلاقة التي تربط النص بغيره من النصوص ترابطاً خارجياً، أو تربط وحداته النصية ببعضها ترابطاً داخلياً، تأثراً وتأثيراً، ولما كان القرآن الكريم هو النص الأوضح ومثال البلاغة الأوضح في منظومة العربية؛ وسيرا على سنن سادتنا علماء العربية في عرض ما يفترضون وجوده من قاعدة مطردة أو ظاهرة ملحوظة أو علاقة مشاهدة على النص القرآني من خلال التقيب عن الشاهد أو الدراسة التطبيقية للفكرة، نسجل هاهنا محاولة متواضعة لرصد ظاهرة التناص بين آي القرآن، وطبيعة وجودها في القرآن؛ من خلال عرض الفرضية على النص القرآني والبحث عن الشواهد.

ويجد الباحث أن التناص بين آي القرآن يعد ضرباً فريداً من ضروب التناص الداخلي، ومعياراً راصداً لأشكال من العلاقات ذات الأبعاد الدلالية الكلية التي تشكل خيوطاً ناظمة لعدد وافر من الآيات في زمر متنوعة الوظائف والدلالات. وإن مسبار البحث بعد تطوافه داخل النص القرآني نجده يكشف لنا عن أنماط جامعة لصور متعددة من التناص القرآني بكل مستوياته؛ سواء أكان في (مستوى الممارسات - التقابسية - الظاهرة)^(١) والمباشرة، أو ما عرف عند السلف بالمتشابه القرآني أم في (مستوى الإشارات - والعلاقات - والإنعكاسات غير المباشرة سواء أكانت بالقبول - والتوافق التكاملي أم بالمقابلة - لنصوص أخرى تتعالق معها)^(٢). ونجد أن هذه الأنواع من التناص تتجلى في صور من العلاقات قد رصد معظمها أسلافنا من

(١) بلاغة الخطاب، صلاح فصل ص ٢٤١.

(٢) المصدر السابق.

المفسرين واللغويين أو استخدموها دون سلكها ضمن تصنيف نوعي كلي؛ مع ما اتسمت به جهودهم الحثيثة لسبر وجوه إعجازه، وكمال إحكام نظمه، وتفوقه من كل وجه؛ من نظرة تأملية عميقة، ابتداءً من إشاراتهم لبعض هذه الأنواع في كتب التفسير والإعجاز وعلوم القرآن، وصولاً إلى أفرادها في مؤلفات مستقلة مثل كتب متشابه القرآن والأشباه والنظائر ووجوه القرآن ومناسباته.

ويقدم البحث هنا محاولة لتصنيف الآيات المتناصّة بناء على طبيعة العلاقات الجامعة والدلالات الكلية الناتجة عن وجود نوع من التناص بين كل زمرة من الآيات أو المقاطع.

ومن أهم الأنماط التي جاء عليها التناص بين أي القرآن مايلي:

المبحث الأول: التناص التطابيقي

ويمثل هذا الضرب من التناص العلاقة بين ماجاء من الآيات أو أبعاضها متطابقا تطابقا كليا في اللفظ وترتيب الورد على سبيل التكرار غير المتتابع. وهذا النوع من التناص بين آي القرآن يسير على طريقة مشابهة لما كان من سنن العرب في كلامهم وأشعارهم من التضمين والاقْتِباس، فتغدو كل آية من هذا الضرب وكأنها تقتبس من صاحبها أو تضمن بعض أجزاءها نصا في نظيرتها، وربما كانت إحداها تكرارا كليا للأخرى، مما يحقق بعضا مما أكده العلماء من أن «التكرار اللفظي والمعنوي لا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار كبيان اتساع العبارة وإظهار البلاغة وزيادة التأكيد والمبالغة إلى غير ذلك مما قد أمعن المفسرون في تحقيقه وبيانه.. وأما ما يتوهم فيه أنه من قبيل إيضاح الواضحات فليس يخلو عن درء احتمال ورفع خيال»^(١).

من صور التناص التطابيقي:

لقد تجلّى التناص التطابيقي بين آي القرآن في صور متعددة ومواطن متنوعة من النص القرآني، لعل أبرزها:

١ - التناص بين مطالع السور:

ومطالع السور يراد بها هنا الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور القرآنية، وقد عرض لها المفسرون، وتناولها الباحثون وفيها الكثير من الأقوال، وأثير حولها الكثير من الجدل.

ويلاحظ أن مجموع الفواتح بدون تكرار هو أربع عشرة فاتحة، وتتكون من أربعة عشر حرفاً من الأحرف الهجائية. والاستفتاح بالحروف المقطعة في أوائل السور يعد شكلا جديدا في الاستخدام، لا يعرفه العرب في لغتهم، ولا يألّفونه، حتى أن العلماء

(١) ينظر: روح المعاني، للألوسي ٣١/١.

اختلفوا بشأن تفسير هذه الحروف في مطالع السور على قولين:

- أحدهما: أن هذا علمٌ مستورٌ وسرٌ محجوبٌ استأثر الله به.

- والثاني: أن المراد منها معلومٌ وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهًا فمنها البعيد ومنها القريب^(١). وهذان الوجهان اللذان أشار إليهما «صاحب البرهان» يكاد يجمع عليهما كل من تناول الحروف المقطعة في أوائل السور..

والاتجاه الثاني هو رأي الجمهور، فالله تعالى أمر بتدبر آياته، وخاطب العقول والألباب، ووصف القرآن بأنه نزل بلسان عربي مبين، وأنه جاء تبيانًا لكل شيء، وأنه هدى للناس وبينات، وهذه الأوصاف لا تتفق مع كون الحروف في أوائل السور تعد سرا مغلقا، ومن هذا المنطلق شمر كثير من العلماء والمفسرين للكشف عن تفسير لهذه الفواتح، كما عد «الفخر الرازي» نحو واحد وعشرين تفسيرًا لها^(٢).

وهذا ما أشار إليه صاحب «ملاك التأويل» حيث يقول: «القول بتأويلها على مقتضى اللسان وهذا مسلك الجمهور، وهذا الذي نعتقد أنه الحق؛ لأن العرب تحديت بالقرآن وطلبت بمعارضته أو التسليم والانقياد وبمعرفة أنهم أنه بلسانهم ومعروف تخاطبهم وعجزهم مع ذلك عنه قامت الحجة عليهم وعلى كافة الخلق، وإذا سلم هذا فكيف يرد في شيء منه خطابهم بما لا طريق لهم إلى فهمه، فلو كان هذا لتعلقوا به ووجدوا السبيل إلى التعلل في العجز عنه وهذا مبسوط في كتب الناس وغير خاف..»^(٣).

والثابت بشأن هذه الحروف الفواتح في موضوعنا أنها بلغت من التناسب والتناسق ما يجعلها موضع إعجاز، وأوجه الإعجاز فيها متعددة. ومما ساقه

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/١٧٣.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي ١/٦٧.

(٣) ينظر: ملاك التأويل، لابن الزبير ص ٢٢.

صاحب «البرهان في علوم القرآن» حول أوجه الإعجاز في الحروف المقطعة في فواتح السور مع تصنيفها وعنونتها - مما له علاقة بهذا البحث- وفق ما يحتويه كل وجه كالتالي^(١):

- مناسبة الحرف للسورة لفظيا، فإنك تجد السورة مبنيةً على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ فإن السورة مبنيةً على الكلمات القافية من ذكر القرآن والخلق وتكرار القول ومراجعته مرارًا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد وذكر الرقيب وذكر السابق والقرين والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين وذكر القلب والقرن والتنقيب في البلاد وذكر القتل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها ويسوق النخل والرزق وذكر القوم وخوف الوعيد وغير ذلك.

- مناسبة الحرف للمعنى في السورة، فإن كل معاني السورة في (ق) مثلا مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح، وتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ إلى آخر كلامهم ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملائكة في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره، بالسجود ثم اختصامه ثانيًا في شأن بنيهِ وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم. وكذلك سورة: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما تضمنت من الألفاظ النونية^(٢).

ونلاحظ هنا أن عددا من هذه السور قد تسمى بحرف المطلق، وهذا النوع من العلاقة بين اسم السورة أو مطلعها وأجزائها يمكن ان نصنفه تحت ضرب من

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/١٧٤.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/١٧٣.

التناص يطلق عليه (العتبات النصية) «وتشير إلى حزمة العلاقات التي تكون بين العنوان وما يمثله من إحياء وتكثيف والمادة الواقعة تحته»^(١).

كما نلاحظ أن ثم تناصا تطابقيا بين بعض هذه المطالع تمثل في تطابقها في بعض السور «على الرغم من أن هذه السور ليست جميعها متجاورة إلا أن الترابط والتآلف بين الموضوعات التي تناولتها ظاهر»^(٢) وقد تنبه العلماء إلى أنك «إذا تدبرت في السور التي تشترك في الحروف المفتوح بها مثل.. الطواسين والحواميم وجدت في السور المشتركة في الحروف تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور»^(٣) ف(آلم) تكررت في مطالع ست سور من القرآن هي: البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة، وقد دارت موضوعات هذه السور حول ذكر الأنبياء، ووعده الله لنبيه ﷺ بالنصر، والدعوة إلى التوحيد، والتذكير بالمبدأ والمعاد، وإقامة الحجة على المنكرين^(٤). ونجد على سبيل المثال أن بين سورتي البقرة وآل عمران من العلاقة ما جعلهما يجتمعان تحت اسم (الزهراروان) بصيغة المثني وما تحمل من دلالة التعالق؛ ففي الحديث: «تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراروان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف»^(٥)، «وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين فهي بمنزلة الدليل من الحكم، وآل عمران مكملة لمقصودها فهي بمنزلة الجواب عن شبهات الخصم»^(٦) وذكر السيوطي أن (الم) جمعت المخارج الثلاث: الحلق واللسان والشفيتين على ترتيبها، وذكر إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق، والنهاية التي هي بدء الميعاد

(١) التفاعل النصي، نهلة الأحمدي، ص ٣٦.

(٢) التناص ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال نجم، ص ١٥٤، ط ١، جامعة الكوفة، ٢٠٠٩م.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، محمد الطبطبائي ٨/١٨، ط ١، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣م.

(٤) التناص ودوره في الإعجاز القرآني، ص ١٥٥.

(٥) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني ٨٨/٢، رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٦) تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي ص ٦٥.

الذي هو المعاش من التشريع بالوامر والنواهي، وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاث.

وأما سورة الاعراف فقد زيد فيها (الصاد) على (الم) لما فيها من شرح القصص كقصة ادم عليه السلام فمن بعده من الانبياء ولما فيها من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿بينما زيد في سورة الرعد (راء) لأجل قوله (رفع السموات)، ولأجل ذكر البرق والرعد وغيرها^(١)﴾.

٢ - التناص بين المقاطع المتكررة:

وقد وردت في القرآن مواطن عديدة ظهر بينها التناص التطابقي في أجلى صورته، حيث يتكرر المقطع أو الآية تكرر كلياً، وقد تنبه العلماء إلى هذا الأمر وفصلوا القول فيه، فنجد السيوطي يقول: «قد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيداً للتأكيد معنى. يعني: التكرار أو التكرير يستعمل للتوكيد... فحينما تكرر شيئاً فأنت تريد التوكيد، لكن أحياناً يراد به شيء غير التأكيد، وإنما وقع فيه الفصل بين المكررين، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده... وعد منه قوله تعالى: ﴿فِي آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾. فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يزيد عليها»^(٢). وقد وردت ﴿فِي آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ في سورة الرحمن وتكررت الآية إحدى وثلاثين مرة، ويشير الكرمانى إلى أن هناك سرا في تكرار الآية بهذا الشكل، وأن للرقم مغزى فقد تكررت الآية إحدى وثلاثين مرة ثمانٍ منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم

(١) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١/٣٦٣

(٢) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي ٣/٢٢٦.

وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في صرفها ودفعها نعمًا توازي النعم المذكورة أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء وبعد هذه السبعة ثمانٍ في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة ثمانية أخرى بعدها للجنيتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة. (١) ووافقه ابن الزبير (٢).

ومن ذلك الباب: قول الحق تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣) فقد تكررت الآية في «سورة المرسلات» عشر مرات، «لأن كل واحد منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فلا يكون تكرارًا مستهجنًا ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض، وقيل: إن من عادة العرب التكرار والإطناب كما في عاداتهم الاقتصار والإيجاز، ولأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب أَدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز» (٤).

وقد عدها «الزركشي» كذلك من هذا النوع، وعلل تكرارها بقوله: «لأنه سبحانه ذكر قصصًا مختلفةً وأتبع كل قصةً بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصةٍ ويلٌ للمكذبين بهذه القصة، وكل قصة مخالفة لصحابتها، فأثبت الويل لمن كذب بها. ثم يعقب برأي آخر، يقول: «ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنه بعشر أمثالها وجعل للكفار في مقابلة كل مثلٍ من الثواب ويلٌ» (٥).

ومذهب سيبويه في هذا الشأن يظهر حين يقول - تعليقًا على آية المطففين: «لا ينبغي أن يقال دعاء بالويل ههنا لأن الكلام بذلك قبيح ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنه - والله أعلم - قيل لهم:

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، لبرهان الدين الكرمانى ص ٢٣١.

(٢) ينظر: ملاك التأويل، لابن الزبير ٢/٤٦٣ - ٤٦٥.

(٣) سورة المرسلات آية: ١٥.

(٤) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، برهان الدين الكرمانى، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣/١٩.

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾، و﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن (هذا) الكلام إنما يقال لصاحب الشر والمهلكة فقبل هؤلاء ممن دخل في المهلكة ووجب هذا»^(١). كما أشار ابن الزبير إلى أن «سورة التطفيف لم تبين على التفصيل المقصود هنا - يقصد في المرسلات - فلم تتكرر فيها آية الدعاء»^(٢).

٣- التطابق بين المقاطع دون تكرار:

ويقع التناص بين ما جاء من الآيات متطابقا في صدورها مع اختلاف ربما لحق بعجزها. ويغلب على هذا الصنف من التناص أن يجيء لتعداد صور المعنى الذي جاء في صدور الآي وطرائق حصوله، أو بين أجزاء من الآيات متطابقة، ومن ذلك تناص قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣) مع قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥) بينما تطابقت كلياً مع قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٢٨)، والملاحظ أن هذه الآيات التي فيها أمر مباشر بالحمد قد جاءت كلها إثر ما قص سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من قصص الأنبياء المذكورين وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه سبحانه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة.. وبما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية.. وأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس، أمره ﷻ أن يحمده بآتم وجهه على تلك النعم، وإلى إلزامهم وإجرائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان ما هم عليه من إشراك غيره تعالى به في العبادة التي لا يستحقها غير الخالق والمنعم الحقيقي^(٣).

وكما جاء التطابق بين المقطع في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ

(١) الكتاب، لسبويه، ٦٧/٢.

(٢) ينظر: ملاك التأويل، لابن الزبير ٢٨٦/٢، ٤٩٩.

(٣) روح المعاني، للألوسي ١٥/٦.

أَلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ (آل عمران: ٢٨)، ونظيرتها في نفس السورة ﴿وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(١) وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ (آل عمران: ٣٠) والآيتان جاءتا في سياق التحذير من عقوبة الله؛ مرة بالتذكير بمآل الأمور وعودها انتهاء إليه، ومرة تحذير في سياق الامتثال لأن تحذيره وتنبئيه على النجاة رأفة منه بعباده^(١).

وعدد صاحب البرهان ما جاء في وصف الجنة مثل قول الحق سبحانه: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢) ليس فيها خالدين في سورة البقرة موضعان، وفي آل عمران والمائدة والرعد والنحل والحج موضعان، وفي الفرقان والزمر والقتال والفتح والصف والتحريم والبروج^(٣).

٤ - التناص في الفواصل:

وقد تتناص الفواصل تطابقيا دون اختلاف في أكثر من آية، وفي سور متعددة، ومن ذلك على سبيل المثال: أن ترد ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) مبدوءة بـ(إن) وبأسلوب التوكيد في ثلاث عشرة مرة، منها ثلاث بالبقرة وثلاث بالتوبة، ومرتين بالمائدة، ومرة واحدة بالأنفال والنور والحجرات والممتحنة والمزمل. كما وردت بنفس العدد ثلاث عشرة مرة في فواصل الآي ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥) وردت مرتين في آل عمران، ومرتين في التوبة، ثم مرة واحدة في البقرة والنساء والمائدة والأنفال والنور الحجرات والحديد والممتحنة والتحريم. وختمت ثلاث عشرة آية من كتاب الله بلفظ ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٦).

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية ٤٠١/١.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٥.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١٥١/١.

(٤) سورة البقرة آية: ١٧٣.

(٥) سورة البقرة آية: ٢١٨.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٩.

ومن التناص في هذا اللون ما جاء متكررا في سياقات مختلفة:

حيث ترد بعض الآيات متكررة في سور مختلفة، فتبدو كأنها لون من التضمين، فهي تتكرر ذاتها داخل السياق دون زيادة أو نقصان، ومنه قول الحق تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) فقد ختم به سبع آيات كالتالي:

في سورة البقرة الآية (٥٧) قال تعالى: ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰةَ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْبَ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَضَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰةَ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠)، وفي التوبة الآية (٧٠) قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التوبة: ٧٠) وفي النحل في الآيتين (٣٣) (١١٨) قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ٣٣) قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨) وفي العنكبوت الآية (٤٠) قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠)

(١) سورة البقرة آية: ٥٧.

(العنكبوت: ٤٠) وفي الروم الآية (٩) قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (الروم: ٩).

المبحث الثاني: التناص التشابهي

وهو التناص الحاصل من العلاقة بين الآيات أو أبعاضها التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة في نظمها، ولكن وقع في بعضها زيادة أو حذف، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجد اختلافًا بين الآيتين أو الآيات المتقاربة. ويعد معظم ما سجله العلماء من أوجه التشابه القرآني في كتب متشابهة القرآن من هذا القبيل من التناص الجلي الواقع بين أي لقرآن.

- من صور التناص التشابهي:

وقد ذكر العلماء وجوها كثيرة لتشابه الآي من أظهرها وأكثرها شيوعا في القرآن مايلي:

١ - التقديم والتأخير:

وهو «ما قدم في آيةٍ وأخر في أخرى»^(١)، أو كان على نظم أو ترتيب مطرد في القرآن ثم خرج عنه إلى غيره، وتقديم الألفاظ على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، والتقديم إنما يكون للعناية والاهتمام؛ فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام؛ فتقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضي الحال تقتضي ذلك. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإننا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام في تناسب وتناسق عجيبيين، ومن صور ذلك:

- المتشابه بعكس النظم:

أن يكون في موضعٍ على نظمٍ وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ووقع في القرآن منه كثيرٌ ففي البقرة: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾^(٢)

(١) كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة ١٢/١.

(٢) سورة البقرة آية: ٥٨.

وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجَّدَاكُمْ ﴾ (١).

ومثله في (المؤمنون) ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٢) وفي النمل ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣).

- المتشابه بعكس الترتيب:

وذلك بأن يطرد في القرآن ترتيب ثم يقع في بعض الايات عكس له, فمن ذلك تقدم لفظ (الضرر) على (النفع) وبالعكس قالوا: إنه حيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع، قال تعالى الرَّجِيمِ ﴿ قُلْ لَا أَمَلُ لِي لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٤) [الأعراف آية: ١٨٨] فقدّم النفع على الضرر وذلك لأنه تقدمه في قوله تعالى في سورة [الأعراف آية: ١٧٨] ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [١٧٨] الأعراف: ١٧٨ فقدّم الهداية على الضلال، وبعد ذلك قال تعالى في سورة [الأعراف آية: ١٨٨] ﴿ قُلْ لَا أَمَلُ لِي لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَمْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٨٨] الأعراف: ١٨٨ فقدّم الخير على السوء ولذا قدم النفع على الضرر إذ هو المناسب للسياق.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمَلُ لِي لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٤٩] فقدّم الضرر على النفع وقد قال قبل هذه الآية في سورة [يونس آية: ١١] ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ شَرًّا اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذُرٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

(١) سورة الأعراف آية: ١٦١.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٨٣.

(٣) سورة النمل آية: ٦٨.

(٤) سورة الأعراف آية: ١٨٨.

لِقَاءَنَا فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُوت ﴿١١﴾ [يونس: ١١] وقال تعالى في سورة [يونس آية: ١٢] ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [يونس: ١٢].

فقدم الضر على النفع في الآيتين. ويأتي بعد هذه الآية قوله تعالى في سورة [يونس: ٥٠] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَهُ بَيْنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يونس: ٥٠] فكان المناسب تقديم الضرر على النفع ههنا.

وقال تعالى في سورة [الرعد آية: ١٦] ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ [الرعد: ١٦] فقدم النفع على الضرر، قالوا: وذلك لتقدم قوله تعالى في سورة [الرعد آية: ١٥] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد: ١٥] فقدم الطوع على الكره.

وقال تعالى في سورة [سبأ آية: ٤٢] ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فقدم النفع على الضرر، قالوا: وذلك لتقدم قوله تعالى في سورة [سبأ آية: ٣٩] ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩] فقدم البسط. وغير ذلك من مواضع هاتين اللفظتين^(١).

وجعلوا من ذلك تقديم السمع على البصر قوله تعالى في سورة [الشورى آية: ١١، غافر: ٢٠] ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ

(١) ينظر: البرهان ١/ ١٢٢، البرهان للكرمانى ١٩٧ وما بعدها ٣٤٩، درة التنزيل ٢٠٩.

﴿ أَرْوَجَا يُذْرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١) ﴿ [الشورى: ١١] ، ﴿
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢٠) ﴿
 [غافر: ٢٠] وقال في سورة [الإسراء آية: ١، غافر: ٥٦] ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
 بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) ﴿ [الإسراء: ١] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴾ (٥٦) ﴿ [غافر: ٥٦]. وفي سورة [الإنسان آية: ٢] ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢) ﴿ فقدم السمع على البصر. وقال تعالى في
 سورة [الفرقان آية: ٧٣] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا
 ﴾ (٧٣) ﴿ [الفرقان: ٧٣]. فقدم الصم وهم فاقدو السمع على العميان وهم فاقدو البصر.
 قالوا: لأن السمع أفضل^(١). قالوا: والدليل على ذلك أن الله لم يبعث نبياً أصم، ولكن
 قد يكون النبي أعمى كيعقوب عليه السلام فإنه عمي لفقده ولده^(٢). والظاهر أن
 السمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر، ففاقد البصر يستطيع أن يفهم
 ويعي مقاصد الرسالة فإن مهمة الرسل التبليغ عن الله^(٣).

ومن ذلك قوله في فاتحة الكتاب: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وفي خاتمة الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ
 الْحَمْدُ ﴾^(٤) فتقديم «الحمد» في الأول جاء على الأصل والثاني على تقدير الجواب
 فكانه قيل عند وقوع الأمر لمن الحمد ومن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك، نظيره:

(١) ينظر: البرهان ٣ / ٢٥٤.

(٢) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ٨٨، ٨٩.

(٣) التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص ٥٥، ط ٦، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩م.

(٤) سورة الجاثية آية: ٣٦.

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(١) ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

التشابه مع التقديم والتأخير واستبدال الفعل:

المقصود أن ترى بين الآيتين من التشابه في الصياغة وبينهما اختلاف في التركيب، ويكون الاختلاف في تقديم بعض اللفظ على بعض، واستبدال فعل بفعل غيره، ومن ذلك الشكل قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾^(٢). وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾.

يقول صاحب «كشف المعاني»: ما فائدة التقديم والتأخير والتعبير بقبول الشفاعة، تارة، والنفع أخرى؟ «أن الضمير في (منها) راجع في الأولى إلى (النفس) الأولى، وفي الثانية راجع إلى (النفس) الثانية؛ كأنه بيّن في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعته، ولا يؤخذ منها عدل. ولأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها. ويبين في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعته شافع فيها، وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند رده. فلذلك كله قال في الأولى: لا يقبل منها شفاعته، وفي الثانية: ولا تنفعها شفاعته لأن الشفاعته؛ إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له»^(٣).

(١) سورة غافر آية: ١٦.

(٢) سورة البقرة آية: ٤٨.

(٣) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ٩٤ - ٩٥.

٢ - ما يشتهه بالزيادة والحذف:

وهو أن يذكر في موطن ما لا يذكره في موطن آخر متناص معه، وليس عدم ذكره من باب الحذف، وإنما قد يزيد لفظاً أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام. وقد يحذف لفظاً أو أكثر في موطن ويبقى عليها في موطن آخر.

- زيادة حرف:

فقد يزداد حرف في مكان ولا يذكره في مكان آخر حسبما يقتضيه موطن الكلام. ففي البقرة: ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾^(١) وفي يس ﴿ وَسَوَاءٌ ﴾^(٢) بزيادة واوٍ لأن ما في البقرة جملةٌ هي خبرٌ عن اسم إن وما في يس جملة عطفت بالواو على جملة.

وفي البقرة ﴿ فَأَتُوا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ ﴾^(٣) وفي غيرها بإسقاط ﴿ مِّن ﴾ لأنها للتبعيض ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول ﴿ مِّن ﴾ فيها ليعلم أن التحدي واقعٌ على جميع القرآن من أوله إلى آخره بخلاف غيرها من السور فإنه لو دخلها ﴿ مِّن ﴾ لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعضٍ ولم يكن ذلك بالسهل.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

(١) سورة البقرة آية: ٦.

(٢) سورة يس آية: ١٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٣.

[٣٣].

فقد زاد (أن) بعد (لما) في سورة العنكبوت بخلاف سورة هود والقصة واحدة، وذلك أن سياق القصة في العنكبوت يقتضي هذه الزيادة من عدة أوجه، بخلاف سياقها في هود. فإنه أفاض في ذكر القصة في سورة العنكبوت أكثر مما هو في هود، فقد ذكر فيها من صفات قوم لوط السيئة ما أجمله في هود^(١). فلما كان المقام مقام إطالة وتفصيل في سورة العنكبوت ذكر (أن) لمناسبة سياق الإطالة والتفصيل بخلاف سورة هود. ومن ناحية أخرى أن برم لوط بقومه وضيقه بهم في سورة العنكبوت كان أظهر وأشد مما في سورة هود. كما يبدو أن ترقب لوط للخلاص من قومه في سياق العنكبوت كان أظهر مما في هود. يدل على ذلك عدة مواضع في القصة. منها قوله في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (العنكبوت: ٣٣) في حين قال هود: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (هود: ٣٣) فزاد في آية العنكبوت قوله ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴿٣٣﴾﴾.

ومنها دعاؤه ربه أن ينصره على قومه بعدما كذبه وتعجلوا العذاب قائلين ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ وليس الأمر كذلك في هود فإنهم لم يصرحوا بتكذيبه ولم يدع لنفسه بالنصر. ولذا حسن ذكر (أن) في العنكبوت دون هود مراعاة للتبسط في ذكر القصة والإفاضة فيها وللدلالة على استطالة الوقت وطول الترقب والانتظار^(٢).

ومن هذا الوجه ما ورد في زيادة حرف في الفاصلة دون الفاصلة المتناصّة

(١) لم يزد في هود على أن قال: ﴿وَمَنْ قَبُلْ كَانُوا يَعمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وفصل في الآيتين ٢٨ و٢٩ من العنكبوت.

(٢) التعبير القرآني ص ١٠٩.

معها كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١) والمنتاص مع: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٢). وذلك لأن «الاستثناء في سورة التين متصل، فتم الكلام به. والاستثناء في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾: منقطع بمعنى (لكن) فلم يتم الكلام به؛ لأن المراد بـ﴿أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ هرمه وضعفه وضعف حواسه وعدم قدرته على الأعمال فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحا فإننا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم كما ورد في الحديث»^(٣).

- زيادة المبنى في الفعل:

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾^(٤)، وفي طه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٥).

يقول صاحب (كشف المعاني): يحتمل والله أعلم أن: فعل التي جاء على وزنها: (تبع) لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله. وافتعل التي جاء على وزنها: (اتبع) يشعر بتجديد الفعل. وبيان قصة آدم هنا لفعله، فجاء بـ﴿اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ وفي طه جاء بعد قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٦) وقوله ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٧) فناسب ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾^(٨)، أي: جدد قصد الاتباع^(٩).

(١) سورة الانشقاق آية: ٢٥.

(٢) سورة التين آية: ٦.

(٣) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ٣٧٥، ٣٧٦.

(٤) سورة البقرة آية: ٣٨.

(٥) سورة طه آية: ١٢٣.

(٦) سورة طه آية: ١١٥.

(٧) سورة طه آية: ١٢١.

(٨) سورة المائدة آية: ١٦.

(٩) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ٩٥، ٩٦.

زيادة كلمة أو أكثر:

وقد يزيد كلمة أو أكثر في موضع، ولا يذكرها في موضع آخر متناص معه، كل ذلك حسبما يقتضيه المقام.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٢٢ ﴾ [النساء: ٢٢].

وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فقد زاد قوله (ومقتا) في آية النساء وذلك أن (متزوج امرأة أبيه فاعل رذيله يمقت فاعلها ويشنأ وتستخسه الطباع السليمة، فوصفت فعلته بالمقت، وساوت الزنى فيما وراء ذلك^(١)).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنَّا سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ ﴾ [التغابن: ٩]. وقوله تعالى: ﴿ رَسُولًا يَنْلُؤُا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝١١ ﴾ [الطلاق: ١١]. فقد زاد في التغابن قوله (يكفر عنه سيئاته) دون الطلاق وذلك أن آية التغابن خطاب للكافرين وقد دعاهم إلى الإيمان فقال ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ ﴾ [التغابن: ٧] ثم قال: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

(١) ملاك التأويل / ١ / ٢٠٠.

وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُكْفِرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [التغابن: ٩].

وأما آية الطلاق فهي خطاب للمؤمنين وقد دعاهم إلى التقوى فقال ﴿أَعِدَّ اللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطلاق: ١٠] ثم
قال ﴿رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا
﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١].

فكان ذكر تكفير السيئات مع الكافرين الذي هم في معصية مستديمة وسيئاتهم
غير منقطعة أولى من ذكرها مع المؤمنين^(١).

٣- التشابه مع اختلاف التعريف والتنكير:

المراد أن ترى بين الآيتين تناسبا وتجد اختلافا بين لفظين في التعريف والتنكير،
كأن يأتي اللفظ في إحداها معرفة ويأتي مكررا في الثانية لكنه منكّر، وهكذا فإن
التناص في أداة التعريف (ال) ذكرا وحذفا، بحيث تذكر في موطن وتحذف في آخر
متناص معه مراعاة لما يقتضيه المقام، وقد يدل اقترانها باللفظ على تحدد مدلوله،
بينما يدل سلبها عنه على شيوع ذلك المدلول وعمومه، ولكل من هذين المقامين ما
يقتضيه من سياقات، وما يتناسب معه من حروف وأدوات^(٢).

ومن هذا اللون قوله تعالى: ﴿بَغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣). وقد قال في آل عمران: ﴿بَغَيْرِ

(١) التبيير القرآني ١١٢.

(٢) ينظر: ملاك التأويل ٤٣٥/١، والمعنى في البلاغة العربية، د.حسن جاد طبل، ط١، دار الفكر العربي،
القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٧٣.

(٣) سورة البقرة آية: ٦١.

حَقِّ ﴿١﴾. فعرف هنا ونكر هناك، يقول صاحب «كشف المعاني»: «إن آية البقرة: نزلت في قداماء اليهود بدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿٢﴾. والمراد ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ الموجب للقتل عندهم، بل قتلوهم ظلما وعدوانا. وآيات آل عمران: في الموجودين زمن النبي ﷺ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣﴾ وبقوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ﴿٤﴾ وبدليل قوله تعالى في الثانية: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ﴿٥﴾؛ لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ، ولذلك سموه، ولكن الله تعالى عصمه منهم فجاء (منكرا) ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقِّ﴾ ﴿٦﴾ بمعنى قوله (ظلما وعدوانا). وهذا هو جواب من قال: ما فائدة قوله: بغير الحق، أو: بغير حق والأنبياء لا يقتلون إلا بغير حق ﴿٧﴾.

ومن ذلك الاختلاف بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٢٦] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥].

يقول الرازي وتقديره: «اجعل هذا البلد آمنا كقولك: كان اليوم يوما حارا، وهذا

(١) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٢) سورة البقرة آية: ٦١.

(٣) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٥) سورة آل عمران آية: ١١١.

(٦) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٧) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ٩٩-١٠٠.

للمبالغة في وصفه بالحرارة، لأن التكرير يدل على المبالغة، فقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ معناه: اجعله من البلدان الكاملة في المن، وأما قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ فليس فيه الا طلب الامن، لا طلب المبالغة.

وهذا الرأي مناسب لسياق الحال ففي البداية - في البقرة - كان إبراهيم قلقا على أهله فبالغ في الدعاء ولكنه في سورة إبراهيم اطمأن فلم يبالغ لأن مكة كانت قد عمرت بعد ذلك نوعا ما. وهناك رأي آخر يعتمد على فكرة السياق الكلي للقران وهو: أن النكرة إذا تكررت صارت معرفة، بمعنى أنها لما وردت أولا - حسب ترتيب المصحف - نكرة في سورة (البقرة) تعرفت في (سورة ابراهيم).

ومن أمثلة ذلك الاختلاف بين قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام: ٢١] ونظائرها في ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُنذِرُونَهُمْ قَالُوا مَا كُنَّا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ [يونس: ١٧] بينما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ [الصف: ٧]، ومرجع هذا الاختلاف أن «آية سورة الصف انفردت عن كل ماتقدم من هذه الآي بذكر المفترى فيه الكذب منطوقا به من غير الاجمال الوارد في الآي الأخر، بل ورد على التفصيل والتعيين، وذلك من قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ [الصف: ٦] » فأفترو الكذب وارتكبو البهت فيما لا توقف فيه ولا إشكال، فقيل: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ ثم قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي

فلما جاءهم الرسول الذي سماه لهم عيسى بالبينات والدلائل القاطعة والتصديق لما بين يديه من حالهم ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الصف: ٧] معرفاً بأداة العهد ليقوم مقام الوصف على الجاري في لسان العرب: حتى كأن قد قيل: هذا الكذب الذي لا امتراء فيه ولا توقف ولما لم يرد في الآي الأخر ماتقدم هنا كان الوجه أن يرد منكراً^(١).

- التناوب في التعريف بين (أل) والإضافة:

ففي القرآن آيات متناصة يقع الاختلاف بينها في نوع تعريف بعض مفرداتها؛ فترد في موضع معرفة ب(أل) وفي موضع آخر معرفة بالإضافة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٥] بتعريف اللعنة ب(أل)، بينما يقع تعريفها بالإضافة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٥] بتعريف اللعنة ب(أل)، بينما يقع تعريفها بالإضافة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص: ٧٨]. وذكر الإسكافي وابن الزبير أن سبب ذلك أنه قال في (ص) ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ٧٥] فكانت إضافة اللعنة إلى ياء المتكلم مناسبة لإضافة اليدين إليها، ولم يكن ذلك في الحجر^(٢). فالمناسبة لديهما لفظية. «ثم إنه في قصة (ص) ذكر نفسه أكثر مما في الحجر، فإنه ذكر نفسه في (ص) ست مرات وفي الحج ثلاث مرات... فكان كل تعبير مناسباً لجو القصة التي ورد فيها»^(٣).

(١) ينظر: ملاك التأويل ٤٣٥/١.

(٢) ينظر: درة التنزيل ٢٥٢، وملاك التأويل ٥٨٧/٢.

(٣) التعبير القرآني ٣٠٨.

- التشابه بين الإظهار والإضمار:

فقد يرد الاسم في موطن ظاهرا، ويكتفى بالضمير الدال عليه في موطن متناص معه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِعَادَ﴾^(١). وفي آخر السورة الرَّجِيمِ ﴿إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِعَادَ﴾^(٢) «الأول: خبر من الله تعالى بتحقيق البعث والقيامة. والثاني: في سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أَدْعَى إِلَى الْحُصُولِ»^(٣).

١- اختلاف الضمائر:

يتكرر في القرآن أن يتناص موضعان ويكون الاختلاف في الضمائر، حيث يرد الضميرا مذكرا في موضع منها ومؤنثا في الآخر، ومن ذلك مجيء الضمير مذكرا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا حَالًا صَافًا سَائِغًا لِلشَّرْبِينَ﴾^(٤) [النحل: ٦٦]، ومؤنثا في قوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢٢]، وقد ذهب ابن الزبير إلى أن تأنيث الضمير في سورة المؤمنون يناسب تأنيثه في كلمات الآية (فيها - منها - عليها). أما تذكيره في النحل فالمراد به الجنس^(٤). أما الإسكافي ومن تبعه فقد بنوا توجيههم على أن النحاة يرون أن الضمير المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة دون الضمير المذكر^(٥)؛ فقالوا: إن المراد بالأنعام في آية النحل هو بعضها لأن الكلام فيها على إسقاء اللبن من بطونها، واللبن لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من بعض إناثها. وليس كذلك في آية المؤمنون لأن الكلام فيها منافع الأنعام من لبن وغيره. فجاء بالضمير المذكر

(١) سورة آل عمران آية: ٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٩٤.

(٣) ينظر: كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكناي، ص ١٢٤.

(٤) ينظر: ملاك التأويل ٦١١/٢.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ٤٣٥/١، والمساعد في تسهيل الفوائد ٩٣/٢، والبحر المحيط ٤٩٢/٤.

مع الأنعام التي يستخلص منها اللبن لأنها أقل من عموم الأنعام. وجاء بالضمير المؤنث مع عموم الأنعام^(١).

ومن المقاطع المتناصة ما يختلف فيها الضمير بروزا واستتارا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، حيث استتر ضمير الفاعل، فيما ظهر في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ٤٢] ويرى ابن الزبير أن سبب الحمل على اللفظ في آية الأنعام هو أنه قد اقترن بها ما يبين أن المستمعين جماعة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ فأمن اللبس وارتفع الاحتمال، ولهذا جاء بصيغة الإفراد. أما آية يونس فلم يقترن بها ما يبين أن المستمعين جماعة؛ فجاء الفعل مسندا إلى واو الجماعة لئلا يتوهم أن المستمع واحد^(٢). وذهب غيره من العلماء إلى أن سبب ذلك هو أن آية الأنعام نزلت في قوم قليلي العدد هم أبوسفیان والنضر بن الحارث وعتبة بن شيبه وأميه بن خلف - كما في سبب النزول - فحمل على اللفظ لقتهم. وأما آية يونس فإنها نزلت عامة في جميع الكفار فحمل على المعنى لكثرتهم^(٣).

(١) ينظر: درة التنزيل ٣٦٨، والبرهان للكرمانى ١٦٢، وبصائر ذوي التمييز ٢٥٨/١.

(٢) ينظر: ملك التأويل ٣٠٧/١.

(٣) درة التنزيل ١١٧، ومعتك الأقران ٣٢٢/٣، وروح المعاني ١٢٥/١١.

المبحث الثالث: التناص التكاملي

وهو ما يمثل العلاقة الحاصلة بين الآيات والمقاطع التي ينتظمها موضوع جامع وتتكامل مع بعضها عن طريق جمع أجزائها لتنتج الصورة الكلية أو القصة الكاملة أوالموضوع المترابط الأجزاء أو المتكامل الأنواع في القرآن.

يتميز القرآن بأنه كتاب متكامل، بمعنى أن ما أجمل في موضع قد فصل في موضع آخر، وما قصه الله في موضع أتى بجانب ورؤية مكملة لقصته في موضع آخر حتى تكتمل الرؤية وتصل العظة والعبرة المرجوة، وتتضح في الذهن الصورة الكاملة لكل موضوع من موضوعات القرآن؛ فينتفي العذر وتقوم بذلك الحجة.

ومن صور التناص التكاملي:

لقد تعددت صور التكامل بين ما تناص من آي القرآن؛ فنجد القصة القرآنية وقد تكاملت أحداثها من خلال الآيات المتتامة الواقعة في سياقها، ونجد رسدا موثقا للتدرج التشريعي في فرض الأحكام من خلال جولة على ما تناص من آيات الموضوع محل النظر، وتتكامل الأطوار ويظهر تعدد الأنواع لقضية من خلال جمع ماتناص من الآيات ذات الصلة. وفيما يلي جملة من صور هذا الضرب من التناص:

١- التكامل القصصي:

تختلف سور القرآن في تناولها القصص، فبعضها يميل إلى الإطناب والتفصيل، وبعضها يميل إلى الإيجاز أو الإشارة إلى القصة، وذلك من باب التناسق والتناسب، فكل سورة لها مبنى خاص، وطبيعة لغوية، وكذلك طبيعة إيقاعية، وترد قصص القرآن في السور وفق تلك الطبائع مجتمعة، لتتسجم في أسلوب القرآن، وتتسق في مبناه، وقد وردت قصص أنبياء الله (نوح وهود وصالح ولوط وموسى) صلوات الله وسلامه عليهم في سورة الأعراف وتكرر ذكرها في سورة هود، ووردت

القصص الخمس في سورة القمر، فكانت تميل إلى الإطناب والتفصيل في (الأعراف وهود)، وتميل إلى الإيجاز في (القمر) فتناولت سورة القمر هذه القصص في أبلغ إيجاز، وأوفى مقصود، وقد جاءت سورة إبراهيم في مبناها تميل إلى الإيجاز عند ذكر قصص الأنبياء كما نجد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢).

وأشهر القصص القرآني وأكثرها انتشارا في ثنايا الكتاب العزيز قصة نبي الله موسى - عليه السلام - ثم قصص أنبياء الله آدم وإبراهيم وعيسى عليهم وعلى نبينا صلوات الله وسلامه.

وفي قصة «موسى» عليه السلام من الإجمال والتفصيل الكثير، ومن ذلك قول الحق تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُتْرَكَ لِحَاكِنَّهَا جَانٌّ وَلَى مُدَبِّرًا﴾^(٣). فشبهت العصي بالجان، والجان اسم عام لكل ما كان متشيطنا من الجن، دون ذكر لجهة الشبه أو طبيعة العلاقة. لكن هذا الوصف يتضح أكثر ويأتي مفصلا في سورة طه بقوله سبحانه: ﴿فَأَلْقَاهَا فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(٤) فاتضح من الآية أنها حية على جهة التحقيق لا مجرد التشبيه، ثم يدق الوصف في (الأعراف) ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فِإِذَا هِيَ تُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾^(٥) والشعبان نوع مخيف من الحيات، ويتأمل الصورة مكتملة، تجدها كل هذه اللقطات، فهي ﴿تُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ في آية الشعراء وهي ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ في آية طه وفي آية القصص ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ يقول الرازي عن ذلك: «أما الحية فهي اسم الجنس

(١) سورة إبراهيم آية: ٦.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٦.

(٣) سورة القصص آية: ٣١.

(٤) سورة طه آية: ٢٠.

(٥) سورة الأعراف آية: ١٧.

ثم إنها لكبرها صارت ثعباناً، وشبهها بالجان لختها وسرعتها فصح الكلامان، ويحتمل أنه شبهها بالشیطان لقوله تعالى: ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾^(١) «(٢)». (٢).

ويقول القرطبي: «كأنها جان، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم. وقال الكلبى: لا صغيرة ولا كبيرة. وقيل: إنها قلبت له أولاً حية صغيرة فلما أنس منها قلبت حية كبيرة. وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة، ومرة حية تسعى وهي الأنثى، ومرة ثعباناً وهو الذكر الكبير من الحيات. وقيل: المعنى انقلبت ثعباناً تهتز كأنها جان لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعى»^(٣).

والآيات تتكامل في القصة، ولا تتناقض، ولكنه التكامل في أركان القصة والوصف الدقيق للحدث كاملاً متكاملًا، فمن الثابت أنها لم تظهر بمظهر واحد في كل المرات، وإنما اختلفت وفق سبب ظهورها، ففي بدايتها حية خفيفة ليألفها صاحب المعجزة، وهكذا حتى تكتمل أركان المعجزة بالتهاهما ما يأفك القوم.

وكذلك قول الحق تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ ۝٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾^(٤). فالسرد القصصي في الآية يميل إلى الإيجاز والإجمال، في تتابع الأفعال التي وصفها الآية بأنها وحي من الله سبحانه: (اقذفيه، فليلقه، يأخذه عدو..).

وتأتي آية «القصص» وفيها التفصيل لما أجمل هنا، يقول الحق سبحانه:

(١) سورة الحجر آية: ٢٧.

(٢) ينظر: مفاتيح العيب، لتفسير الرازي ٥٠١/٢٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٦٠/١٣.

(٤) سورة طه الآيتان: ٣٨، ٣٩.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾^(١)
 فكان من التفصيل أن ترضعه فإذا خافت عليه ألقته في اليم، والآية هنا تفسح للمزيد من مشاعر الأمومة فالرضاع ومشاعر الخوف والحزن^(٢)..

في سورة طه آية (٩٤): ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِرَأْسِي وَلَا رَأْسِي ﴾، وفي الأعراف (١٥٠): ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ ﴾، وفي الأعراف: ﴿ قَالَ أَبْنَأْم ﴾، وفي طه: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ ﴾، وفي الأعراف: ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾، وفي طه لم يذكر هذا العذر بل قال: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾.

فبالنظر إلى السياقين معاً تتضح صورة الحوار بين موسى وهارون عليهما السلام، بشكل أفضل وأكمل، وبخاصة فيما جرى بينهما من معاتبة واعتذار^(٣).

ويتجلى التكامل بين الآيات المتناصّة الواصفة لمشهد العبور كمايلي:

ففي طه ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾^(٧٧) ثم في الشعراء آية (٥٣): ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾^(٥٣)
 [الشعراء: ٥٣]، وفي الدخان آية (٢٣، ٢٤): ﴿ فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾^(٢٣)
 وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾^(٢٤) [الدخان: ٢٣ - ٢٤]، ثم في الشعراء: قَالَ تَعَالَى:
 ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾^(٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾^(٦٢)
 [الشعراء: ٦١-٦٢] وفي الشعراء أيضاً ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٦٣) [الشعراء: ٦٣] وقد وردت قصة نبي الله موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم في نحو تسعة عشر موضعاً، وتختلف في

(١) سورة القصص آية: ٧.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤ / ٨٧.

(٣) التكامل السياقي، عبدالوهاب أبوصفية، ص ٧٧.

كل موضع منها من حيث الإجمال والتفصيل أو الذكر بالإشارة إليها، ونشير إلى بعض مواضع القصة في الآيات على سبيل المثال لا الحصر، حيث يمكن تناول القصة وفق ترتيبها في سور القرآن كما هي عليه في ترتيب المصحف، ففي سورة البقرة - على سبيل المثال - يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١).

- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ (٢).

- ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٣).

إلى أن يختم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

الموضع الثاني :

الآيات التي جاءت في سورة النساء، والتي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنِ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة آية: ٤٩.

(٢) سورة البقرة آية: ٥٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة آية: ٧٤.

(٥) سورة النساء آية: ١٥٣.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ هُمُوعَنَّهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١).

نلاحظ من عرض النماذج القرآنية السابقة أنها تنأى عن التكرار، فهي مواضع تتكامل ولا تتكرر، وتعرض في النهاية لوحة مكتملة الجوانب، متفقة الأركان متناسقة المعنى، لتقدم القصة في صورة لمحات تحض على التدبر والتفكر، وتحت على الدرس والتمحيص، والعجيب أن كل لمحة تقدم في اتساق وتناغم وتوافق مع السورة التي وردت ضمن آياتها، فلا تحظى بالتناسب في غير موضعها، ولا تحظى بالانسجام إلا بين أخواتها من نفس السورة التي وردت فيها، فهي تتناسب معنى ولفظا وفاصلة ثم تتسق من جديد مكونة علاقة أخرى جديدة في إطار القصة الكلية في النهاية، فسبحان الذي أنزل الكتاب وأحكم آياته، ولم يجعل له عوجا..

وفي قصة «ثمود» جاءت جملة في سورة الحاقة: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةٍ ﴾ (٢) وجاء التوضيح بأن الطاغية المقصودة هي الصيحة، فعين نوع العذاب وعدد مراته (واحدة)، ثم النتيجة التي آل إليها حال المعذبين: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ ﴾ (٣).

وتظهر صحة عقيدة المسلمين في عيسى عليه السلام وأنه لم يُقتل ولم يُصلب، في الآيات المتناصدة في قصته فجاء قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ليدل على بشريته، ثم حصل نفي الصلب المزعوم وهذا واضح في آية (١٥٧) من سورة النساء: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾، كما أنه يُفهم ضمناً من آية (١١٠) المائدة المجاورة للنساء التي فيها: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ ﴾، والتي تشبه ما

(١) سورة النساء آية: ١٦١.

(٢) سورة الحاقة آية: ٥.

(٣) سورة القمر آية: ٣١.

ورد في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وهما يشهدان لما في آية (١٥٩) النساء، من عود الضمير في كلمة (موته) ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إلى عيسى عليه السلام.

ومن تكامل القصص (العام):

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾^(١) قال صاحب «الإتقان»: هما (تمليخا) وهو الخير، و (فطروس) وهما المذكوران في سورة الصافات^(٢)

يشير إلى قوله تعالى في الصافات: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾^(٥١) يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ^(٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ^(٥٣) قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ^(٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ^(٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ^(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ^(٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ^(٥٨) إِلَّا مَوْنَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ^(٥٩).

وقد أشار القرطبي في تفسيره لآيات الصافات إلى ما رواه سعيد بن جبير، عن علاقة الآيات في الصافات بآية الكهف بقوله عن القرين المذكور: «قال سعيد بن جبير: قرينه شريكه. وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسميهما مستوفى عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾^(٤) وفيهما أنزل الله عز وجل: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾^(٥) إلى ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾^(٦)»^(٧).

(١) سورة الكهف آية: ٣٢.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١٠٢/٤. وبه قال القرطبي في تفسيره ٨٢/١٥.

(٣) سورة الصافات الآيات ٥١ - ٥٩.

(٤) سورة الكهف آية: ٣٢.

(٥) سورة الصافات آية: ٥١.

(٦) سورة الصافات آية: ٥٧.

(٧) ينظر: القرطبي في تفسيره ٨٢/١٥.

- التكامل في التدرج التشريعي:

يتجلى التكامل التشريعي في قضيتين تناولهما القرآن بشيء من التدرج، وقد بدا التكامل فيهما واضحا نعرض لهما في السطور التالية وهما (تحريم الخمر - ووجوب القتال) فنتناول أمر تحريم الخمر والتدرج في ذلك التحريم، وكذلك وجوب القتال والتدرج فيه بداية من الأمر بالصبر ثم الإذن بالقتال ثم وجوبه على النحو التالي..

- تكامل التشريع في تحريم الخمر:

لما كانت الخمر أحد الأمور التي تعلقت بها قلوب العرب في الجاهلية، وكانت مكونا رئيسا في المشهد الجاهلي أداروا كؤوسها في منندياتهم، وأكثروا من ذكرها في أشعارهم، حتى إن مطلع إحدى المعلقات كان خمريا بامتياز، حين يبدوها عمرو بن كلثوم بقوله:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ** ولا تبقي خمورا الأندرينا

فقد سلك القرآن معهم مسلك التدرج في تحريمها فجاءت الآيات المتناصدة في شأن تحريمها على النحو التالي:

- بدأت بقول الله تعالى واصفا لها بـ(الإثم الكبير): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١).

- ثم نزل النهي عن إتيان الصلاة حال السكر في قوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢).

- ثم نزل التصريح بتحريمها في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ

(١) سورة البقرة آية: ٢١٩.

(٢) سورة النساء آية: ٤٣.

وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾. ثم يشرح بعض أسباب التحريم في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿٢﴾.

هذه آيات ثلاث ورد فيها ذكر الخمر صراحة، وقيل نزلت في الخمر أربع آيات، ففي تفسير الرازي: «نزلت في الخمر أربع آيات، نزل بمكة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ﴿٣﴾. بذكر (السُّكْر) دون التصريح بالخمر».

ويظهر التدرج في التحريم وفق نزول الآيات فيما روي من أن فريقاً من المسلمين، منهم عمر ومعاذ ونفر من الصحابة قالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر، فإنها مذهبٌ للعقل، مسلبةٌ للمال، فنزل فيها قوله تعالى: ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ ﴿٤﴾، فشربها قومٌ وتركها آخرون، ثم دعا عبد الرحمن بن عوفٍ ناساً منهم، فشربوا وسكروا، فقام بعضهم يصلي فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فنزلت: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ ﴿٥﴾ فقل من شربها، ثم اجتمع قومٌ من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاصٍ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعدٌ شعراً فيه هجاءٌ للأنصار، فضربه أنصاري بلحيٍ بعيرٍ فشجه شجّةً موضحةً، فشكا إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً

(١) سورة المائدة آية: ٩٠.

(٢) سورة المائدة آية: ٩١.

(٣) سورة النحل آية: ٦٧.

(٤) سورة البقرة آية: ٢١٩.

(٥) سورة النساء آية: ٤٣.

فنزل: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾^(١) إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾^(٢) فقال عمر: انتهينا يا رب^(٣).

ففي آية البقرة وصفت الخمر مع الميسر بالإثم، وقيل إن أول عيب وصفت به الخمر أن فيها إثمًا كبيرًا، ففي (تفسير الطبري) عن مجاهد: ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾، قال: هذا أول ما عيبت به الخمر. وقيل الإثم المراد: «زوال عقل شارب الخمر إذا سكر من شربه إياها حتى يعزب عنه معرفة ربه، وذلك أعظم الآثام».

وقد روي عن ابن عباس قوله: ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾^(٤)، يقول: ما يذهب من الدين والإثم فيه أكبر مما يصيبون في فرحها إذا شربوها^(٥).

وقد ذكر السيوطي أن عيوب الخمر جمعت في قول الحق سبحانه: ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾^(٦) فوصف الحق سبحانه «جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصداع وعدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب»^(٧).

ووصف الخمر في آية البقرة بالإثم كان التمهيد لتحريمها، فقيل إن قوما كرهوها بعد هذا الوصف وقد أورد الطبري «عن سعيد بن جبير أنه قال: «لما نزلت: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٨) فكرهها قوم لقوله:

(١) سورة المائدة آية: ٩٠.

(٢) سورة المائدة آية: ٩١.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٣٩٦/٦.

(٤) سورة البقرة آية: ٢١٩.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٣٣٠/٤.

(٦) سورة الواقعة آية: ١٩.

(٧) ينظر: الإتيان، للسيوطي ١٨٣/١.

(٨) سورة البقرة آية: ٢١٩.

﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾، وشربها قوم لقوله: ﴿ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ ﴾، حتى نزلت: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾^(١)، قال: فكانوا يدعونها في حين الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة، حتى نزلت: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾^(٢) فقال عمر: ضيعة لك! اليوم قرنت بالميسر!^(٣)

وفي تفصيل ذلك ما أورده السيوطي في تدرج التحريم، «عن ابن عمر قال: نزل في الخمر ثلاث آياتٍ فأول شيءٍ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾^(٤) الآية، فقيل: حرمت الخمر فقالوا: يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾^(٥) فقيل: حرمت الخمر فقالوا: يا رسول الله لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم، ثم نزلت: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾^(٦).

فقال رسول الله ﷺ: حرمت الخمر^(٧).

وتدرج التحريم من الخالق سبحانه - وهو أعلم بحال الخلق وطبيعة النفس البشرية - سنة الله التي أنزل بها الشريعة، فقد أخرج البخاري عن عائشة قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيءٍ: «لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا

(١) سورة النساء آية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة آية: ٩٠.

(٣) تفسير الطبري ٣٣٠/٤.

(٤) سورة البقرة آية: ٢١٩.

(٥) سورة النساء آية: ٤٣.

(٦) سورة المائدة آية: ٩٠.

(٧) ينظر: الإتيان، للسيوطي (٩٩/١).

ندع الخمر أبداً ولو نزل: «لا تزنا» لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. ثم رأيت هذه الحكمة مصرحاً بها في الناسخ والمنسوخ لمكي^(١).

ويؤكد ذلك ما ذكره الرازي في تفسيره من الحكمة من وراء الترتيب والتدرج بقوله: «والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم قد كانوا أفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيراً، فعلم أنه لو منعهم دفعةً واحدةً لشق ذلك عليهم، فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدرج، وهذا الرفق، ومن الناس من قال بأن الله حرم الخمر والميسر بهذه الآية، ثم نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾^(٢) فافتضى ذلك تحريم شرب الخمر وقت الصلاة، لأن شارب الخمر لا يمكنه أن يصلي إلا مع السكر، فكان المنع من ذلك منعاً من الشرب ضمناً، ثم نزلت آية المائدة فكانت في غاية القوة في التحريم، وعن الربيع بن أنس أن هذه الآية نزلت بعد تحريم الخمر^(٣).

فكانت الآيات الثلاث مجتمعة فيها تدرج التحريم بداية من التنفير منها بوصفها إثماً، ثم تجنبها وقت الصلاة طلباً للإدراك والوعي، ثم وصفها بالرجس من عمل الشيطان ليكون القطع في التحريم.

- التدرج في تشريع القتال:

التدرج في تشريع القتال يعتبر من مظاهر التناص التكاملي، فهناك آيات كثيرة متناصّة تأمر بالجهاد والقتال في سبيل الله، وليس من الحكمة والصواب أن يُؤخذ حكمُ القتال في الإسلام من آيةٍ واحدةٍ أو حتى آيتين من هذه الآيات، ولا بد من النظرة الشاملة إلى جانب الإحاطة بأسباب النزول كلما وجدت، كما لا ننسى الواقع

(١) ينظر: الإتيقان، للسيوطي (١/١٥٥).

(٢) سورة النساء آية: ٤٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٦/٣٩٦).

المراد إنزال الحكم عليه فإنه معين على تفسير هذه الآيات، فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿[التوبة: ٥] ستجد أنها خاصة بسببٍ أو ظرف معين، وكذا لو أخذت آية [٣٦] التوبة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وآية (٤١): ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. لكن النظرة التناصية الكلية لما ورد من الآيات المتناصية في هذا الشأن تعيننا على رسم الصورة المتكاملة للحكم والتي تتعاطى مع كل حالة مهما كانت الملابس المحيطة بها وذلك من خلال تتبع التدرج التشريعي الذي جاءت عليه ابتداءً.

فاستنتج مراحل التشريع القتالي ومعرفة التدرج في ذلك من خلال الآيات المتناصية يقودنا إلى أهم المراحل التي مر بها الحكم، وهي:

١- ما قبل الجهاد القتالي؛ وهو الإعداد الروحي، ففي هذا العهد لا نجد ذكراً للجهاد القتالي في القرآن الكريم، وإنما جهاد النفس الإيماني في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وفي أولها: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦].

٢- بعد بيعة العقبة الثانية؛ حيث وردت أول آية تأذن بالدفاع عن النفس إننا مشفوعاً بكل المبررات المشروعة؛ وهي آية [٣٩ الحج]: قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩]، ونلاحظ الدلالة الحاصلة من فتح التاء في «يقاتلون» وضم الظاء في «ظلموا»؛ ولا تنس ما ورد على لسانه ﷺ ضمن مداوات البيعة، حين استأذنه أحد الحاضرين في قتال المشركين في عقر دارهم ولكن النبي ﷺ قال له: لم نُؤمر بعد. وهي عبارة

تحمل كل معاني الاستشراف للمراحل القادمة؛ وتشير إلى التدرج.

٣- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وهو أمر خاص، إذ لم يُع أن قاتل النبي ﷺ المنافقين، وقد جاءت في سورتين مدنيتين (التوبة والتحريم).

٤- قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ الآية (١٩٠) من سورة البقرة، وهي شبيهة بآية الحج مع الاختلاف في العبارة بين الإذن في آية الحج والأمر بالقتال الدفاعي في آية البقرة.

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ آية البقرة (١٩٠): هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت سورة التوبة، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال: هذه منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾. قال ابن كثير: وفي هذا نظر لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله؛ أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم، كما في ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفَعَّمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾؛ أي لتكن همتمكم منبعثة على قتالهم كما أن همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من البلاد التي أخرجوكم منها قصاصاً^(١).

٥- معظم ما ورد في القرآن من آيات تتضمن موضوع الجهاد والقتال تدخل ضمن هذه المرحلة بهدف التنظيم والتدريب، وكسب الخبرة، ومعرفة الآداب والأسباب والحكم ونحو ذلك مما يتعلق بأهداف القتال في الإسلام.

(١) تفسير ابن كثير ١/٢٢٦.

٦- مرحلة المبادرة للقتال أو الجهاد لغايات منها:

(أ) إرهاب العدو، أو ما يسمى بالقتال الوقائي ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ ﴾ الآية (٦٠) من الأنفال، وآية (٥٧) ﴿ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

(ب) حماية الدعوة والدعاة وإزالة المعوقات من طريقها وقطع دابر كل فتنة ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (١٩٣) البقرة، و(٣٩) الأنفال، ثم تدبر قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٩٢) البقرة، وقوله: ﴿ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٣) البقرة.

٧- المبادرة السابقة (عامة)، وهذه المبادرة خاصة بأهل الكتاب: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ الآية (٢٩) التوبة، فأنت ترى أن القتال فيها ينتهي بالتسليم بإعطاء الجزية، ولا يطلب منهم ترك دينهم.

٨- مرحلة نقل الجهاد إلى خارج أرض العرب بدءًا بالأقرب فالأقرب ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ الآية (١٢٣) من التوبة، وهو ليس قتال عقيدة يطلب به حمل هؤلاء الكفار على تغيير دينهم، وإنما هو قتال ردعي كما هو ظاهر من عبارة ﴿ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾.

ومن صور التناص التكاملي:

١- تكامل أطوار الخلق:

الكثير من آيات القرآن تحدثت عن خلق الإنسان، وتكتمل صورة أطوار الخلق في الآيات المتناصّة في هذا الباب منذ بدء خلق الإنسان من تراب ثم سلالة من طين وحتى نهاية المطاف، هذه التفاصيل منثورة متفرقة في كتاب الله يجتمع بعضها ويتفرق في كتاب الله لتكتمل في النهاية سلسلة الخلق، فيذكر القرآن أن الإنسان خلق من تراب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ [٢٠] ثم يقرر أنه خلق من ماء: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ [الروم: ٢٠] ومجموع التراب والماء يعطي طور الطين فيقول جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فهذا هو عين التكامل في الآيات التي نزلت منجمة مفرقة ثم تتسجم وتكتمل وتعطي الحقيقة واضحة.

ومن طور الطين يذكر القرآن المراحل التالية في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ [١٣] ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [١٤] [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وبعدما جاء ذكر أطوار الخلق من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى آخر الأطوار، فهناك ذكر لتفاصيل، بعض المراحل بدقة وبراعة وإعجاز، فتصف الآية بصورة دقيقة أمشاج النطفة، يقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢] [الإنسان: ٢].

وفي آية السجدة يذكر القرآن الأطوار من بدء الخلق من طين، إلى خلق السمع والأبصار والأفئدة؛ في نقلة سريعة تشعر بفيض المنعم وتستحث في النفس مشاعر

العبودية المستشعرة لعظمة الخالق، والمستعدة للسجود خين يقول سبحانه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۗ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

وفي آية الحج تعدد أطوار الخلق لكنها تتخذ منحى آخر حيث تحصي مراحل العمر في حياة الإنسان من مبدأ التراب إلى النطفة ثم العلقة ثم المضغة وحتى يرد إلى أرذل العمر، يقول تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴿٥﴾ [الحج: ٥]، وهذا الاستعراض المفصل للأطوار الإنسان ابتداء من التراب ووصولاً إلى الرد إلى أرذل العمر أو الوفاة مناسب لمطلع السورة المذكر بأحوال القيامة، ويبدو الرابط جلياً في مستهل الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ تَذَهُلًا ۗ﴾.

وفي الآية ما أشار إليه آية السجدة، من خلق السمع والبصر، يقول الزمخشري: عن قوله تعالى: ﴿وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾:

(القرار: المُسْتَقَرُّ، والمُرَادُ بِهِ: الرَّحِمُ وَصِفَتْ بِالْمَكَانَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْمُسْتَقَرِّ فِيهَا، أَوْ بِمَكَانَتِهَا فِي نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مَكَّنَتْ بِحَيْثُ هِيَ وَأُحْرِزَتْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَي: خَلْقًا مُّبَايِنًا لِلْخَلْقِ الْأَوَّلِ مُبَايِنَةً مَا أَبْعَدَهَا حَيْثُ جَعَلَهُ حَيَوَانًا وَكَانَ جَمَادًا، وَنَاطِقًا وَكَانَ أَبْنَمًا، وَسَمِيْعًا وَكَانَ أَصَمًّا، وَبَصِيْرًا وَكَانَ أَكْمَهَ وَأَوْدَعَ بَاطِنَهُ وَظَاهِرَهُ، بَلْ كُلُّ غُضُوٍّ مِنْ أَعْضَائِهِ وَجُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ عَجَائِبُ فِطْرَةٍ، وَغَرَائِبُ حِكْمَةٍ، لَا تُدْرِكُ بِوَصْفٍ) (١).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن ٣٢٤/٥.

وتتقلب الآيات لتصور الأمر من زاوية أخرى في قوله سبحانه: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]. «أَي: ظُلْمَةَ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةَ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةَ الْمَشِيمَةِ. فَقَدْ رَكَّبَ تَعَالَى عِظَامَ الْإِنْسَانِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَكَسَاهَا اللَّحْمَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ، وَفَتَحَ مَجَارِيَ الْبَوْلِ وَالْعَائِطِ، وَفَتَحَ الْعَيْوْنَ وَالْأَذَانَ وَالْأَفْوَاهَ وَفَرَّقَ الْأَصَابِعَ وَشَدَّ رُعُوسَهَا بِالْأَظْفَارِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ صُنْعِهِ وَعَجَائِبِهِ، وَكُلُّ هَذَا فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَقِّ بَطْنِ أُمِّهِ وَإِزَالَةِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ»^(١).

وقد توقف العلم الحديث مشدوها وفاغرا فاه أما هذا التصوير الدقيق لطوار خلق الإنسان، وكان بوابة لدخول طائفة من علماء الأحياء والأجنة إلى الإسلام.

تكامل الوصف: وصف الجنة والنار:

التكامل المراد هنا هو أن يورد القرآن وصفا ثم يتم هذا الوصف في آية أخرى أو سورة أخرى، حتى يتكامل الوصف، وتكتمل أجزاء الصورة، لمن ينظر إليها نظرة كلية، ومن ذلك في وصف الجنة المبثوث في القرآن، مما يسمح للمؤمن أن يرسم في بقعة بعيدة من خياله صورة أولية عن الدار التي يتمنى أن يكون من سكانها؛ فيعيش مع تفاصيل هذا النعيم المقيم في أجواء مضمخة بالأشواق والحنين، مما لايتأتى له إلا باستحضار ما تناص من الآيات في وصفها. وهذا مما يصبر المؤمن ويثبتته في طريق الإيمان.

فتبين هذه الزمرة من الآيات المتناصّة تفاصيل هذه الدار وأحوال الناس فيها - جعلنا الله وإياكم من سكانها، فنجدها تصف الولوج إلى أبوابها حين يقول تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْ قَبْلِهَا خَالِدِينَ فِيهَا وَسُورَةٌ مِّنَ الْأَعْيَانِ فِيهَا جَنَّاتٌ مِّنْ دُونِهَا فِيهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ ثَمَرَاتٍ لَّا يَنْبَغِي لِهَا ثَمَرٌ أُخْرَىٰ كَذَلِكَ نَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر...وروي:

(١) البيان في إيضاح القرآن ٢٧٠/٤.

(أبواب تكلم، فنكلم: انفتحي، انغلقي)^(١).

وقيل المراد بذلك: (أي إذا جاءوها لا يلحقهم ذلّ الحجاب، ولا كلفة الاستئذان، تستقبلهم الملائكة بالترحاب)^(٢).

وهذا يتممه معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

فَقِيلَ: (إِنَّ زِيَادَةَ الْوَاوِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَبْوَابَ فُتِحَتْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا لِكِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّقْدِيرُ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَأَبْوَابُهَا مُفْتَحَةٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] وَحَذْفُ الْوَاوِ فِي قِصَّةِ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ وَفُتِحَتْ بَعْدَ وَقُوفِهِمْ إِذْ لَا وَتَرْوِيغًا لَهُمْ)^(٣).

وقد وصفت الجنة بصفات ثلاث رئيسة:

الأولى: أنها تجرى من تحتها الأنهار، والثانية: دوام أكلها وثمارها، والثالثة دوام ظلها. ﴿أَكُلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾.

وترد هذه الأوصاف في أكثر من موضع، وفي غير سورة متفرقة، فالصفة الأولى أكثر الصور تكراراً، وتردداً في سياقها القرآني وفق الموضع الذي ترد فيه، فمن وصف الأنهار، على سبيل المثال لا الحصر قول الحق تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٥].

وفي الصفة الثانية والثالثة: يقول الحق تعالى: ﴿الْمِهَادُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَ

(١) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢١.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ٢٦٠/٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢٨٥/١٥.

تُعْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودٌ وَيَسَّسَ ﴿ [الرعد: ٣٥].

ثم نجد التكامل في وصف تفصيل الأنهار التي وردت مجملة فيرد تفصيل عن أنواعها وما يجري فيها في قول الحق سبحانه: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥].

ويقصر القرآن في أغلب الآيات على ذكر الأنهار دون غيرها من الصفات، ويسوق الرازي تعليلا لهذا بقوله: «كثيرا ما يقتصر القرآن على ذكر الأنهار في وصف الجنة، لأن النهار يتبعها الأشجار، والأشجار تتبعها الثمار، ولأنه سبب حياة العالم، والنار سبب الإعدام، وللمؤمن الماء ينظر إليه وينتفع به، وللكافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها»^(١).

ثم توصف بدوام أكلها وثمارها «أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها بخلاف جنات الدنيا»^(٢). فنرى وصف الأكل والثمار الدائمة غير المقطوعة، فالإشارة إليها في قوله سبحانه: ﴿ وَفَكَهْمَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣] وقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

- ثم يصفها المولى تعالى بدوام الظل:

وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان: ١٣].

فنفى عنهم شدة الحر وشدة البرد، لأن كليهما يؤدي، يقول الطبري عن هذه الآية: «لا يرون فيها شمسا فيؤذيهم حرها، ولا زمهريرا، وهو البرد الشديد، فيؤذيهم

(١) تفسير الرازي ٤٤/٢٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣١٥/١١.

بردها»^(١). وهذا القول يفسر دوام الظل بعيدا عن الضدين الحر والبرد، يقول النسفي في تفسيره لهذه الآية: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾:

«لا شمس فيها ولا زمهرير، فظلها دائم وهوؤها معتدل، لا حر شمس يحمي، ولا شدة برد تؤذي، وفي الحديث هواء الجنة سبج لا حر ولا برد»^(٢).

ووافقه في ذلك ابن عادل: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ وقال عليه السلام: «لا صباح عند ربك ولا مساء بل هم في نور أبدا»^(٣).

وتصف الآيات حال أهلها، وما عليهم من آثار النعمة، يقول تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۗ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۗ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۗ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۗ﴾ [الغاشية: ٨-١١]. وتتوالى أوصاف الجنة وتفاصيلها وحال أهلها وما يجدونه من نعيم مقيم فيها، فترد الآية مجملة ﴿وَجَزَّوهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

ثم تتكامل الأوصاف، وتتجمع أجزاء الصورة لتكون شكلا له هيئته الكاملة، من الخارج والداخل، من التمتع بالنظر إلى الأنهار والثمار، إلى الظل الدائم واعتدال الجور، إلى الإمعان في الترف والترويح فقطوفها دانية، إلى تفاصيل الأواني والأباريق، إلى تفاصيل الملابس من الحرير والإستبرق، في ذلك كله يورد المولى سبحانه في تصوير الجنة، وتفصيل أشكال النعيم الآيات التالية:

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥].

(١) تفسير الطبري ١٠٢/٢٤.

(٢) النسفي ٥٧٩/٢.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٩٦/١٣.

﴿ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ۝١٦ ﴾ [الإنسان: ١٦].

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧ ﴾ [الإنسان: ١٧].

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ﴾ [الإنسان: ١٨].

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۝١٩ ﴾ [الإنسان: ١٩].

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠ ﴾ [الإنسان: ٢٠].

ثم يورد الحق سبحانه تفصيل الحرير والزينة:

﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنْ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَحَلَوٌ مِثْلُ مِسْكٍ وَإِسَاطِيرُ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ ﴾

[الإنسان: ٢١].

ثم يفصل الحق سبحانه استقرار أهل الجنة بعيدا عن الصخب والنصب، فيقول

تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا آسَأْتَهُتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيدُونَ ۝١٠٢ ﴾ [الأنبياء:

١٠٢].

ثم يصف الحق سبحانه حال الدخول بأمان، والاطمئنان بدوام البقاء، وبين هذا

وذاك نفوس راضية نزع منها ما كان من غل، وهم متقابلون في سرور يقول تعالى:

﴿ إِنَّا أَلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ أَدْخُلُوها سَلَامٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ

إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨ ﴾ [الحجر:

٤٥ - ٤٨].

ومن قبيل التكامل أيضا تكامل وصف النار بما يقابل وصف الجنة من وصف

أحوال أهلها وكيف يكون استقبالهم فيها وما يأكلون وما يشربون وطريقة جدالهم

وتخاصمهم - نسأل الله السلامة من حالهم ومآلهم...

٢- تكامل درجات التحدي:

عندما نعرض للتحدي الذي يواجهه به القرآن الكريم المنكرين الجاحدين، يبدو بوضوح ونحن بصدد عرض هذه القضية مدى التكامل في عرض ذلك التحدي، حين جاء القرآن إلى العرب متحدياً فيما يجيدونه ويتقنونه، وهو الفصاحة وقوة التعبير والاتقان في تصريف وجوه القول، وامن في تحديهم؛ فقد حكم الحق تعالى في باب التحدي أن لا يستطيع كائن من كان من الإنس أو الجن أن يأتي بمثل هذا القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم نراه يتنزل معهم في التحدي؛ فيحدد التحدي بعشر سور مثله، في سورة هود حين يقول: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مِنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣] فيشير القرآن إلى باب من أبواب الإعجاز، فيتحدى هؤلاء بأن يأتوا بعشر سور مثله.

ثم ينتقل التحدي ليتخذ طورا جديدا فيتحدى في الإتيان ولو بسورة واحدة من مثله: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَاَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وكذلك جاء التحدي في سورة يونس قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاَدْعُوا مِنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٨].

يقول الزركشي: «وَجَهَ الْإِعْجَازِ الْفَصَاحَةُ وَغَرَابَةُ الْأُسْلُوبِ وَالسَّلَامَةُ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مُقْتَرِنًا بِالتَّحْدِي وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِّمَّا سَبَقَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨] وَالْمُرَادُ: بِمِثْلِ نَظْمِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ ضَعِيفٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ بِعَشْرِ سُوْرٍ

مَثَلِهِ ۞ وَالسِّيَاقُ وَاحِدٌ» (١).

ونجد ان القرآن قد أمعن في تحديهم، من خلال هذا التدرج والتنزل في التحدي؛ مما أجم ألسنتهم وحير عقولهم.. ونستفيد ونحن نستقريء الأمر من خلال ما تناص من آياته، نزداد يقينا بكمال هذا الكتاب، وبعجز البشر وضآلتهم أمامه، إذ التحدي لازال قائما من لدن نزول الوحي إلى يوم الناس هذا.

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٩٨/٢.

المبحث الرابع: التناص التقابلي

ويقصد به ما جاء من آي القرآن أو أبعاضها حاملا لمعان متقابلة أو متضادة وتنتج عند تقابلها صورة مشتركة أعمق في الدلالة. ويحقق هذا الاتجاه التناصي درجة عالية من تمكن المعنى ووضوح الفكرة، عند وضعها في مقابل نظيرتها بما لا يحققة إفرادها بالذكر. وهو قد يكون بين آيتين أو مقطعين متباعدين، وقد يكون بين وحدتين نصيتين متتاليتين. والتقابل القرآني يقع بين معانيه كما يقع بين ألفاظه، وهو بين الألفاظ يزيد لها لذة وإثارة، وبين المعاني يزيد لها وضوحا وجلاء^(١).

يجد المتأمل في صور التقابل القرآني أنها تقوم - في جل أمرها - على الآيات والمقاطع المتناصّة التي تحمل قدرا من التعارض والتضاد، وربما انتفى التوافق في البعد اللفظي بينها؛ فكانت العلاقة على شاكلة المعارضة في الشعر، وإن كانت بالجملة أقرب إلى فكرة «الحوارية» عندما يقرر أن كل ملفوظ يدخل في علاقة حوارية مع ملفوظات أخرى سواء على جهة التوافق أم على جهة المخالفة والتضاد؛ تأثرا وتأثيرا^(٢).

- جمالية التقابل في القرآن:

لأريب أن كلام الله - جل شأنه - كله جميل، فهو سبحانه وتعالى «جميل يحب الجمال»^(٣)، وهو جمال ظاهر أو باطن في هذا الكون هو من آثار صنعته. وجمالية النص القرآني ربانية المصدر «فإنك لن تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتشرح له الصدور»^(٤).

(١) أسلوب التقابل في القرآن، عماري عزالدين، ص ١٠٨.

(٢) المبدأ الحواري، تودوروف، ص ٥٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، كتاب التحذير من الكبر.

(٤) ثلاث رسائل في الإعجاز، الخطابي، ص ٧٠.

والجمال هنا انبھاري «قائم على البديع الرائع في النظم واللفظة، والاتساق والالتئام والنظام والتقابل المبهر للعقول»^(١). ويرى حازم القرطاجني أن «للفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات، تحريكا وإبلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام.. ومثول الحسن إزاء القبيح، القبيح إزاء الحسن، مما يزيد غبطة بالواحد، وتخلياً عن الآخر لتبين حال الضد إزاء ضده، فلذلك كان موقع المتقابلات من النفس عجباً»^(٢).

- حقيقة التقابل في القرآن:

فرق البلاغيون والمفسرون بين المقابلة والطباق، فعدوا الطباق لونا من المقابلة وفرقوا بينهما على وجهين: «الأول: أَنَّ الطَّبَّاقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ الضَّدِّينِ غَالِبًا وَالْمُقَابَلَةَ تَكُونُ لِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا.

وَالثَّانِي: لَا يَكُونُ الطَّبَّاقُ إِلَّا بِالْأَضْدَادِ وَالْمُقَابَلَةُ بِالْأَضْدَادِ وَغَيْرِهَا وَلِهَذَا جَعَلَ ابْنُ الْأَثِيرِ^(٣) الطَّبَّاقَ أَحَدَ أَنْوَاعِ الْمُقَابَلَةِ.

الثاني: في أنواعها.

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: نَظِيرِيٌّ، وَنَقِيضِيٌّ، وَخِلَافِيٌّ. وَالْخِلَافِيُّ أْتَمُّهَا فِي النَّشْكِيكِ وَالزَّمُّهَا بِالتَّأْوِيلِ وَالنَّقِيضِيُّ ثَانِيهَا وَالنَّظِيرِيُّ ثَالِثُهَا^(٤).

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن، نذير حمدان، ١٤.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ٤٤.

(٣) هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، من العلماء الكتاب المترسلين، ولد في جزيرة ابن عمر سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، من تصانيفه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، البرهان في علم البيان توفي سنة سبع وثلاثين وست مئة.

ينظر: وفيات الأعيان ١٥٨/٢، ومفتاح السعادة ١٧٨/١، وآداب اللغة ٥٠/٣، والأعلام ٣١/٨.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ط ١٩٥٧م، ٤٥٨/٣.

ونعرض هنا للتقابل فقد يرد في الآية الواحدة: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ (٣١) ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (١).

فقابل ﴿صَدَقَ﴾ بـ ﴿كَذَبَ﴾ و ﴿صَلَّىٰ﴾ الذي هُوَ أَقْبَلَ بِـ ﴿تَوَلَّىٰ﴾ وهناك مقابلة الشيء بمثله وجعلت على ضربين:

التقابل اللفظي: وهو أن يرد مقابل اللفظ دون المعنى ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُومًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢).

وهذا ما يطلق عليه البلاغيون المشاكلة، فمن المؤكد أن هؤلاء يمكرون لكن الحق سبحانه لا يكون هذا فعله، وقد أورد الطبري عن ابن إسحق بخصوص هذه الآية: (أي: فمكرت لهم بكيدي المتين، حتى خَلَصَك منهم) (٣). وقال القرطبي في تفسيرها: «وَالْمَكْرُ: التَّدْبِيرُ فِي الْأَمْرِ فِي خَفِيَّةٍ. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ابْتِدَاءً وَخَبْرًا. وَالْمَكْرُ مِنَ اللَّهِ هُوَ جَزَاؤُهُمْ بِالْعَذَابِ عَلَىٰ مَكْرِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» (٤).

ونخرج من هذا العرض أن المكر الأول ليس هو نفسه المكر الثاني، فاختلاف المعنى المراد من اللفظين هو لون من التقابل اللفظي الذي هو لون من التناص التقابلي.

تقابل المعنى: ومقابل يرد في المعنى دون اللفظ ومنه قول الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ (٥) فإنه لو كان التقابل

(١) سورة القيامة، الآيات: ٣١ - ٣٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٠.

(٣) تفسير الطبري ١٣/٥٠١.

(٤) تفسير القرطبي ٧/٣٩٧.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٥٠.

هنا من جهة اللفظ لكان التقدير: وإن اهتديت فإنما اهتديت لها^(١).

وقد عدد الدارسون من تقسيمات التقابل الكثير، منها مقابلة اثنين باثنين:
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢). ومقابلة ثلاثة بثلاثة ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى﴾^(٣) الآيات.
ومن مقابلة خمسة بخمسة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا
بِعُوضَةٍ فَمَا قَوْفَهَا﴾^(٤) للدلالة على الحقير والكبير، وقيل إنه من المقابلة الخفية
الثانية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٥) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٦) الثالث (يضل)
و (يهدي) به، والرابع ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٧) الخامس (يقطعون) و (أن
يُوصَل).

ومن مقابلة ست بست ومنه قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٨).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٩) قابل الجنات
والأنهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان، بإزاء النساء في الدنيا وختم بالحرث،

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/٤٦١ - ٤٦٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الليل، الآية: ٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

وهما طرفان متشابهان وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي وآخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخرى وختم بالرضوان^(١).

- من صور التناص التقابلي في القرآن:

التقابل كثير في القرآن، لا تكاد تخلو منه سورة، ومن عجيب ما توصل إليه بعض الدارسين: أن الألفاظ المتقابلة في القرآن متساوية في عدد مرات ورودها. فنجد أن كلمة (الدنيا) تكررت في القرآن بقدر (الآخرة)، فقد تكررت كل منهما ١١٥ مرة. وأن (الملائكة) تكررت بقدر (الشياطين)، فقد تكررت كل منهما ٨٨ مرة. وأن الموت ومشتقاته تكررت بقدر (الحياة)، فقد تكررت كل منهما ١٤٥ مرة. وأن (الصيف والحر) تكررا بقدر لفظ (الشتاء والبرد)، فقد تكررت كل منهما خمس مرات. وأن لفظ (السيئات) ومشتقاتها تكررت بقدر لفظ (الصالحات) ومشتقاتها، فقد تكررت كل منهما ١٦٧ مرة. وأن لفظ (قالوا) تكررت ٣٣٢ مرة (ومن عجب أن يتساوى هذا مع لفظ (قل) الذي هو أمر من الله إلى خلقه، فسبحان من قال (قل) ٣٣٢ مرة فكان القول ٣٣٢ مرة^(٢). إنصافا للمخالف وإثباتا لنص رأيه على ما فيه من فساد.

- سور مبنية على التقابل:

هناك سور عديدة في القرآن تقوم في بنائها العام على التقابل. مثل سور: الزمر، والذاريات، والطور، والرحمن، والواقعة، والحاقة، والقيامة، والإنسان والغاشية، والشمس، والليل، والكافرون.

ولعل من أكثر السور تمكنا في التقابل سورة الواقعة؛ التي تتشكل في بنائها العام من مشهدين رئيسين متقابلين، يمثلان أهل النعيم وأحوالهم، في مقابل أهل العذاب وأحوالهم، وفي المشهدين تتقابل كثير من الصور الجزئية. فتبدأ السورة بعد

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) الإعجاز العددي في القرآن، عبدالرزاق نوفل، ١٥-٢٥، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٩م.

مطلعها بذكر صنفين من أهل النعيم، أولهما: السابقون في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝١٤ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝١٥ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۝١٩ وَفَنِكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلِحَرِّ طَبِيرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦ ﴾ [الواقعة: ١٠ - ٢٦] والثاني: أصحاب اليمين في قوله: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝٢٩ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَنِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَهُمْ أَجْرًا ۝٣٦ عُرْبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٤٠]، ونرصد أن ثمة تقابلا حاصلًا بين هذين النوعين من أهل النعيم، مع أن التقابل الرئيس يتحقق مع أهل العذاب، حين تدلف السورة إلى ذكر أصحاب الشمال في مقابل الصنفين الأولين، في قوله: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ۝٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْدِبُونَ ۝٥١ لَأَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفُومٍ ۝٥٢ فَمَالَتُونَ مَهَا الْبُطُونِ ۝٥٣ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ۝٥٥ هَذَا نَزُّهُم يَوْمَ الدِّينِ ۝٥٦ ﴾ [الواقعة: ٤١-٥٦].

وفي المقابلة الأولى يتجلى التفاوت في الدرجة مع الشبيه حيث تتحقق المقابلة في قوله سبحانه: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ مع قوله: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾. فالتفاوت في العدد من القلة إلى الكثرة دليل على تفاوت في المكانة. ثم يذكر أصنافا من نعيم السابقين ليس لها مايقابلها عند أصحاب اليمين

كالسرر، وتقابلهم متكئين، وطواف الولدان، والأكواب والأباريق والكأس. ثم يقابل بينهم في قوله: ﴿وَفَكَهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَفَكَهَةً كَثِيرَةً﴾ والتباين ثم ظاهر، كما هو ظاهر في وصف الحور بين الطرفين، بين قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾.

أما المقابلة الثانية فبين النقيضين في كل شيء:

- فيصف الجو والظل عند الطرفين بقوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وقوله: ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾.

- ويصف طعامهم بقوله: ﴿وَفَكَهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠) وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ، في طعام أهل النعيم، فيما يصف طعام أهل العذاب فيقول: ﴿لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ (٥٤) فَأَلْثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، ليسشعر المؤمن المؤمن كم البون شاسع والفرق واسع بين الفريقين. - ويصف شراب أهل النعيم وتنوعه بين ماء جار من عيون الجنة: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾، وتمر لذيدة المشرب، ولايعتري شاربها أي عارض مكدر مما يخالط خمر الدنيا من صداع ونحوه: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨) لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ، بينما الفريق الآخر شرابهم عذابهم، ماء، يرغمون على شربه إمعانا في عذابهم: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ (٥٤) فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ.

ثم تعود السورة في مقطع الختام لعرض أحوال الأصناف السابقة ولكن في تصوير لمشهد الموت عند كل فريق. فبينما يقابل المقربون بالروح والريحان والبشارة بالنعيم المقيم: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ، ويكون إستقبال أصحاب اليمين بالسلام والطمأنينة: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وبعد أن ذكر أحوال حزب النجاة جسد التقابل الفوري المفارقة الهائلة

وعمق من الأثر المنشود من معرفة هذه الأحوال حيث جاء حال الفريق الهالك غاية في الفطاعة والشناعة بصورة أكبر وأبلغ منها لو افردت بالذكر دون ما قبلها.

- تقابل المعاني في الآيات:

ويقع التقابل بين معنيين في زمرة من الآيات المتناصّة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٤] وفي السورة المجاورة

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ (٢٧) [الرعد: ٢٧]، ثم آية (٢٨) التي بينت صفات من أناب.

فالتكامل هنا قد أضاء لنا حقيقة مهمة وهي أن للهداية أسبابا، كما أن للضلال أسبابا، مما يبين أن الهداية والضلال ليسا مخلوقين ومكتوبين على الإنسان إلزاماً من غير أن يكون منه ما يستوجب ذلك في علم الله الأزلي سبحانه، وقد اجتهدت في استقصاء الأسباب التي أوردتها القرآن للأمرين من خلال ما تناص من الآيات في هذين المعنيين المتقابلين، على أنها ستكون أمهات الأسباب كل في بابها.

عند استعراض الآيات المشتملة على أسباب الضلالة تستوقفك آيتا [غافر:

٣٤-٣٥]: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ

مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣٥). كما تستحضر أنه قد ورد قبلهما قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٣٨) [غافر: ٢٨]. فتقف أمام أسباب من قبيل: الإسراف بكل أشكاله سواء في المعاصي أم في المباحات، والارتباب والشك في حقائق الدين، والجرأة على المجادلة في آيات الله والكلام عليه بغير علم، وامتهان الكذب. أليس كل واحد منها كاف لهلاك صاحبه إن لم يتب؟.

كما تستحضر في هذا الصدد آية الزمر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ

﴾ [الزمر: ٣]، وآية الروم: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ

أَضَلَّ اللَّهُ ﴿ [الروم: ٢٩]، فتجد الكذب يتكرر سببا أصيلا للضلال، فكيف إذا امتزج بكفران نعم الله؟. ثم تجد التصريح بأن الذين أضلهم الله هم الذين اتبعوا أهواءهم بغير علم، أي من غير دليل أو بحث، فاستحقوا الخذلان ومنع العون عنهم.

وأختم بهاتين الآيتين شديديتي الوضوح في هذا الأمر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ [النحل: ١٠٤]، وقوله: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ آل عمران: ٨٦. وليس بعد الكفر ذنب.

- وعند استعراض الآيات المشتملة على أسباب الهداية في القرآن -

تستوقفك الآية الكريمة: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ [محمد: ٤ - ٥]، والآية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] فمن جاهد نفسه ثم عدوه في سبيل الله، فسوف يهديه الله، ومن طلب الشهادة بصدق فسوف يهديه الله إلى طريقها حتى يبلغها.

والآية ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥]، الآية (٩) من سورة يونس: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ [يونس: ٩] وقوله: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٦] فمن آمن بالله، واعتصم به، وعمل الصالحات، فقد تمثل أسباب الهداية.

وبهذا الجمع بين هاتين الزمرتين من الآيات المتناصّة، وبالتقابل الحاصل

بينهما، يتكامل مفهوم الهداية والإضلال في ذهن المسلم بلا قدرية ولا جبرية صارمتين، بل إيمان ومجاهدة لتحقيق أسباب الهداية، وصبر ومجادلة لأسباب الضلال. والاستعانة بالله في الحاليين.

ومن تقابل الآيات قول الحق سبحانه: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُذَرُّوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾^(٢).

فقد جاء التقابل بين الآيتين في حال دخول النار ودخول الجنة، ومقابلة التفرع في استقبال الذين كفروا، ومقابلة ذلك بحال الذين اتقوا وكيفية الترحيب بهم.

ويشكل لفظ (زمرًا) في الآيتين لونا من التقابل اللفظي الذي أشار إليه البحث، حيث ترد زمرًا في حال أهل الكفر ويراد بها: العنف والتعب والدفع كما يبين الطبري^(٣) يفسره قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ قال: يدفعون دفعا. وزمرًا في حال الذين اتقوا يراد بها «جماعات» كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴾. فهؤلاء وفد الله.

وكذلك يكون التقابل بين الفعلين (سيق وسيق) في صدر الآيتين، فالسوق مختلف في الحاليين، قيل في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ ﴾

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٣٨٣/٢١.

إسراعاً بهم إلى دار الكرامة، وقيل سيقت مراكبهم إذ لا يُذهب بهم إلا راكبين^(١).

وعن الفرق بين السوق في الحاليين يقول صاحب اللباب: «المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والشدة كما يفعل بالأسير الذي يساق إلى الحبس والقتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يُذهب بهم إلا راكبين^(٢).

ومن قبيل هذا التقابل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۗ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۗ ﴾^(٣).

فهذا يقابله قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ ﴾^(٤).

تتناول الآية الأولى الذين يحرصون على طاعة الله وتنفيذ ما أمر به من وفاء بالعهد معه ومع خلقه، وصلة الرحم، وما لديهم من تقوى وخوف مناقشة الحساب.. في مقابل الذين نقضوا عهد الله وأوامره، بأن قطعوا ما أمر الله به تعالى أن يوصل، قيل أيضا في هذه الآية أنها الرحم، كما بين الطبري: «قال أبو جعفر: والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية: الرحم..»^(٥)

فالنص القرآني يعرض حال الفريقين أمام أوامر الله تعالى وما عهد به إلى بني آدم من موثيق أولى بالوفاء وأحق بالأداء..

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۗ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ ﴾

(١) تفسير البضاوي ٥٠/٥.

(٢) الحنبلي الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب ٥٥٣/١٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٥) تفسير الطبري ٤١٥/١.

مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١﴾.

في مقابلة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ (٢).

في الآية الأولى عرض سبحانه حال الذين شقوا: ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. الزفير إخراج النفس والشهيق رده، واستعمالهما في أول.. وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصرت فيه روحه (٣).

وفي ورود المشيئة في الحالين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ يقول القيرواني عن زيد بن أسلم: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار، والزيادة من النعيم لأهل (٤).

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٣) تفسير البيضاوي ١٤٩/٣.

(٤) النكت في القرآن، القيرواني، ص ٢٧٥.

وهكذا يحرص النص القرآني على تكامل الصورة التقابلية بين حالين، لما للتقابل من أثر في النفوس، حيث يطلع العبد على أحوال أهل الشقاء، ويطلع على نعيم أهل الرضوان، فيبلغ النص مبلغه من النفس البشرية حيث الترهيب ببيان حال أهل النار والترغيب فيما يؤول إليه أهل الجنة، وتكتمل الصورة التقابلية بما تحدثه من توضيح فالضد يظهر حسنه الضد.

المبحث الخامس: تناص التفاعل الخفي (أو التفاعلي)

وهو ما يحصل من علاقة غير مباشرة بين الآيات أو المقاطع التي لا يظهر بينها علاقة مباشرة ابتداء، أو كان ظاهرها التناقض. بينما تربط بينها في الحقيقة علاقات عميقة، لا تُدرك إلا بالتأمل والتدقيق.

فهذا الباب من التناص والتعالق بين الآيات في معظم أحواله خفي ولا يظهر من أول وهلة، بل ربما بدا تناقضا أو اضطرابا، فلا يهتدي لجملة حقائقه إلا الراسخون من النُّظار والمجتهدين، الذين يتمتعون بعمق النظر ودقة التأمل، وسعة الاطلاع، وشمولية النظرة. فإننا وإن فهمنا بعض أمثلته إلا أننا ربما لن نتمكن من إعادة تطبيقها على مسألة لم تُنظر بعد. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت: ٤٣]. وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوهُ وَإِنِّي لَأَكْثَرُ النَّاسِ كَافِرِينَ﴾ [النساء: ٨٢]. وهو بذلك يمثل أسلوبا تناصيا فريدا ربما قلَّ نظيره في الدرس الغربي^(١).

- من صور التناص التفاعلي:

يقع التناص التفاعلي بين آي القرآن عبر نظرات العلماء للعلاقة بين مقطعين أو أكثر بالجمع بينها لاستخراج حكم فقهي، أو ترجيح الخلاف القائم حول معلومة، أو تفسير مفردة، أو الرد على شبهة موجهة لكتاب الله كنتقصه وادعاء اضطرابه.

- التناص التفاعلي كأداة لحسم الخلاف التفسيري:

(١) مفهوم التناص هنا في جملة الأحوال يختلف عن مجرد مفهوم (التداخل النصي) بالمعنى الدقيق المتعارف على خطه العام عند (كريستيفا) والذي يقصد به التواجد اللغوي لنص داخل نص آخر. ولكنه يتقاطع مع مفهوم (جينيت) عن (التعالي النصي) الذي يتمثل في معرفة كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص.

انظر: مدخل لجامع النص، تر: عبدالرحمن أيوب، دار تويقال، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٥م.

ومن ذلك الخلاف الكبير بين المفسرين حول تحديد الذبيح من ابني إبراهيم. فقد اختلفوا في ذلك، فقيل: إسحاق. وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود، وكعب الأحبار، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة والزهري، والسدي، ومقاتل. وعند التجول بين الآيات المتناصّة في هذه القصة كآية الأنبياء (٧٢): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وآية هود (٧٢): ﴿قَالَتْ يَوَلَيْتِي ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ بعد قوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

فآية هود أوضحت ما في آية الأنبياء (نافلة)، كما أننا نجد عند المقارنة بينهما أن إسحاق جاء بعد إسماعيل وبدون أن يسبق مجيئه بطلب مثل ما سبق مجيء إسماعيل في آية (١٠٠) الصافات: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ﴾ وكانت البشارة بهذا الغلام الحليم بعد أن عزموا على إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار وأبطل الله كيدهم ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ آية (٩٨) الصافات؛ بأن أخرجهم من بينهم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾.

وهناك تكامل توضيحي بين آيات الصافات هذه، وبين ما في سورة مريم، مما يوقع في إشكال ربما أثر على بعض المفسرين ممن رجح أن إسحاق عليه السلام هو الذبيح، ومن هؤلاء الطبري، وذلك في قوله في سورة مريم: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الخ الآية (٤٩)، مع أن آية هود (٧٢) واضحة في أن تبشيرهما بإسحاق كان وهما عجوزان، وأما خروجه من العراق - المشار إليه في آية مريم (٤٩) - فكان وهو شاب، مما يقتضي أن لا تكون الفاء في قوله ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ﴾ تعقيبية، مع أنه يمكن أن يكون من أسرار استعمالها - بما يوهم التعقيب - أن اعتزالهم وما يعبدون كان له أثر في التبشير بإسحاق، ولو بعد زمان طويل، كما في قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، ثم لا تنس أن التعقيب هو

في كل شيء بحسبه، فقد يأتي بعد فترة طويلة، بل قالوا إنها تقع أحياناً بمعنى ثم، ومنه الآية: ﴿فَخَلَقْنَا أَلْعَلَّةَ مُضْغَةً﴾ فهذه الفاء والفاءات بعدها بمعنى ثم لتراخي معطوفاتها، كما قالوا أنها قد تأتي بمعنى الواو^(١).

جاء الشنقيطي بما يحسم الخلاف من داخل النص القرآني، فقد اشار إلى «أن القرءان قد دلّ في موضعين، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق أحدهما في «الصافات»، والثاني في «هود». أما دلالة آيات «الصافات» على ذلك، فهي واضحة جداً من سياق الآيات، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠٠ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ١٠١ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قال يَنَابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ١٠٢ ﴿[الصافات: ٩٩ - ١٠٢] إلى قوله: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٠٩ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١١٠ ﴿[الصافات: ١٠٩-١١٠]، قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١١٣ ﴿[الصافات: ١١٢]، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه:

فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نصّ الله عليها مستقلة بعد ذلك. ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبّر عنه في كلّها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

(١) ينظر: مغني اللبيب، ص ١٦١، ١٦٢.

وأما الموضع الثاني الدالّ على ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة «هود»، فهو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]؛ لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه، وهو صغير، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب»^(١).

- التناص التفاعلي دافعا لوهم الاضطراب عن آي الكتاب:

ومن المسائل التي تصدى لها العلماء ورفعوا لواءها ما شاع عند بعض الجهلة والمغرضين من ادعاء اضطراب القرآن في أكثر من موضع، ومن ذلك كتاب الشنقيطي (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب)، فقد تناول فيه هذا التفاعل بين الآيات وما يرد على ظاهرها من أنه نوع من التناقض. وبشيء من التبصر، ودراسة ما تناص من الآيات يظهر التفاعل لا التضارب، وسبحان القائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

نرصد من هذه النماذج التي عرضها «الشنقيطي» ما أورده حول قول الحق تعالى: ﴿أُولَؤُكَاءِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

يقول عن هذه الآية أنها تدل بظاهرها على أن الكفار لا عقول لهم أصلا، لأن قوله: «شَيْئًا» نكرة في سياق النفي، فهي تدل على العموم، وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ أُخْرُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَهُمْ عُقُولٌ يَعْقِلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٣١٧/٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.

وَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ يَعْقِلُونَ أُمُورَ الدُّنْيَا دُونَ أُمُورِ الآخِرَةِ، كَمَا بَيَّنَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿(١)(٢).

وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِوَلَامَةِ الْمُؤْمِنَةِ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

فقال عن هذه الآية أنها تدل بظاهرها على تحريم نكاح كل كافرة، ويدل على ذلك أيضا قول الحق تعالى: ﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ (٤).

وَقَدْ جَاءَتْ آيَةٌ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ نِكَاحِ بَعْضِ الْكَافِرَاتِ وَهُنَّ الْحَرَائِرُ وَالْكِتَابِيَّاتُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (٥).

وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُخَصِّصُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ (٦) أَيَّ مَا لَمْ يَكُنْ كِتَابِيَّاتٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (٧) وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا.

وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ مِنْ إنْكَارِهِ عَلَى طَلْحَةَ تَرْوِيجَ يَهُودِيَّةٍ وَعَلَى حُدَيْفَةَ تَرْوِيجَ

(١) سورة الروم، الآية: ٦ - ٧.

(٢) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب، للشنقيطي، ص ٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٥.

نَصْرَانِيَّةٍ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ نِكَاحَ الْكِتَابِيَّاتِ لِئَلَّا يَزْهَدَ النَّاسُ فِي الْمُسْلِمَاتِ، أَوْ لِعَبْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَعَانِي، قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(١).

- التناص التفاعلي سلاحا في المناظرات:

ومن صور التناص التفاعلي ما أبدع علماء الأمة في تتبعه من العلاقات العميقة بين بعض نصوص القرآن التي لا تتأتى ملاحظة العلاقة بينها حتى لبعض الأكابر من العلماء؛ لما يتطلبه إدراكها من وفرة العلم، وعمق الفهم، ووتنزل التوفيق. ومن ذلك ما ظهر على ألسنة سادتنا العلماء من نواذر الاستدلال وعجائب الاستدراك - نصره لدين الله وكتابه- في مناظراتهم مع من خالفهم من الفرق المنتسبة للإسلام.

مناظرة خلق القرآن :

لما قويت شوكة الإعتزال في الأمة بوصول المأمون إلى الخلافة؛ بدأ المعتزلة بنشر واحدة من أخطر الشبهات والفتن التي مرت على الأمة متمثلة في ما عُرف ب(فتنة خلق القرآن) حين ادعوا أن القرآن مخلوق، وحملوا الناس بالقوة الجبرية على القول بذلك، وسجنوا وعذبوا من خالفهم من العلماء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وفي هذه الأجواء القمعية ذهب العالم المكي عبدالعزيز الكناني للعراق، وتعمد التهكم في مساجدها بمقولة خلق القرآن؛ لسمع به المأمون فيجلبه لمجلسه، وقد كان. فوجد بشر المريسي - وهو رأس الإعتزال وقتئذ، فطلب مناظرته في مجلس الخليفة، فاضطر بشر للقبول، فخيره بين أن تُبنى المناظرة على القرآن أو العقل والمنطق، فاختر بشر القرآن ابتداء فلما غلب طلب الرجوع إلى المنطق ولم تسعفه قوته المنطقية أيضا. وكان كلما سأله الكناني سؤالا يحجه يحيد عن الإجابة عنه، ويطلب الانتقال إلى غيره حتى اشتهرت هذه المناظرة باسم (الحيدة).

(١) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب، للشنقيطي ص ٢٧.

ومن أبرز مدار في المناظرة مما استخدم فيه التناص التفاعلي القرآني:
 أن بشرا بنى فكرته على جملة آيات متناصّة. حيث بدأ بسؤال الكنانى: هل
 القرآن شيء من الأشياء، فقال: نعم هو شيء. ثم اتكأ على قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ
 شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقوله: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأن (شيء) نكرة في سياق العموم،
 و(كل) أدل الألفاظ على العموم.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد أقرّ بين يديك أنّ القرآن شيء، فليكن عنده
 كيف شاء، فقد اتفقنا على أنه شيء، وقد قال الله تعالى بنص التنزيل أنه ﴿خَلِقُ كُلِّ
 شَيْءٍ﴾^(١)، وهذه لفظة لم تدع شيئاً من الأشياء إلا أدخلته في الخلق، ولا يخرج عنه
 شيء يُنسب إلى الشيء؛ لأنها لفظة استقصت الأشياء كلها، وأنت عليها مما ذكرها
 الله تعالى، ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل، بلا تأويل، ولا
 تفسير.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين عليّ أنّ أكرس قوله، وأكذبه فيما قال
 بنص التنزيل، وأدحض حجته حتى يرجع عن قوله، ويقف أمير المؤمنين على كسر
 قوله وكذبه وبطلان ما ادّعاه، فقال: هات يا عبد العزيز، فقلت: يا أمير المؤمنين
 قال الله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٢)، يعني الريح التي أرسلت على قوم عاد،
 فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً لم تدمره، قال: لا، لم تبق شيئاً إلا دمّرت كما أخبر الله
 تعالى، لا لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة، فقلت: قد والله أكذب الله تعالى
 من قال هذا القول بقوله ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ﴾^(٣)، فأخبر عنهم أنّ مساكنهم
 كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة، وقال تعالى: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢، سورة الرعد، الآية ١٦، سورة الزمر، الآية ٦٢، سورة غافر، الآية ٦٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٥.

عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿١﴾، وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم يصر شيئاً منها كالرميم، وقال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿٢﴾، يعني بلقيس، وكان بقولك يا بشر يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس.. ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبطل قولك ﴿٣﴾.

يا بشر أليس تزعم أن قوله تعالى ﴿خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لفظة لا يخرج عنها شيء؛ لأن [كُلٌّ] كلمة تجمع الأشياء، فلا تدع شيئاً يخرج عنها، وكل شيء داخل فيها، قال بشر: هكذا قلت، وهكذا أقول، وهكذا هو عند الخلق، ولست أرجع عنه بكثرة خُطْبِكَ وهذيانك، فقلت له: أمير المؤمنين شاهد عليك بهذا، ثم قلت له: يا بشر قال الله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارِيبَ فِيهِ﴾ ﴿٦﴾، وقال الله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا أَوْ جَهَلَةً﴾ ﴿٧﴾، وقال له عيسى عليه السلام: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٨﴾ بهذا أخبر الله في مواطن كثيرة أن له نفساً، أفنقر يا بشر أن له تعالى نفساً كما أخبر عنها بهذه الأخبار كلها، قال: نعم، فقلت: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ﴾

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٣.

(٣) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز بن يحيى الكناي، ص ٧٦، تحقيق: د.علي بن ناصر الفقيهي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٤) سورة طه، الآية: ٤١.

(٥) سورة آل عمران، الآيات: ٢٨، ٣٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٨) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

نَفْسٍ ذَائِقَةً الْمَوْتِ ﴿١﴾، أفنقول إنّ نفس رب العالمين داخلية في هذه النفوس التي تذوق الموت، قال: فصاح المأمون بأعلى صوته، وكان جهير الصوت: معاذ الله، معاذ الله.

قال عبد العزيز: فقلت أنا، ورفعت صوتي: معاذ الله، معاذ الله، أن يكون كلام الله تعالى داخلا في الأشياء المخلوقة، كما أنّ نفسه ليست بداخلة في الأنفس الميتة، وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة، كما أنّ نفسه خارجة عن الأنفس الميتة.

قال بشر: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (٢)، قال عبد العزيز: فقلت: والله لا أعلم أحدا من المؤمنين إلّا وهو يؤمن بهذا، ويقرّ به، ويقول إنّ الله تعالى جعل القرآن عربيا، ولا يخالف ذلك، فأين في هذا من الحجة والدليل على خلقه، فقال بشر: وهل في الخليقة أحد يشك في هذا، أو يخالف على أنّ معنى جعلناه خلقناه، كما في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾.

قال عبد العزيز: زعمت أنّ معنى ﴿ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ خلقناه قرآنا عربيا قال: نعم، هكذا قلت، وهكذا أقول أبدا، فقلت له: أخبرني أالله تفرد بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحد غيره، قال: بل الله خلقه، وتفرد بخلقه، ولم يشاركه في خلقه أحد. قال عبد العزيز: فقلت له أخبرني عن قال: إنّ بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل هو كافر، حلال الدم. قال عبد العزيز: فقلت وأنا أقول هكذا إنه كافر حلال الدم، قلت: فأخبرني عن قال: إنّ التوراة خلقها اليهود من دون الله، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر، حلال الدم، قلت: وأنا أقول أيضا هكذا....

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أقرّ بشر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥، سورة الأنبياء، الآية: ٣٥، سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣.

أنه كافر، حلال الدم، وكل من قال بقوله، ووافقه على مذهبه، ثم ندمت على قولي: وكل من قال بقوله، ووافقه على مذهبه، وعلمت أنني قد أخطأت، وأطرق المأمون إطراق مغضب، ونظر إليه بشر، فقال: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءك، يُكفّرنا ويُجِلّ دماءنا بحضرتك، وفي مجلسك بلا حجة ظهرت...

قال عبد العزيز: فقلت له: شهد عليك أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، بما قلت، فقال لي المأمون: لقد أفحشت القول، وأعظمتها، واستشهدتني على ما لم أسمعها، ولم أشهد به على بشر، ولا على أحد ممن يقول بقوله. قال عبد العزيز: قلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءك، اسمع قولي، فإن كنت قلت حقا، وكان بشر قد كفر نفسه، ومن قال بمقالته، وأحلّ دمه ودماءهم، وانتزعت على كل حرف من كلامي آية من كلام الله تعالى، وإلاّ دمي حلال، وأمير المؤمنين يضرب عنقي في هذه الساعة، على رؤوس الأشهاد، وإن أثبت على ما قلت، ولفظت به بنص الكتاب، والتنزيل في كل لفظة، وأقمت الشهادة على بشر من كتاب الله عز وجل، وسعني عدل أمير المؤمنين، قال: فقال لي: هات ما عندك، ولا تُطِلّ الكلام بغير حجة.

قال عبد العزيز: فقلت، قال الله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾^(١) فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن معنى ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ وقد خلقتم الله عليكم كفيلا، لا معنى لذلك غيره، وأن من قال بقوله فهو كافر، حلال الدم، ومن خالفه وسائر العرب والعجم يقولون هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر، حلال الدم، وقد كذب في القول الأول، وصدق في قوله إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، قال الله

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.

تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(١)، فزعم بشر أن معنى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده، وعند من قال بقوله، ومن خالفه، ولا عند سائر الخلق جميعا غير هذا أن (الله) قال لبني آدم: ولا تخلقوا الله، ثم قال: من قال هذا فهو كافر، حلال الدم، وأمير المؤمنين يشهد عليه بهذا اللفظ، وقد كذب في قوله أن معنى ولا تجعلوا، ولا تخلقوا الله، وصدق في أن من قال هذا كافر حلال الدم بقوله وقول الناس جميعا، فقال المأمون: ما أقبح هذا القول وأشنعه وأعظم القول فيه، فقلت: قال الله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٢)، فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن بني آدم يخلقون لله البنات، ويخبر بذلك عن الله... قال الله عز وجل ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٣)، فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن معنى وجعلوا، وخلقوا، لا معنى له عنده، وعند من قال بقوله غير هذا، فزعم عن الله تعالى أنه قال: وخلقوا لله أندادا... وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤) فزعم بشر أن معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾ وخلقوا لله شركاء الجن... فزعم بشر أن الله تعالى أخبر أنهم يخلقون له شركاء الجن... قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾^(٥)، فزعم بشر أن معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ خلقوا لله شركاء... قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾^(٦)، فزعم بشر أن معنى ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ خلقا له

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.

شركاء... وقال الله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾^(١) فزعم بشر أن معنى ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾ أم خلقوا... قلت: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾^(٢)، فزعم بشر أن معنى قوله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ وخلقوا الملائكة... وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُمْ فَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا﴾^(٣) فجعل بشر معنى ﴿يَجْعَلُونَهُ﴾ تخلقونه، يعني أن اليهود خلقوا التوراة، ومعنى خلق التوراة، خلق كلام الله تعالى، فزعم بشر أن اليهود خلقوا كلام الله تعالى، وأنه لا معنى عنده، ولا عند مَنْ قال بقوله، ولا عند سائر العرب والعجم غير ذلك، ثم قال هذا فهو كافر، حلال الدم، فكذب في الأول، وصدق في الآخر، إنه كافر حلال الدم، قلت: وقال الله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾^(٤) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ^(٥)، فزعم بشر أن معنى قوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ﴾ الذين خلقوا القرآن، ثم قال: مَنْ قال هذا فهو كافر، حلال الدم، وقد كذب في قوله: إن المقْتَسِمِينَ خلقوا القرآن وصدق في قوله: إنه مَنْ قال هذا حلال الدم، كافر بإجماع الأمة^(٥).

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) سورة الحجر، الآيتين: ٩٠ - ٩١.

(٥) الحيدة ص ٧٧-١٠٣.

الفصل الثاني

علاقة التناص بالمعايير النصية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة التناص بالسبب

المبحث الثاني: علاقة التناص بالسياق

المبحث الأول: علاقة التناص بالسبك في القرآن الكريم

إن تناول النص تناولا كلياً بوصفه وحدة متكاملة وبنية لها شخصيتها، مثل هذا التناول، ينهض على تحليل مجموعة العلاقات والروابط التي تنتظم ذلك البناء، وتناول الخواص التي من شأنها أن تسهم في تماسك بنيته، ويجب تناول الروابط وتلك العوامل التي تنهض عليها الروابط من أجل الوصول إلى جمال النص، ودراسة بنائه المعماري، من هنا «كان للترابط ووسائله حيز كبير في حقل الدرس اللغوي، المعاصر، فقد شرع علماء النص يولون التماسك عناية قصوى، ويذكرون أنه خاصية دلالية في الخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص، في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط..»^(١).

(١) السبك (Cohesion):

الترابط الرصفي القائم في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بالإحالة والحذف والربط وغيره. ويقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية والقاعدية المختلفة.

ومن الواضح أن السبك يتصل بمجموعة من العلاقات خاصة بظاهر النص، أي أن هذا المعيار يترتب على إجراءات تبدو له العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق وينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ويتحقق ذلك بتوفير مجموعة من وسائل السبك التي تجعل النص محتفظاً بكيونته واستمراريته.

والنص في اختياره لنمط ما من بين كثير من الأنماط اللغوية التي تزخر بها اللغة إنما يبحث عن أكثر هذه الأنماط تعبيراً عن قول ما يريد أن يقول، واختياره عندئذ اختيار دقيق من بين عدة إمكانات لغوية من أجل إحكام البناء وجمال التنسيق، ولا يعني هذا الاختيار حرية خرقاء، وإنما هو اختيار واع في إطار قد حدد

(١) ينظر: نحو النص، لأحمد عفيفي، ص ٩٥.

بوضوح بقرارات مسبقة.

ويري د. تمام حسان أن الاتساق «إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل»^(١).

حضور المصطلح في التراث:

إن مصطلح السبك ليس بجديد في استخدامه؛ فقد كان حاضرا في كتب التراث العربي بذات اللفظ والمعنى، بل إن ظواهره من التكرار والحذف والإحلال والاستبدال والإحالة نالت حظا وافرا من اهتمام الدراسات البلاغية والنحوية القديمة.

يقول د. محمد خطابي عن الاتساق: «إن مفهوم الاتساق^(٢) مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدد كنص، ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية، خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه: يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كلا منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق.. إن الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم وهذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/ مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو - المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)، يعني هذا التصور أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعابير،

(١) ينظر: موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، د. تمام حسان، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٨م، ٧٨٩/٢.

(٢) الاتساق أحد المسميات التي تطلق على السبك، ومن تلك المصطلحات التضييد والتماسك، وإن كان أدقها وأكثر شيوعا هو السبك.

وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة... فهو يتحدث عن اتساقين (المعجمي والنحوي)^(١).

والتناص بحسابه معيارا نصيا يُعنى بالعلاقات بين النصوص على مختلف مستويات البنى المكونة للنص، فهو يتقاطع مع السبك في جملة من أحواله، وعلى وجه الخصوص على المستويين النحوي والمعجمي.

وقد أجمل «أحمد عفيفي» وسائل الترابط النصي في مجموعة من العلاقات نورد منها أهمها وأكثرها تعالقا مع التناص^(٢): (الإحالة - الحذف - التكرار).

١ - الإحالة:

الإحالة لفظ أطلق على مجموعة العلاقات وهي وسيلة من وسائل ترابط النص وتماسكه، وقد تناول د. محمد خطابي مجموعة العلاقات النصية مصنفا الإحالة إلى: مقامية ونصية، «وهي تنقسم إلى إحالة مقامية: أي خارج النص، وإحالة نصية: أي داخل النص، وتنقسم النصية داخل النص إلى قبلية وبعدية أي إحالة على السابق أو إحالة على اللاحق، فكل العناصر تملك إمكانية الإحالة، والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوعية الإحالة، وتبقى للإحالة النصية الدور الأساسي في اتساق النص^(٣).

وقد قسمت عناصر الإحالة التناصية التي داخل النص إلى:

(شخصية - إشارية - مقارنة - موصولات)

وقد عد د. تمام حسان «الموصولات» من عناصر الإحالة مستشهدا عليها بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي، ص ١٥.

(٢) ينظر: نحو النص، لأحمد عفيفي، ص ١٠٥.

(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي، ص ١٧-١٨.

عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١﴾.

(فالاسم الموصول) الذي (قد قوى المعنى؛ وذلك بإحالته إلى سابقة إلى الرسول النبي لكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة)، كما أُحيل إليه بالعائد الضمير في يجدونه، وبذلك يكون للموصول إحالتان قبلية وبعديّة^(٢).

وأدوات الإحالة من الضمائر وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة وغيرها لها دورها في ربط أجزاء الجمل، وجودة السبك، لكن المفسرين في عنايتهم بالإحالة قد انصب اهتمامهم على «تعدد ما يحيل إليه الضمير، وما يشير إليه اسم الإشارة» مثل: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣). يشير الزمخشري^(٤) إلى أن الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٥)، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٦)^(٧).

ويعلق د. محمد خطابي بقوله: «نحن هنا أمام ثلاث إمكانات، الأولى عود

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٧.

(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن ط عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣١، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٤) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر «من قرى خوارزم» سنة سبع وستين وأربعمائة هـ. وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله من كتبه: الكشاف، أساس البلاغة، المفصل، الفائق، المستقصى، المقامات، وغير ذلك. وتوفي بالجرجانية «من قرى خوارزم» سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة هـ.

ينظر: وفيات الأعيان ٨١/٢، والأعلام ١٧٨/٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٧) ينظر: الكشاف ١٣٤/١، ولسانيات النص، د. محمد خطابي، ص ١٧٣.

الضمير إلى الصلاة، وهي أقرب من الاستعانة، والثانية عوده إلى الاستعانة، وفي كلتا الحالتين هناك تطابق بين الضمير «ها» وبين المحال إليه إفراداً وتأنيثاً، مع كون الإحالة داخل نفس الآية، أما في الإمكان الثالث فإن الضمير «ها» يحيل إلى خطاب سابق يستغرق خمس آيات يتضمن الأمور التالية: ذكر النعمة، الوفاء بالعهد، رهبة الله، الإيمان برسالة محمد، ألا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، تقوى الله، ألا يلبسوا الحق بالباطل، إقام الصلاة، إيتاء الزكاة»^(١).

وقول الرازي حول قول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

تعدد المشار إليه: وفي الحديث عن الإشارة ركز المفسرون على أسماء الإشارة وتتنوعها بين البعيد والقريب مثل (ذلك - أولئك - تلك) لكن تناولهم لها متنوع يتراوح بين تعدد المشار إليه وبين الإشارة إلى خطاب وعدم التطابق بين اسم الإشارة والمشار إليه»^(٣).

قول الزمخشري في ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(٤).
فذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم.

قول الرازي في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٥).

والنوع الثالث من الإحالة هو «المقارنة» وتنقسم إلى «عامّة» يتفرع منها

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي ص ١٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٦/٣٧٢، ٣٧٣، ولسانيات النص، د. محمد خطابي، ص ١٧٣-١٧٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٥) سورة البقرة آية: ١٧٦

التطابق، باستعمال عناصر مثل التشابه والاختلاف، وإلى خاصة تتفرع منها كمية وكيفية (أجل من، جميل مثل..). وهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، فهي تقوم بوظيفة اتساقية كسابقتها^(١).

وقد أورد «أحمد عفيفي» نموذجا أكثر تنوعا للإحالة وهو قول الحق تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

المتأمل لهذا النص القرآني يجد أن لفظ الجلالة (الله) في أوله هو المحال عليه، ارتبط أول النص بمجموعة من الإحالات المتنوعة أولها وأكثرها الضمائر - بارزة ومستترة- كما في (خلق - استوى - دونه - يدبر - أحسن - خلقه - بدأ - جعل - سواه - نفخ) ثانيهما: اسم الإشارة في ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى الله تعالى. ثالثهما: اسم الموصول في ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾. ومن هنا استمرت الآيات على قدر كبير من التماسك عن طريق هذه الإحالات المتنوعة^(٣).

وتبقى الإحالة الأخرى (المقامية التي هي خارج النص).

من المؤكد أنها متمثلة في النص القرآني وفي كثير من آياته، حين يقول الحق تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا

(١) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص ١٩.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ٤-٩.

(٣) ينظر: نحو النص، لأحمد عفيفي، ص ١١٩.

تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لَلْمُنْقِبِينَ ﴿٤٨﴾
وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ ﴿١﴾.

ففي الآيات يقسم الحق تعالى بمشاهد الكون جميعا ما يقع تحت أبصارنا فنبصره وتركه حواسنا، وما لا يقع ولا يكون تحت أبصارنا مما يغيب عنا فهو قسم جامع لمخلوقات الحق سبحانه.. وفي نفي الشعر وقول الكهان عن النبي ﷺ إحالة إلى تصور هذين اللونين من الكلام، وتصور حال الفريقين من الشعراء والكهان، وما هما عليه من الوهم والخيال والاحتيال في اللغة والبعد عن الحق والحقيقة بزيغ القول وزخرف اللغة سعيا نحو مكاسب دنيوية، وتمجيذا للذات وطمعا في الملمات، وهو ما ليس لنبي، ولا ينبغي له، فنزعه القرآن عن هذه الصورة الباطلة الزائفة من أهل الدنيا.

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٣٨ - ٥٢.

من صور التناص في الإحالات القرآنية:

إحالات فريدة:

تتعدد الإحالات في القرآن بصورها المختلفة ولكن عند البحث في الآيات والمقاطع المتناصّة من القرآن نجد أن ثم إحالات لا يمكن تصنيفها سوى أنها نصية، ولكنها تخرج عن النمط السائد في القرآن من الإحالات القبلية والبعدية والتي يغلب عليها أن تكون إحالة إلى نفس الآية أو الآية أو الآيات التي قبلها أو التي بعدها، ولكن هذه الإحالات تكون بين آيات متباعدة أو حتى سور مختلفة، ومن ذلك:

- الإحالة الموصولية:

يقول الله سبحانه عن اليهود ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية، هذا المحرم عليهم، المقصوص عليه من قبل المحال عليه هنا هو المذكور في «سورة الأنعام»، في قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] كما روي عن الحسن وعكرمة وقتادة. وجملة المحرمات عليهم في هذه الآية الكريمة ظاهرة، وهو كل ذي ظفر: كالنعامة والبعير، والشحم الخالص من البقر والغنم، وهو الثروب، وشحم الكلى، أما الشحم الذي على الظهر، والذي في الحوايا وهي الأمعاء، والمختلط بعظم كلحم الذنب وغيره من الشحوم المختلطة بالعظام، فهو حلال لهم^(١). فكانت الإحالة ب(ما) الموصولية في آية النحل إلى آية في سورة الأنعام التي تبعد عنها تسع سور، وكانت الإحالة بين الآيتين المتناصتين سبيلا إلى فهم المراد من الآية.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾.

(١) أضواء البيان ٤٦٣/٢. التحرير والتوير ٢٤٠٩/١.

لم يبين هنا هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حلية الأنعام، ولكنه بينه بقوله في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وهذا الذي ذكرنا هو الصواب، أما ما قاله جماعات من أهل التفسير من أن الآية التي بينت الإجمال في قوله تعالى هنا: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أنها قوله تعالى في المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ ﴾ [المائدة: ٣] فهو غلط، لأن المائدة من آخر ما نزل من القرآن وآية الحج هذه نازلة قبل نزول المائدة بكثير، فلا يصح أن يحال البيان عليها في قوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ بل المبين لذلك الإجمال آية الأنعام التي ذكرنا لأنها نازلة بمكة، فيصح أن تكون مبينة لآية الحج المذكورة كما نبه عليه غير واحد.

أما قوله تعالى في المائدة: ﴿ أَجَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١] فيصح بيانه بقوله في المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ ﴾.

- الإحالة الإشارية:

ومنها قوله تعالى: ﴿ الْمَرْءُ ۝ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَارِيْبٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، حيث أشار الله تعالى إلى القرآن في هذه الآية إشارة البعيد وقد أشار له في آيات أخر إشارة القريب كقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ وكقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الآية وكقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾، وكقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات، وللجمع بين هذه الآيات أوجه:

الأول: ما حرره بعض علماء البلاغة من أن وجه الإشارة إليه بإشارة الحاضر القريب، أن هذا القرآن قريب حاضر في الأسماع والألسنة والقلوب، ووجه الإشارة

إليه بإشارة البعيد هو بعد مكانته ومنزلته عن مشابهة كلام الخلق وعما يزعمه الكفار من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين.

الوجه الثاني: هو ما اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره من أن ذلك إشارة إلى ما تضمنه قوله: ﴿آلَ﴾ وأنه إشارة إليه إشارة البعيد لأن الكلام المشار إليه منقوض، ومعناه في الحقيقة القرب لقرب انقضائه، وضرب له مثلا بالرجل يحدث الرجل فيقول له مرة: والله إن ذلك لكما قلت، ومرة يقول: والله إن هذا لكما قلت، فإشارة البعيد نظرا إلى أن الكلام مضى وانقضى وإشارة القريب نظرا إلى قرب انقضائه.

الوجه الثالث: أن العرب ربما أشارت إلى القريب إشارة البعيد فتكون الآية على أسلوب من أساليب اللغة العربية. وهذا القول الأخير حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة قاله ابن كثير. وعلى كل حال فعامة المفسرين على أن ذلك الكتاب بمعنى هذا الكتاب^(١).

وفي هذه الإحالة إشارة إلى القرآن كاملا على سبيل التحدي وتقي الريب عنه جملة وأجزاء.

الإحالة الضميرية:

ومنها قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾.

وجملة: (أنزلناها) وما عطف عليها في موضع الصفة ل(سورة). والمقصود من تلك الأوصاف التنويه بهذه السورة ليقبل المسلمون بشرائهم على تلقي ما فيها. وفي ذلك امتنان على الأمة بتحديد أحكام سيرتها في أحوالها.

وفي قوله: (أنزلناها) تنويه بالسورة بما يدل عليه (أنزلنا) من الإسناد إلى

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ١.

ضمير الجلالة الدال على العناية بها وتشريفها. وعبر ب (أنزلنا) عن ابتداء إنزال آياتها بعد أن قدرها الله بعلمه بكلامه النفسي. فالمقصود من إسناد إنزالها إلى الله تعالى تنويه بها. وعبر عن إنزالها بصيغة الماضي وإنما هو واقع في الحال باعتبار إرادة إنزالها، فكأنه قيل: أردنا إنزالها وإبلاغها، فجعل ذلك الاعتناء كالماضي حرصاً عليه. وهذا من استعمال الفعل في معنى إرادة وقوعه كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة: ٦) الآية.

والقرينة قوله: (وفرضناها (ومعنى) فرضناها (عند المفسرين: أوجبنا العمل بما فيها)^(١). نرصد هنا إحالة الضمير إلى السورة وماتعلق بذلك من أحكام مفروضة).

التكرار:

تعريفه: هو إعادة اللفظ أو مرادفه، أو عدد من الألفاظ أو ما يرادفها لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به، أو لتأكيديه أو للتنبيه عليه أو غير ذلك. والتكرار نوع من أساليب الفصاحة، وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعبءه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء^(٢).

(١) التحرير والتنوير، ١٤١/١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للرزكشي: ١٠-٩/٣ بتصرف.

فوائد التكرار:

الحق إن للتكرار فوائد أخرى جليلة تأتي مع كونه رابطاً بين أجزاء النص،
منها:

(١) **التقرير**، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقسيس والأخبار في القرآن فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١)، وقال: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)^(١).

(٢) **زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة**، ليميل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا أُمَّمَاتِكُمْ يَتَقَوَّمُوا أُمَّمَاتِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٢٨) يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُكُمْ﴾ (غافر: ٣٨، ٣٩). فإنه كرر فيه النداء لذلك^(٢). تلك فائدة أشار إليها الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» وقد سبقه إلى الإشارة إليها الزمخشري في الكشاف تعليقا على هاتين الآيتين السابقتين من سورة غافر حيث قال: فإن قلت لم كرر نداء قومه... قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه ﴿يَتَابَتُ﴾^(٣).

(٣) إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له، وتجديداً لعهد كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٨٩) ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا

(١) السابق: ١٤/٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكشاف: ٣٧٢/٣.

عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ (البقرة: ٨٩) فهذا تكرر للأول، ألا ترى أن «لما» لا تجيء
بالفاء^(١).

تتعدد أشكال التكرار فمنه الكلي والجزئي، كالتالي:

أ - التكرار المحض (الكلي): والتكرار له أشكال عدة، فقد يتكرر اللفظ ويبقى
مرجع اللفظين واحداً، وهو ما يسمى بوحدة المرجع (أن يكون المسمى واحداً)، وعلى
المقابل يكون التكرار مع اختلاف المرجع للفظين (أي أن المسمى متعدد)، ومنه
التكرار الجزئي وتكرار الجمل والترادف... نتناولها بشيء من التفصيل كالتالي:

ب- التكرار الجزئي: تكرر عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات
مختلفة.

ج- المرادف. ه- تكرر لفظ الجملة.

ويسميه بعضهم «الإحالة التكرارية» وهو رابط نصي ظاهري له من الأشكال
الظاهرة في النص، فهو «في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل
واضح»^(٢) ونمثل لهذه النماذج من التكرار كالتالي: أولاً التكرار الكلي ويتمثل في
التكرار مع وحدة المرجع، والتكرار مع اختلاف المرجع، وكذلك تكرر الجمل..

- نموذج التكرار مع وحدة المرجع:

والمراد هنا أن تتكرر الكلمة والمرجع الذي يعود إليه المعنى في السياق واحد،
هو ذاته الذي يدل عليه اللفظ الأول، مثل قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٤/٣.

(٢) أحمد عفيفي: نحو النص ١٠٦.

أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾.

فقد تكرر الويل؛ حيث جاء ذكره في صدر الآية، ثم ذكر قبل ختامها، وقصد به دلالة واحدة وهو ما يُعرف بـ(وحدة المرجع) بالإضافة إلى التكرار الموجود في ﴿يَكْسِبُونَ الْكِنْبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ و﴿كُنِبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وما يفيد من ربط. (٢).

فالتكرار يمثل نمطا من أنماط الترابط المعجمي، وإعادة اللفظ هو إلحاح على مدلول ذلك اللفظ، أو تكرار اللفظ أكثر من مرة، ورغم أن ذلك التكرار يعد أمرا تأكديا إلا أنه يمثل شكلا من أشكال الترابط أو التماسك النصي، فهو أقرب إلى الإحالة التكرارية منها إلى مفهوم التكرار لمجرد التكرار، خاصة مع النص القرآني، ومن ذلك قول الحق تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ (٣).

فكلمة النور التي جاءت في صدر الآية خبرا للمبتدأ وهي مسندة إليه ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ تظهر في الجملة النحوية الجديدة في موقع ابتداء إذا استثنينا أداة التشبيه (مثل) فجاء التكرار لبيان وتفصيل الأول لتتعلق الآية نحو مفهوم توضيحي يفهم من التكرار أنه شديد الصلة، شديد التماسك بالمعنى الأول، ف(النور) الأول يوضحه النور الثاني بمعنى أن النور الأول جاء مسندا إليه، والنور الثاني جاء مسندا، ينتظر التوضيح من الخبر في الجملة الممثل في التشبيه (كمشكاة)، وبالتالي، يرد ذكر (المصباح) ثم يتبعه النص بتوضيح لأمر المصباح، وكذلك (زجاجة) ثم يأتي التوضيح في التكرار في بداية الجملة الجديدة ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ ولا يمكن إنكار دور التعريف في كل مرة يرد فيها التكرار، وإسهامه في تماسك النص وترابطه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٢) ينظر: أحمد عفيفي نحو النص ص ١٠٧.

(٣) النور من الآية ٣٥.

تكرار الجمل: حيث تتكرر الجملة كاملة، وفي القرآن نموذج لهذا التكرار الكلي للجملة في سورة الرحمن، فقد تكررت الآية ﴿فَأَيُّ آءِآءِ الرَّبِّ كَمَا تُكذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة في سورة عدد آياتها ثمان وسبعين آية، وهذا التكرار إشارة واضحة تدعو للتوقف والتأمل في النص، وهو لون من الترابط النصي محكوم يقبل وبعد، كما يشير د. أحمد عفيفي إليه بقوله: «لافت للنظر في تمييز النص إزاء نصوص أخرى، فهو يفضي إلى تكامل بين قواعد الربط وقواعد التماهي، حيث توجد الجملة المكررة في مكان تؤدي به مهمتين تكون ختاماً لكلام (كالتعقيب) وبداية لكلام يبتدأ به (مضمون المعنى القادم) بالإضافة إلى أنها تساعد على تكثيف الدلالة وتلوين النص بمعان ثانية^(١).

ومن باب تكرار الجمل قوله تعالى: ﴿وَيَلْزِمُوا الْكٰذِبِينَ﴾ فقد تكررت الآية كاملة نحو عشر مرات في سورة المرسلات، مرتبطة بسياقها وإن لم تكن بشكل قوي منتظم في التكرار كسورة الرحمن، لكنه بالنظر إلى عدد الآيات فإن التكرار جاء عشر مرات في سورة عدد آياتها خمسون آية، يعد كذلك تكرر ملفتا للانتباه داعياً إلى التأمل، حيث يؤدي دوره القوي في الترابط النصي.

كما جاء تكرار سورة الشعراء لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ نحو ثماني مرات في سورة عدد آياتها مائتان وسبع وعشرون آية.

التكرار الجزئي: فهو تكرر عنصر سبق استخدامه مع اختلاف السياق الجديد، ومنه قول الحق تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ^(٢). فالفعل تكرر في صدر الآيتين وفي كل آية يختلف السياق، فخلق الإنسان من مادة وخلق الجان من مادة مغايرة، وإن اتفق الخلق ونسبته للخالق

(١) ينظر: أحمد عفيفي نحو النص ١٠٨.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤ - ١٥.

سبحانه.

والآيتان متناصتان مع جمهرة واسعة من الآيات التي ذكرت موضوع الخلق، مثل قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾، وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٣﴾.

ومنه قول الحق تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾^(١). فالفعل (جعل) الأول مقصود به الأزواج، ووالفعل المكرر (جعل) الثاني يذهب مقصوده إلى البنين والحفدة.

وكذلك ما تكرر في آيات النحل من نحو ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ۝٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾^(٢).

فقد تكرر الفعل في الآية الأولى، كما تكرر في الآية الثانية وفي كل تكرار يختلف سياق الكلام، فيذهب الفعل إلى اتجاه غير اتجاه الفعل الأول.

(١) سورة النحل، من الآية: ٧٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٨٠، ٨١.

- التكرار مع اختلاف المرجع:

ومنه قول الحق تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ فقد تكررت كلمة (الميزان) في نهاية كل آية من الآيات الثلاث وفي كل مرة يختلف المرجع، فدلالة الميزان في الآية الأولى^(١) (العدل) وفي الثانية: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٧﴾ المراد (ألا تظلموا وتبخسوا في الوزن) وفي الثالثة ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ المراد «ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم» فقد تعدد اللفظ واختلف المعنى، مما يثير انتباه المتلقي ويدعوه لتأمل النص، والربط بين الجمل.

- تكرار المرادف:

يظهر الترادف وهو ضرب من التكرار المعنوي لأن اللفظ المكرر قد سبقه لفظ يتفق معه في معناه، ومن قبيل ذلك قول الحق تعالى: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿١﴾﴾. فالخوف والخشية مترادفان، فجاء الفعل (تخاف) وجاء بعده المرادف معطوفا (تخشى) ف قيل في الفعل الثاني (وَلَا تَخْشَى اسْتَنَّافَ أَي وَأَنْتَ لَا تَخْشَى، أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق..^(٣) وقيل المراد لا تخاف دركا ولا تخشى غرقا.. وبهذا يكون الترادف اتفاق في البدء واختلاف في بقية السياق.. فهو في كل الأحوال يصنع ترابطا بين الجملتين وتماسكا في بناء الآية الكريمة..

وفي قول الحق سبحانه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ ﴿٢﴾﴾. فالإلحاد مرادف لمعنى الظلم، قيل عن ابن عباس: المراد بالإلحاد الشرك، وقيل فيه: «يعني أن

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٤/٢٢.

(٢) سورة طه، من الآية: ٧٧.

(٣) ينظر: تفسير البضاوي ٣٤/٤.

تستحلّ من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم»^(١) وكلها في النهاية تؤدي إلى معنى متفق هو الظلم وفي وقد ورد في القرآن وصف الشرك بالظلم، في قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

ومن الترادف بين الآيات المتناصّة ما جاء بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ (هود: ١٠٣)، حيث وردت الآيتان في سياق قصة موسى مع فرعون وإن اختلفت السورتان، والترادف بين (يخشى) و(خاف) ظاهر وإن اختلف زمان الفعل بين المضارعة والمضي^(٣).

للتكرار دلالاتٌ تَزْرَعُ في الكتابِ المبين، وإنما أقصد به هنا ذلك التكرار الذي هو وسيلة من الوسائل التي يتحقق به المعيار الأول من المعايير النصية، وهو السبك، مبيّناً دلالة ذلك التكرار، ومُبْرِرًا قيمته المعنوية.

وأكتفي منه بما يلي تبييناً:

١ - تكرار الشهر واليوم والأيام.

من يتدبر آي الذكر الحكيم يجد أن لفظ ﴿الشَّهْرَ﴾ قد تكرر اثنتي عشرة مرّة، وتلك المرّات هي بعدد شهور السنة.

ويجد كذلك أن لفظ ﴿الْيَوْمَ﴾ قد تكرر ثلاثمائة وخمسة وستين مرّة، وذلك بعدد أيام السنة.

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٦٠١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣

(٣) أضواء البيان ٨ / ٤٢١.

وإنه ليجد -كذلك- أن لفظ «الأيام» قد تكرر ثلاثين مرّةً، وذلك بعدد أيام الشهر. هذا الإحصاء لم أثبت آياته هنا لكثرتها، وهي مسطورةٌ في المعجم المفهرس، وغيره من المراجع التي تُعنى بذلك.

إن ذلك لقسطٌ يسيرٌ من نماذج الإعجاز العددي في القرآن الكريم الذي يبهرُ علماء لم يكن يدينون بما جاء به، ومن ثمّ فإنّهم يدخلون طوعاً في دين الله أفواجا إثر اكتشافهم مثل ذلك.

٢- الْعُيُونُ وَالْأَعْيُنُ.

مما اختص به القرآن الكريم في هذا المقام استعماله لفظتي «العيون والأعين»، فما استعمل «العيون» إلا لعيون الماء، وذلك عشرةً موطن، وقد جاء به «العين» التي يُرادُ بها العينُ الباصرةُ مجموعةً على «أعين»^(١).

٣- الْفِعْلَانِ: (وَصَى - أَوْصَى).

استعمل القرآن الكريم الفعلين «وَصَى - أَوْصَى»، الفعلُ الأوّلُ منهما «وَصَى» بتشديد الصادِ التي هي عينُ الفعل، فهو بصورته تلك يُستخدَمُ في الدين والأمر المعنوية، وذلك بالاستقراء، لا بالانتقاء.

ونجد أن استعمال الفعل الثاني «أَوْصَى» يكون في الأمور المادية.

ولم يرد «أَوْصَى» في الأمور المعنوية إلا في موطن واحد، اقترنت فيه بأمرٍ ماديٍّ، وهو قوله - تقدّست أسماؤه: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾^(٢).

فلما اقترنت الصلاة بالزكاة - والزكاة أمرٌ ماديٌّ يتعلّق بالأموال - قال: «أوصاني».

(١) ينظر: دراسات في اللغة، إبراهيم السامرائي، ص ٩١.

(٢) سورة مريم، من الآية: ٣١.

٤ - الفعالان (يُشَاقُّ - يُشَاقِقُ).

الفعالان «يُشَاقُّ - يُشَاقِقُ» هما لغتان:

١ - الفُكُّ لغة الحجاز^(١).

٢ - الإدغام لغة تميم^(٢).

ولكن القرآن الكريم قد استعملهما استعمالاً خاصاً؛ فحيث ورد ذكر الرسول ﷺ فُكُّ الإدغام، أو بتعبير علماء القراءات «أطلق من عقال الإدغام»^(٣).

ولعله وحّد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد؛ لأنه ذكر الله وحده، وفكَّهُمَا وأظهرهُمَا؛ لأنه ذكر الله والرسول؛ فكانا اثنتين، وهذا أمرٌ عَقْدِيٌّ، يشابهُ عدم الجمع بين الله ورسوله في ضميرٍ واحد.

وفي عدم فكِّ الإدغام يتقدم هنا البقاعي (ت ٨٥٥هـ) بيانا نفسياً راشداً يستجلي مخبوء النفوس، فيقول: «وَتَرَكُ الإدغام على حاله؛ لأنهم ما أظهروا معاداة، وإنما كان ما فعلوا مكرًا ومسانرة، وذلك أخف من المجاهرة، وأظهر في الأنفال؛ لقوة أمر المجاهرين كما مضى، ولم يعد ذكر الرسول تَفْخِيمًا له بِإِفْهَامٍ أَنْ مَشَاقَقَتَهُ مَشَاقَقَةُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ مَثْنَوِيَّةٍ أَصْلًا، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ بِالْغَوَا فِي إِخْفَاءِ مَشَاقَقَتِهِمْ، فَلَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهَا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَمْ يَحْصَلْ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مَفَاعَلَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ لَمْ يَمَكُرْ بِهِمْ، وَإِنَّمَا جَاهَرَهُمْ حِينَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَكْرِهِمْ، بِخِلَافِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْأَنْفَالِ، فَإِنَّ الْمَقَامَ اقْتَضَى هُنَاكَ الذِّكْرَ؛ لِأَنَّهُمْ مَكْرُوا بِهِ»^(٤).

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت ٧٦٩هـ، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م - تحق/ محمد

محيي الدين عبد الحميد ٢٥٣/٤.

(٢) تفسير البحر المحيط ٤٦٦/٤.

(٣) إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، ت ٦٦٥هـ -

شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ٤٣١/٢.

(٤) نظم الدرر ٢٥٣/٧.

وبما أن العلوم منحة ربانية، فلزيمًا يُيسر الله للاحقين بما عسر على المتقدمين، ويفتح الله لشراح الحديث النبوي الشرف بما لم يفتح به للمفسرين، إذ إن لشراح الحديث التفاتة أخرى رائعة مبيّنة لتلك التي قد خلت من إخوانهم المفسرين، يقول صاحب مرقاة المفاتيح: «وفي وضع المؤمن موضع ذاته اغتناءً بعلو درجاته، كما قال - عز وجل - في آية أخرى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١)، وفي أخرى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ﴾^(٢)»^(٣).

هذا، وإن يممنا تجاه المستأخرين من المفسرين فإننا نجد للألوسي فتحًا آخر أفاض الله به له، أثبتته بقوله: «ولظهور الانفكاك بين الرسول ومخالفه فك الإدغام هنا، وفي قوله - سبحانه - في الأنفال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ رعاية لجانب المعطوف، ولم يفك في قوله - تعالى - في الحشر: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾^(٤).

ثم يسوق رأي الخطيب في حكمة الفك والإدغام؛ إذ يرى الخطيب «أنَّ أُل في الاسم الكريم لازمة، بخلافها في الرسول، واللزوم يقتضى الثقل؛ فخفف بالإدغام فيما صحبته الجلالة، بخلاف ما صحبه لفظ الرسول، وفي آية الأنفال صار المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد»^(٥).

ثم يرجح الألوسي ما ذهب إليه هو من تحليل سالف، فقال: «وما ذكرناه أولى، والتعرض لعنوان الرسالة؛ لإظهار كل شناعة ما اجترؤوا إليه من المشاقة

(١) سورة الأنفال، من الآية: ١٣.

(٢) سورة النساء، من الآية: ١١٥.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، ت ١٠١٤ هـ - دار الكتب العلمية -

لبنان/ بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني، ٢٤٤/٩.

(٤) روح المعاني ٢٤٤/٥.

(٥) السابق ٢٤٤/٥.

والمخالفة»^(١).

هذا، وقد أشار واضعو المعجم الوسيط ذلك الفرق بين الفعلين، ولم يشيروا إلى الحكمة من ورائه^(٢).

أخيرا:

فإن التكرار يعد نوعا أساسيا من أنواع التناص، ويمثل النمط التطابقي من التناص القرآني.

(١) السابق نفسه ٢٤٤/٥.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار - دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية ٤٨٩/١.

المبحث الثاني: علاقة التناص بالسياق في القرآن الكريم

لاريب أن للسياق دور أساسي في فهم النص اللغوي مسموعا كان أم مقروءا، ولا بد للوصول إلي دلالات النص من مراعاة وضع الكلمة، أو الجملة في سياقها الذي وردت فيه، وقد «عُني اللغويون والمفسرون بدراسة السياق لاستنباط الدلالة الحقيقية والمزاجية، وطبقوا ذلك على القرآن الكريم وغيره من النصوص»^(١).

ولذا فإنهم لا يعولون على دلالة الكلمة أو الجملة بمعزل عن سياقهما، فقد تعدد دلالات الكلمة، أو الجملة باختلاف السياق، ولذا كان للسياق دوره الفعال لدي المفسرين وعلماء أصول الفقه في استنباط الحكم الشرعي من الآية الكريمة، «بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلي تأويلين مختلفين»^(٢).

وحين قال البلاغيون «لكل مقام مقال» و«لكل كلمة مع صاحبها مقام» وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم، يصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في اطار كل الثقافات على السواء ولم يكن مالمينوفسكي وهو يصوغ مصطلحة الاخير Context of situation يعلم انه مسبوق الى مفهوم هذا المصطلح بألف وما فوقها وان الذين عرفو هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح المقام^(٣).

ولقد سايرت مصطلح السياق مصطلحات أخري تؤدي معناه: كالموقف، والحال، والمقام، وقد اشتهر مصطلحا الحال والمقام عند البلاغيين القدماء، ثم اشتهر مصطلح المقامية عند علماء النص المحدثين، حيث يعدونه أحد المعايير السبعة التي يجب توافرها في النص، أما مصطلح الحال فقد كان يترادف في أغلب استعمالاته لدي البلاغيين مع مصطلح المقام، فكل من المصطلحين يقصد به:

(١) نظرية علم النص، د/ حسام أحمد فرج، ص ٢٢.

(٢) لسانيات النص، د/ محمد خطابي، ص ٥٢.

(٣) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٧٢.

«مجموعة من الاعتبارات والظروف وملابسات التي تلابس النشاط اللغوي، ويكون لها (أو ينبغي أن يكون) تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه بحيث لا تتحدد دلالة الكلام، أو تتجلي مزاياه إلا في ظلها، وفي ضوء ارتباطه بها وقد ترددت في تراثنا بصدد ذلك الارتباط تلك العبارة الذائعة (لكل مقام مقال)»^(١).

ويعبر د.تمام حسان عن المقصود بسياق الموقف فيقول: إن سياق الموقف هو «جملة الموقف المتحرك الذي يعتبر «المتكلم» جزءاً منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم»^(٢) ويزيد معناه وضوحاً بقوله في موضع آخره: «.

«وأما القرينة الحالية فهي من خارج الكلام، لأنها دلالة الوضع السائد أثناء التكلم. هذا الوضع قد يكون حاضراً، أو ماضياً، مروياً رواية صحيحة صريحة من الماضي، أو متصيذاً من أحداث تاريخية أو مواقع جغرافية، أو علاقات اجتماعية»^(٣). لذا لا ينبغي أن ندعي الوصول إلى فهم المعنى الدلالي بمجرد النظر إلى معنى «المقال» دون اعتبار «المقام»^(٤). بل «لا يكفي مجرد فهم النظام الصوتي للغة ما لأن نفهم مقالاً بهذه اللغة، بل لا يكفي لذلك حتى فهماً للنظام الصرفي، أو النحوي للغة المذكورة، بل لا يكفي أيضاً أن نفهم المعنى المعجمي لحشد كبير من كلمات هذه اللغة أيضاً لأن نفهم المعنى فهماً كاملاً ما دام المقام غير مفهوم»^(٥).

ومن عناصر المقام أيضاً موضوع الكلام، وفي أي جو يقال، وفي أي مكان

(١) المعنى في البلاغة العربية، د/حسن طبل، ص ١٩٤.

(٢) الأصول، دراسة أبنستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، نحو، فقه لغة، بلاغة، د. تمام حسان، ص ٣٣٩.

(٣) الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، ص ٢٤، عالم الكتب ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٤) الأصول، د. تمام حسان، ص ٣٤٠.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ٤١.

وأى زمان؟ وكيف يقال، وما الداعي لقوله، وغير ذلك من العناصر الكثيرة جداً التي يؤثر كل منها تأثيراً مباشراً على كيفية قول الكلام، وعلى تركيبه، وعلى معانيه، وعلى الغرض من قوله^(١).

ولم يغب عن علماء العربية قديماً هذا المفهوم الذي نحن بصدد الحديث عنه والذي مؤداه: أن النص اللغوي في جملته إنما هو «نص في موقف»^(٢) غير أنهم عبروا عن تلك الحقيقة بلغتهم ومفرداتهم، وكانت إشاراتهم هذه على درجة عالية من الأهمية بحيث يمكن القول معها: إن أقوال علماء النص حول ما يسمى بسياق الموقف لا تكاد تخرج عما قاله علماء العربية في ذلك.

د. حماسة راصدا لموقف سيبويه من السياق:

نجد أستاذنا الدكتور محمد حماسة يستل لنا من كتاب سيبويه ما يؤكد أنه قد أشار إلى سياق الموقف وعول «على هذا الضرب من السياق كثيراً. وتكثر في «الكتاب» الإشارة إلى فهم المخاطب، والاستغناء عن بعض العناصر اللغوية في الجملة بناء على فهم المخاطب والسياق الخارجي الذي يجرى فيه الكلام. ولذلك يلحظ قارئ «الكتاب» أن سيبويه في مواطن كثيرة يعني بوصف الموقف الذي يجرى فيه الكلام واستعماله»^(٣)، ومن هذه الإشارات قول سيبويه في باب (ما يضم في الفعل): «ومن ذلك قولك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث زكنت أنه يريد مكة كأنك قلت: يريد مكة والله... أو رأيت رجلاً يسدد سهماً قبيل القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس. ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة أي:

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، ص ١٢٣.

(٢) اتجاهات لغوية معاصرة، د. سعيد بحيري، ص ١٣٩.

(٣) النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبداللطيف، ص ١١٥.

أبصروا الهلال^(١).

فدلالة سياق الموقف في الأمثلة السابقة تغني عن ذكر الفعل، لأن ظروف الحدث تومئ إليه وتوضحه، ففي ذهاب رجل في لباس الحاج متوجهاً إلى مكة يغني عن ذكر الفعل «يريد»، أو «يقصد»، لأن حال المتحدث عنه يدل عليه، وكذلك عندما يسدد رجل سهماً إلى قرطاس، فالحال يشير إلى أنه يقصد القرطاس بالرمي، فيغني عن ذكر الفعل يصيب^(٢).

ليس هذا فحسب، بل «ويبلغ سيبويه من اعتبار موقف الاستعمال أن يجعله فيصلاً في الحكم بصحة التراكيب النحوية وخطئها، ومن ذلك أنا نراه يقف إلى الجملة الواحدة فيحكم عليها في موقف من الاستعمال بأنها خطأ، وفي موقف من الاستعمال آخر أنها صواب، وهذه الجملة - لو اكتفى بالنظرة الشكلية الذاتية - جملة نحوية جائزة، ولكن اللغة لم تكن تنفك عن ملابسات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تُستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي»^(٣).

(١) الكتاب، لسبويه، ٢٥٧/١.

(٢) الحذف والتقدير عند سيبويه، ص ١٦٥، رسالة دكتوراه، إعداد: فكري محمد أحمد سليمان، إشراف أ.د. محمد عوني عبدالرؤوف، كلية الألسن، جامعة عين شمس، رقم (٦٣٩٠)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٣) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نقلاً عن «النحو والدلالة»، ص ١١٦، وينظر: الكتاب، لسبويه ٨٠/٢-٨١.

عناية الجاحظ بالسياق:

نجد الجاحظ ينبه إلى وجوب الاهتمام بمراعاة حال المخاطب بوصفه أحد عناصر سياق الموقف، فيقول «وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته، أو في حديثه، أو خبره إذا أخبر - وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام. ولكل مقام مقال»^(١).

تأكيد ابن القيم على أثر السياق في الحكم الفقهي:

يقول ابن قيم الجوزية: إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك فلا تجره على عرف بلدك وسله عن عرف بلده فأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك والمذكور في كتبك: قالوا فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين.. ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم وأزمنتهم، وأمكنتهم وأحوالهم، وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب^(٢).

ويؤكد على مراعاة حال المتكلم، وهو أحد عناصر سياق الموقف، فيقول: ومن ذلك ما أخبرني به بعض أصحابنا أنه قال لامرأته إن أذنت لك في الخروج إلى الحمام فأنت طالق، فتهيأت للخروج إلى الحمام، فقال لها أخرجي وأبصري، فاستفتى بعض الناس فأفتوه بأنها قد طلقت منه، فقال للمفتي بأي شيء أوقعت علي الطلاق قال بقولك لها أخرجي، فقال إني لم أقل لها ذلك إذناً، وإنما قلت تهديداً، أي إنك لا يمكنك الخروج، وهذا كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت:

(١) الحيوان، للجاحظ ٣/٣٦٨-٣٦٩.

(٢) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر)، دار الحديث، القاهرة، ٣/٦٧.

(٤٠).

ويتكلم في موطن آخر عن مجموعة من عناصر سياق الموقف كالإشارة، أو الإيماءة أو الدلالة العقلية، أو القرينة الحالية، أو عادة المتكلم المطردة التي لا يُخَلُّ بها يقول: فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب إتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان العمل بمقتضاه سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو إيماء، أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة له مطردة لا يخل بها^(١).

السياق القرآني:

«لا يمكن لدارس السياق في العربية أن يجاوز النص القرآني وما أحاط به من اعتبارات سياقية، ودلالات ناتجة عنها، والعناية الفائقة لعلماء العربية والتفسير، وجُلُّ العلوم المتصلة بالقرآن بالسياق القرآني.

وقصدوا بذلك الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته»^(٢).

ومن ثم نعني بالسياق الجو العام الذي وردت فيه الآية وما يكتنفها من قرائن ودلائل حيث هناك الكثير من الكلمات الموضوعية لأكثر من معني، ولا يمكن استكشاف المعني المراد إلا بملاحظة المورد الذي وردت فيه الذي علي أساسه نستطيع تقديم أحد المدلولات علي ما سواه حتى لو لم يكن هو المعني الأكثر تداولاً. وكذلك الأمر في الجملة الواحدة، فعلي رغم ظهورها بقطع النظر عن السياق

(١) أعلام الموقعين، ١/١٨٩.

(٢) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، ص ٨٨.

في مطلب معين إلا أننا نستكشف أمرا آخر بملاحظة السياق^(١).

الشافعي أول من استخدم مصطلح السياق:

إذا أردنا أن نعود بمصطلح السياق اللغوي إلي جذوره الأولى، فإننا نجد الإمام الشافعي ت: (٢٠٤هـ) رحمه الله أول من استخدمه بهذا المعنى حين عقد بابا في الرسالة أسماه: (باب الصنف يبين سياقه معناه) وعلى الرغم من أنه لم يُعرّفه، إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾^(٢) ثم قال: «فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلما قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ دل علي أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون»^(٣).

ونخلص من هذا كله إلي أن السياق القرآني هو الأغراض التي بنيت عليها الآية، وما تعلق بها من القرائن اللفظية والحالية وأحوال المخاطبين بها.

دور السياق في فهم النص عند الشاطبي:

وقد أوضح الشاطبي دور السياق في فهم النص القرآني، فقال:

«المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل... فالذي يكون علي بال من المستمع والمتفهم والاتقات إلي أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها فإن

(١) أثر دلالة السياق في المعنى القرآني، ص ٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٣) الرسالة، ص ٧٥.

القضية اشتملت علي جمل فبعضها متعلق بالبعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام علي أوله، وأوله علي آخره، وإذا ذلك لم يحصل مقصود الشارع في فهم الملف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلي مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر علي بعض أجزاء الكلام دون بعض»^(١).

وفي موضع آخر يتحدث عما يسمى بعناصر سياق الموقف، أو ما يسميه هو «مقتضيات الأحوال»، فيذكر من هذه العناصر المخاطب أو المتكلم والمخاطب أو المتلقي، والنص نفسه بل وكل الأمور الخارجة عن النص، ويقرر أنه إذا فات نقل بعض هذه القرائن، أو الأمور الخارجة عن النص فات فهم المعنى جملة، أو فهم شيء منه يقول: «إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب غير ذلك، فالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان آخر من تقرير، وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز وأشباهاها ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال... وإذا فات نقل بعض القرائن، فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه»^(٢).

(١) الموفقات ٣/٣٥١.

(٢) الموفقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي (إبراهيم بن موسى): ٣/٣٤٧ ضبطه محمد عبدالله الرزاز، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

السياق القرآني والتناص:

إن النظر في سياقات القرآن، وما ترتب عليها من ترجيح تفسيري، أو اختيار لغوي، أو تحليل لمناسبة المعاني للتراكيب والصيغ التي تعبر عنها؛ يقتضي ضرباً من الاستقراء للآيات المتأثرة بالسياق، ومن الأساليب المعينة على ذلك جمع الآيات المتعلقة في القرآن، ودراسة مدى تأثرها ببعضها في إطار السياق القرآني العام، وعقد المقارنات بين أساليب صياغتها، وملاحظة سياقات ورودها. ولاشك أن استحضار معيار التناص لدى دراستنا للسياق القرآني بحسبانه أداة راصدة لهذه العلاقات، ومؤتنة لتلك المقارنات، ومبينة لأهمية السياق في تحديد دقة التباينات.

وقد عني علماؤنا الأجلاء بهذه العلاقات واسحضروها لدى دراستهم للنص القرآني. ففي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران: ١٨) لا مفر فيها من فهم «وشهد الملائكة وأولو العلم» بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذا أولاً. وثانياً بدليل ما يحيط بالآية من عالم العقيدة والخطاب الديني الذي يحول دون فهم أن الملائكة وأولى العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى^(١). ذاك ما يقضي به السياق القرآني العام، والمتمثل هنا في جملة الآيات المتناصّة مع هذه الآية.

ومن ذلك نستنتج أن أحد أهم محددات استخدام ما يطلق عليه السياق القرآني العام هو جملة ما تناص من الآيات والمقاطع القرآنية مع آية معينة.

وهذا يعني أيضاً أنه «لكي نقف على تفسير كثير من الآيات على وجه الخصوص لا بد من معرفة أسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على مرويات متباينة فينبغي علينا أن نختار من بينها ما يتفق

(١) مقدمة النص والخطاب والإجراء للدكتور د. تمام حسان: ص ٣٤، ٣٥.

وسياق التركيب، خاصة إذا اختلفت هذه الأسباب وتعارضت»^(١).

على أنه ينبغي أن ندرك أن «هذه الأسباب ليست عللاً للتشريع، وإنما هي المناسبات التي احتفت بالنص الشرعي، ولا شك أن لها دخلاً كبيراً في تفسير النص وتحديد معناه»^(٢).

يتضح مما ذكرناه من تعريفات السياق أنها تلتقي عند معني أساسي وهو مجموعة القرائن التي تعين علي فهم النص والكشف عن المراد منه، سواء أكانت هذه القرائن عنصراً أو أكثر من عناصر النص، ويسمي حينئذ (السياق الداخلي أو النصي أو اللغوي)، أم كانت متمثلة في مجموعة الظروف المكانية أو الزمنية أو الثقافية، أو الاجتماعية المحيطة بالنص، وليست عنصراً من عناصره، وتسمي حينئذ (السياق الخارجي أو الموقفي أو المقامي) وعليه فإن السياق نوعان:

- سياق داخلي.

- سياق خارجي.

وقد أشتمل القرآن الكريم علي هذين النوعين.

ولا شك أن المفسرين اعتمدوا علي السياق القرآني بنوعيه في تحليل الآيات، والكشف عن معانيها، ثم اعتبار المفسرين السياق منهجاً عاماً في تفسيرهم للقرآن الكريم جعلهم يوظفونه في فهم دلالات ألفاظه وتراكيبه، وقد تجلّي اعتماد المنهج السياقي أكثر ما تجلّي في تفسير القرآن بالقرآن ولما كانت دلالة السياق من أهم القرائن التي تدل علي مراد المتكلم وإثبات المعني المراد دون غيره، فإن المفسرين اهتموا بمنهج السياق واعتبروا كل قول لا يؤيده السياق لا عبرة به ولا يعول عليه.

(١) قرينة السياق في التركيب القرآني: ص ٢١٤، ومقدمة ابن خلدون: ص ٤٣٩، دار القلم، بيروت، لبنان ط ٦، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) دراسة المعني عند الأصوليين، د. طاهر سليمان حمودة: دار الجامعة للنشر، إسكندرية د.ت: ص ٥٤، ٥٥.

فإذا رجعت إلي كتب التفسير، وجدت المفسرين يقولون:

«هذا أحسن واقوي، لأن السياق..» ويقولون: «ولكن السياق أدل علي المعنى»، ويقولون: «وتركيب السياق يأبي ذلك» ويقولون: «فإن السياق يقتضي» ويقولون: «لا نأباه إذا صلح له السياق»، ويقولون: «وهو الذي يأذن به السياق»، ويقولون: «وهو بعيد عن السياق»^(١)، وغيرها من عبارتهم.

عند النظر في السياق القرآني، نلاحظ نوعين رئيسيين من السياق، هما:

- أولاً: السياق الداخلي:

ونعني بالسياق الداخلي «النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم»^(٢)، فد«السياق علي هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلها والكتاب كله»^(٣).

وقد أتسع مفهوم السياق عند الشاطبي ليشمل سياق السورة كله، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَٰمَنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٤) قال: «فإن سياق الكلام يدل علي أن المراد بالظلم أنواع الشرك علي الخصوص فإن السورة من أولها إلي آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه، والذي تقدم قبل الآية قصة إبراهيم عليه السلام في حاجته بالأدلة التي أظهرها لهم في الكوكب والقمر والشمر، وكان قد تقدم قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فبين انه لا احد أظلم ممن أرتكب هاتين الخلتين، وظهر إنهما المعني بهما في

(١) أثر دلالة السياق في المعنى القرآني، ص ٢٧.

(٢) دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمة وقدم له وعلق عليه د/ كمال بشر ص ٥٧.

(٣) السابق، ص ٥٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

سورة الأنعام»^(١).

مناسبة مطالع السور لسياقها اللغوي الداخلي:

افتتاح بعض سور القرآن بالحروف واختصاص كل واحدة بما بدئت به، حتى لم يكن لترد ﴿آلَمَ﴾ في موضع ﴿الرَّ﴾ ولا ﴿حَمَ﴾ في موضع ﴿طَسَّ﴾، ومعنى ذلك ان كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل في الأعم الأغلب. وفي هذا مراعاة للسياق اللغوي الداخلي للسورة، كما أن التناص بينها يظهر تعالقا سياقيا بمحاذاة التعالق اللفظي. فمثلا سورة ﴿قَ﴾ قد بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القران والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن ادم وتلقي الملكيين وقول العتيد والرقيب والسائق واللقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الارض وحقوق الوعيد وغير ذلك.

وأما في سورة يونس فقد تكرر فيها بعض الكلم الواقع فيها (الر) مثل الرجس (اية ١٠٠) والرحيم (اية ١٠٧)، فلهذا افتتحت بـ(الر)، وتتناص معها في ذلك هود ويوسف. وأما سورة (ص) فقد اشتملت على خصومات متعددة، فأولها خصومة النبي مع الكفار وقولهم اجعل الالهة الها واحدا، ثم اختصام الخصمين عند داوود عليه السلام ثم تخاصم اهل النار ثم اختصام الملائكة الاعلى، ثم تخاصم ابليس في شان ادم ثم في شأن بنيه. وذكر السيوطي ان (الم) جمعت المخارج الثلاث: الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها، وذكر إشارة الى البداية التي هي بدء الخلق، والنهاية التي هي بدء الميعاد، والتشريع بالأوامر والنواهي، وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاث.

وأما سورة الأعراف فقد زيد فيها (الصاد) على (الم) لما فيها من شرح

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

القصص كقصة ادم عليه السلام فمن بعده من الانبياء ولما فيها من قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ، وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولهذا قال بعضهم: معنى قوله تعالى: ﴿ الْمَصَّ ﴾: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾، بينما زيد في سورة الرعد (راء) لاجل قوله رفع السموات، ولاجل ذكر البرق والرعد وغيرها^(١).

السمة التعبيرية تتأثر بالسياق وتلحظ عن طريق التناص:

فقوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ [سورة النحل: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ [سورة الزمر: ٣٩]. وقال: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ [سورة الزمر: ٥١]. فاختار لفظ العمل في النحل والجاثية، ولفظ الكسب في سورة الزمر، وسبب اختيار لفظ العمل في النحل والجاثية هو وقوع الايتين بين ألفاظ العمل، وسبب اختيار لفظ الكسب في الزمر هو وقوع الايتين بين ألفاظ الكسب. فقد جاء في النحل قوله تعالى: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَتُوفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [النحل: ١١١] وجاء في الجاثية قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ في وقع لفظ (الكسب) في الزمر بين آيات الكسب، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر ٢٤) وقوله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ [الزمر: ٥١]، فخصت كل سورة بما اقتضاه سياقها^(٢). ومن ناحية أخرى فإن الزمر اكثر

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن ١/٣٦٣.

(٢) ينظر: التعبير القراني، طبعة دار عمار، عمان الاردن، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٢٣٧،

وينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الشعب،

١٣٥٨هـ/١٩٣٨م، مادة: كسب، ومادة: عمل.

سورة تردد فيها لفظ (الكسب) من بين هذه السور الثلاثة، فقد تردت هذه اللفظة خمس مرات في حين لم ترد هذه اللفظة في سورة النحل البتة، وفي الجاثية وردت ثلاث مرات.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ١٧٣). وقوله تعالى في (الانعام ١٤٥): ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فاختار في سورة البقرة لفظ الألوهية (الله)، وفي الانعام لفظ الربوبية (الرب). ومن أسباب هذا الاختيار والله أعلم أن لفظ (الله) تردد في البقرة أكثر مما في الانعام، وان لفظ (الرب) تردد في الانعام أكثر مما في البقرة. فقد ورد لفظ (الله) في البقرة (٢٨٩ مائتين واثنين وثمانين مرة)، وفي الانعام (٨٧) سبعة وثمانين مرة. بينما وردت كلمة (الرب) في البقرة (٤٧) سبعة وأربعين مرة، وفي الانعام (٥٣) ثلاثاً وخمسين مرة^(١). فناسب أن يضع كلمة (الله) في البقرة وكلمة (رب) في الانعام، وعلى هذا يقتضي السياق العام لكل سورة وضع كل لفظ في المكان الذي وضعت فيه، فإن آية البقرة في سياق العبادة، ولفظ (الله) أولى أن يوضع في هذا السياق لأنه من الألوهية، والألوهية هي الاختصاص بالعبادة: قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢) ويدل على ذلك انه لما قال في سورة النحل: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤) قال بعدها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٥). وأما سياق آية الانعام ففي الاطعمة ولفظ (الرب) ألصق بهذا السياق لأن الرب من التربية والتنشئة^(٢). وبهذا يتجلى دور التناص في الكشف عن دقة التعبير القرآني ومراعاته للسياقات المختلفة، فنجد الآيات المتناصّة المتشابهة في المعنى تختلف على مستوى المفردة الواحدة مراعاة للسياق القرآني الذي وردت فيه.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، مادة: ال هـ، ومادة: رب.

(٢) ينظر: الكرمانى، البرهان ٨٢، درة التنزيل ٢٣ - ٢٤.

الاستعاذة الوحيدة بـ(الرحمن) في القرآن:

فأنت ترى أن سورة مريم تبدأ في مطلعها بذكر الرحمة في قوله تعالى:

﴿ كَهَيْعِصَ ۝١ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ ﴾، بل إن السورة كلها تفيض بالرحمة، والفاظ الرحمة تشيع فيها من اولها الى اخرها، حتى إن الاستعاذة الوحيدة في القرآن باسم الله (الرحمن) وقعت في السورة حين قالت مريم لرسول ربها الي تمثل لها بشرا سويا: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨ ﴾ (مريم: ١٨) فقد استعاذت بالرحمن ليرحمها وبقيها السوء ولم تقل «اعوذ بالله» كما فعل موسى حين قال لقومه ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة: ٦٧). وذلك أن السياق في البقرة سياق عقوبة مسخ وتتكيل ولا تناسب الرحمة ذلك. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝٦٥ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦ ﴾ (١). هذا علاوة على ان لفظ (الرحمن) تكرر في مريم ست عشر مرة وهي على الترتيب:

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ ۖ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٦٦ ﴾

﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَمَا تَرِينَ ۚ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا ۝٦٦ ﴾

﴿ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝٤٤ ﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٤٥ ﴾

﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ ﴾

(١) ينظر: البرهان ص ٣٤، ٣٥، وينظر: ملاك التأويل، ٥٥/٤.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠ ﴾

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣ ﴾

﴿ وَمَنْ هَدَيْتَنَا وَاجْبَيْنَا إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨ ﴾

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ٦١ ﴾

﴿ ثُمَّ لَنْ نَزِعَكَ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَهْمٌ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ٦٩ ﴾

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ٧٥ ﴾

﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٧٨ ﴾

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ٨٥ ﴾

﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧ ﴾

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ ﴾

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

هَذَا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ٩٦ ﴾

- أثر السياق في التعريف والتكثير والزيادة:

ومن ذلك الاختلاف بين قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الاعراف: ٢٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦). وأحسن الأقوال في هذه المسألة

ما يناسب السياق اللغوي من أن آية (سورة فصلت) متصلة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٥)، فكان مؤكداً بالتكرار وبالنفي وبالإثبات، فبالغ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ بزيادة (هو) واللام.

أما في الأعراف فأتى على القياس، فالمُخْبَر عنه معرفة، والخبر نكرة^(١). وهناك قول آخر يناسب سياق المقام ويرى أن ما جاء من التذكير (في سورة الأعراف) ناسب ما قبله في السياق من وصف للآلهة المنحوتة من الحجارة والخشب، وهي ليس لها سمع أو علم كالأحياء، فوردت هاتان الصفتان على المورد الذي لا يوهم صلاحية شيء من ذلك لغيره سبحانه وتعالى بدون ضمير الفصل المقتضي للتخصيص، وبدون التعريف المقتضي للمبالغة، فالمُضِلُّ هنا حجارة وخشب، أما المُضِلُّ في سورة فصلت فمن الإنس والجن، وكلاهما لهما سمع وعلم فناسب التعريف في الصفتين ليعطي معنى كمال السمع والعلم، كما أكد ذلك بالضمير المنفصل المقتضي للتخصيص^(٢). ومن حيث السياق الزمني فإن «آية (الأعراف) نزلت أولاً، وآية (فصلت) نزلت تالية فحَسُنَ التعريف، أي هو السميع العليم الذي ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان»^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى في سورة (الإسراء آية: ٨٩): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ وفي سورة [الكهف آية: ٥٤] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

قدم (للناس) على (في هذا القرآن) في الإسراء وأخرها في (الكهف) وذلك لأنه

(١) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) ينظر: ملك التاويل ١/٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) ينظر: ابن جماعة كشف المعاني ص ١٨٩.

تقدم الكلام في (الإسراء) على الإنسان ونعم الله عليه ورحمته به فقال تعال في سورة ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشُّرْكَانَ يُوَسْوِسُ ﴾ [الإسراء آية: ٨٣].

فناسب ذلك تقديم الناس في سورة الإسراء.

ولم يتقدم مثل ذلك في الكهف.

ثم انظر في افتتاح كل من السورتين فقد بدأ سورة الكهف بقوله تعالى في سورة

[الكهف آية: ١-٢] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴾ .
فقد بدأ السورة بالكلام على الكتاب وهو القرآن ثم ذكر بعده أصحاب الكهف وذكر موسى والرجل الصالح وذكر ذا القرنين وغيرهم من الناس، فبدأ بذكر القرآن ثم ذكر الناس، فكان المناسب أن يتقدم ذكر القرآن على الناس في هذه الآية كما في البدء.

وأما سورة الإسراء فقد بدئت بالكلام على الناس ثم القرآن. فقد بدئت بقوله

تعالى في سورة ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء آية: ١]. ثم تكلم على بني إسرائيل، ثم بعد ذلك في سورة ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء آية: ٩].

فكان المناسب أن يتقدم ذكر الناس فيها على ذكر القرآن في هذه الآية. وهذا

تناسب عجيب بين الآية ومفتتح السورة في الموضعين.

ثم انظر خاتمة الآيتين، فقد ختم آية الإسراء بقوله ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا ﴾ والكفور: هو جحد النعم، فناسب ذلك تقدم ذكر النعمة والرحمة والفضل

ألا ترى أن مقابل الشكر الكفران ومقابل الشكر الكفور قال تعالى في سورة ﴿ إِنَّا

هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ إِذَا شَاكَرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۗ ﴾ [الإنسان آية: ٣] فكان ختام الآية مناسباً

لما تقدم من السياق.

أما آية الكهف فقد ختمها بقوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ لما ذكر قبلها وبعدها من المحاورات والجدل والمرء من مثل قوله تعالى ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف]، وبعدها في سورة [الكهف آية ٥٦].

وذكر محاورة موسى والرجل الصالح ومجادلته فيما كان يفعل.

وقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا﴾ [الكهف آية: ٢٢].

ولم يرد لفظ الجدل ولا المحاورة في سورة الإسراء كلها. فما أطف هذا التناص وأجمله وما أجمل هذا الكلام! (١).

أثر السياق في الحذف:

مما حسن الحذف في الكهف حذفه الياء من لفظ الهداية في موضع آخر من السورة، واجتزأوه بالكسرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف ١٧] هذا علاوة على حذف الياء في مواطن أخرى متعددة من هذه السورة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنْأَقْلَ مِنْكَ مَا لَأَ وَوْلَدًا﴾ (٣٩) ﴿[الكهف: ٣٩] بحذف الياء من (ترني). وقوله ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠] بحذف الياء من (تعلمني). وقوله ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) [الكهف: ٦٦] بحذف الياء من (نبغي).

فأنظر كيف أظهر التناص تعاضد المعنى والسياق والألفاظ والإحصاء على وضع كل لفظة في موضعها.

(١) أسرار التعبير القرآني، ص ٩٨.

ومن هذا النوع من الذكر والحذف قوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقوله: ﴿الْيَوْمَ يَسِرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [المائدة: ٣].

وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسِرَ وَاخْشَوْنِي﴾ [المائدة: ٤٤].

تناوب الكلمات بين الآيات المتناصّة:

ومن ذلك الفرق بين قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة:

١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، فقد ورد التركيب اللغوي الاول بعد نواهٍ فناسب النهي عن قربانها، وورد الثاني بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يتوقف عندها، وقد وضع الاسم الجليل في التركيبين السابقين موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة في النفوس^(١).

ومنه أيضا ما قيل في تعليل اختصاص السورة (النازعات ٣٤) بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ واختصاص سورة (عبس ٣٣) بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَاةُ﴾ فسورة النازعات على الجملة اشد في التخويف والترهيب (سياق لغوي وسياق انفعالي)، فناسبها أبلغ العبارتين من اسماء القيامة في التخويف والإنذار بحالها، وليست سورة: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ١ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ كسورة النازعات في التخويف والترهيب، فناسبها ايراد اسم القيامة بالصاخة^(٢).

ونلاحظ هنا تناسبا سياقيا بين كلمة الصاخة وهي صوت وبين الاعمى وهو

لا يرى ببصره ولكن يعتمد في فهمه على الصوت.

(١) ملاك التأويل ١٢١/٢.

(٢) ينظر: السابق ١١٣/٢.

ومنه أيضا الكلام على اختصاص سورة التكوير بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦) واختصاص الانفطار بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: ٣) حيث قال: يسأل عن اختصاص الأولى بقوله: ﴿سُجِّرَتْ﴾ والثانية بقوله تعالى: ﴿فُجِّرَتْ﴾؟ والجواب عن ذلك والله اعلم ان قوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ معناها ملئت من قولك: سجرت التتور اذا ملاته بالحطب، وقرئ مخففا ومتقلا والمعنى واحد، والمراد اجتماع مياهها.

وأما قوله: ﴿فُجِّرَتْ﴾ فتح بعضها الى بعض، واختلط العذب بالمالح، فصار بحرا واحدا بزوال البرزخ الحاجز بينهما، واذا خصت سورة الانفطار بلفظ الانفجار ليناسب مطلع السورة، وكذلك سجرت مناسب لمطلع سورة التكوير فالشمس كوكب ناري فناسب كل سياقه ولاعم كل مقامه^(١).

ثانيا: السياق الخارجي:

فقد عرفه علماء النص بأنه «ما يشير إلى الموقف الاتصالي بعناصره: المتكلم/ الكاتب، المستمع/ القارئ، والعلاقة بينهما، زمان ومكان النص، والظروف الاجتماعية، والسياسية المرتبطة به»^(٢).

وقد عني المفسرون البلاغيون وعلماء علوم القرآن الأصوليون بالسياق الخارجي للنص القرآني عناية فائقة، لأنه هو الذي يعينهم علي فهم المراد من الآية الكريمة، قال الشاطبي: «المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان»^(٣).

وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدي كرب إنهما كانا يقولان الخمر

(١) ابن الزبير الغرناطي، ملك التأويل ١٣٧/٢.

(٢) نظرية علم النص د / حسام أحمد فرج، ص ٢٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

مباحة، ويحتجان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ ولو علما سبب نزلها لم يقولوا ذلك، وهو أن ناسا قالوا لما حرمت الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجز؟ فنزلت»^(١).

وقال السعدي: «النصر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه، وقت نزله مع أعظم ما يعين علي معرفته وفهم المراد منه»^(٢).

في سورتي المعارج وعبس حيث تحدث عن الترتيب في قوله تعالى: ﴿يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ تَوَفِّيهِ مِمَّنْ قَبِلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُبَوِّئَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجْرًا وَجْهًا مُّوَجَّهًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المعارج: ١١-١٤). وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس: ٣٣-٣٧). والسبب في هذا الاختلاف انه لما كان السياق للإفتداء بدأ بأعزهم، لان الافتداء بالولد من اقبح العار، بخلاف ماياتي في عبس، حيث سياق الفرار، حيث قدمت المرأة على الولد لانها احق بعدم الفرار عنها لضعفها بينما قد يكون الولد فارسا، ولان الفرار عن المرأة من اقبح العار.

ومن ذلك الاختلاف بين قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٩). بينما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَٰنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٩). وقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧-٣٠).

ذلك بأن «المقام في الاولين مقام الامتنان، فمقتضاه تقديم ما هو نعمة الى

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/٩٥-٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/٣٠.

المخاطبين فكأنه قال سبحانه: هو الذي دبر أمركم (في الأرض) قبل خلق السماء، ثم خلق السماء، والمقام في الثالثة مقام بيان كمال فمقتضاه تقديم ما هو ادل على كمالها»^(١).

فقال في آية البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة آية: ٢٦٤] فقدم الشيء وأخر الكسب.

وقال في سورة إبراهيم: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم آية: ١٨] فقدم الكسب وأخر الشيء، وذلك أن آية البقرة في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق معط وليس كاسباً، ولذلك أخر الكسب فقال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة آية: ٢٦٤].

وأما الآية الثانية فهي في سياق العمل، والعامل كاسب فقد الكسب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال آية: ١٠].

فقدم القلوب على الجار والمجرور في آل عمران فقال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾، وأخرها عنه في الأنفال فقال: (ولتطمئنن به قلوبكم) علماً بأن الكلام على معركة بدر في المواطنين غير أن الموقف مختلف.

ففي آل عمران ذكر معركة بدر تمهيداً لذكر موقعة أحد وما أصابهم فيها من قرح وحزن والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٣٩) [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠] إلى غير ذلك

(١) نظم الدرر في تناسب الايات والسور، ١٤٨/٨.

من آيات المواساة والتصبير فقال في هذا الموطن: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] فذكر أن البشري (لهم)، وقدم (قلوبهم) على الإمداد بالملائكة فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] كل ذلك من قبيل المواساة والتبشير والطمأنة.

إنه لما كان المقام في الأنفال مقام الانتصار وإبراز دور الإمداد الرباني قدم (به) على القلوب والضمير يعود على الإمداد ولما كان المقام في آل عمران هو الطمأنة وتسكين القلوب قدمها على الإمداد فقال: ﴿ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ﴾ [الأنفال آية: ١٠] وزاد كلمة (لكم) فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] زيادة في المواساة والمسح على القلوب فجعل كلا في مقامه.

إحالة إلى كل هذه الآيات:

ومن ذلك قوله تعالى: في سورة [البقرة آية ١٧٣] وفي سورة [المائدة آية: ٣] وفي سورة [الأنعام آية: ١٤٥].

وقد تتبع بعضهم أنماط السياق القرآني فقسمة إلى سياق مكاني، وسياق زمني، وسياق تاريخي، وسياق موضوعي، وسياق مقاصدي، فضلا عن السياق اللغوي الذي هو الداخلي وقد سبق الحديث عنه.

أما السياق المكاني فيتمثل في معرفة علاقة السور القرآنية بما قبلها من السور وبما بعدها، أو علاقة الآية الواحدة ضمن السورة بما قبلها وبما بعدها من الآيات، والعلماء يطلقون علي هذا النوع من السياق اسم (المناسبات).

أما السياق الزمني فيقصد به معرفة ما نزل من القرآن أولاً، وما نزل آخرًا، وما فائدة ذلك تتضح عند ما ظاهره التعارض مع الآيات، فمعرفة زمان الآية أو السورة تنزيل هذا اللبس.

فمثلا قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) فلا يمكن معرفة المقصود من هذه الآية إلا بعد معرفة وقت نزولها, وأنها سابقة في النزول لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٢).

قال ابن العربي: «المتوفى عنها زوجها كانت بالخيار أن تخرج من بيتها وبين أن تبقى بأية الإخراج ثم نسخها الله تعالى بالآية التي فيها التريص».

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾^(٣) فهذه الآية لا يمكن بيان المقصود منها إلا إذا عرفنا ما نزل بعدها من آيات, كقوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان الحكم كذلك - أي كما جاء في سورة النساء - حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد، أو الرجم» قال ابن كثير بعد أن ساق قول ابن عباس «وكذا روي عن عكرمة, وسعيد بن جبير, والحسن, وعطاء.. أنها منسوخة, وهو أمر متفق عليه»^(٥) وقال مثل ذلك في غير ذلك من الآيات المتقدمة والمتأخرة في النزول.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/٣٨٤.

وأما السياق التاريخي فهو يعرف عند المفسرين بأسباب النزول ومعرفته أمر مهم للمفسر، وتتوقف على معرفته فهم الآيات، وما ينبني عليها من أحكام، فمثلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)، لا يمكن أن نفهم منه التقاعد والتقاعد عن واجب الجهاد.

يوضح هذا المعني ما رواه الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران قال: «حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلي التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار نجيا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصرة، حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكما قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلي أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فننزل فنزل فينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد»^(٢).

وقوله في سورة النمل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [آية ٧٠].

فحذف نون (تكن) في آية النحل، وأبقاها في آية النمل. وذلك أن السياق مختلف في السورتين.

فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد: (بقروا بطونهم، فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به فراه مبقور البطن فقال: (أما والذي أحلف به لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك). فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٩/١.

عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾ [النحل: آية ١٢٦-١٢٨] فكفر عن يمينه وكف عما أراده^(١).

فقد أوصاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم فقال له: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل آية ١٢٧] أي: لا يكن في صدرك ضيق مهما قل. فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً. وهذا تطيب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، وتخفيف لأمر الحدث وتهوينه على المخاطب، فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس.

أما الآية الثانية فهي سياق المحاجة في المعاد، وهو مما لا يحتاج إلى مثل هذا التصبير.

جاء في (البرهان) للكرمانى: إنما خصت سورة النحل بحذف النون موافقة لما قبلها وهو قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل آية ١٢٠].

والثاني: (أن هذه الآية نزلت تسلياً للنبي ﷺ حين قتل عمه حمزة ومثل به فقال عليه الصلاة والسلام: (لأفعلن بهم ولأصنعن)).

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

(١) الكشاف ٢/ ٢٢٢، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٢.

يَمَكُرُونَ ﴿ [النحل: آية ١٢٦-١٢٧] ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاء في النمل على القياس لأن الحزن هناك دون الحزن هنا والله أعلم^(١).

الاختلاف بذكر اللام المؤكدة عند الاخبار بالعقاب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِبَعَثَنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الاعراف: ١٦٧)، وحذفها في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الانعام: ١٦٥) والسبب في هذا الاختلاف يرجع الى اختلاف سياق الحال وسياق الكلام فما في سورة الاعراف وقع في سياق غضب الله وعذابه في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ (الاعراف: ١٦٥)، وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿ (الاعراف: ١٦٦) فاتي اللم تأكيدا لجانب العذاب لمناسبة ماتقدم من ذكر غضب الله وعذابه، اما ما في سورة (الانعام) فقد جاء في سياق مختلف هو سياق العطاء والامتنان فقد تقدم في سياقه ما يؤذن بالكرم والاحسان في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿ (الانعام: ١٦٠) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ﴿ فترك تأكيد جانب العذاب واكتفى بتأكيد جانب الغفران ترجيحاً له على جانب العذاب وفي اختلاف سياق الكلام يذكر الامام بدر الدين الزركشي أن العقاب في (آية سورة الأعراف) عقاب عاجل، وهو عقاب بني اسرائيل بالذل والنقمة واداء الجزية بعد المسخ، لانه في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِبَعَثَنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿ فتأكيد السرعة افاد بيان التعجيل وهو مناسب بخلاف العقاب المذكور في آية (سورة الانعام) فإنه اجل بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ

(١) البرهان ص ٢٨١-٢٨٣.

﴿فِيئْتِكُمْ﴾ (الانعام: ١٦٤) فأكتفى فيه بالتأكيد بـ(أن) ولما اختصت اية (سورة الاعراف) بزيادة العذاب عاجلا اختصت بزيادة التأكيد لفظا بـ(أن) و(اللام). ونلاحظ التناسب بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فإنه تعالى لما أكد باللام في جانب العذاب في اول الآية ناسبة التأكيد في آخر الآية في نفس جانب العذاب وبنفس حرف التأكيد (اللام)^(١).

- اختلاف الصيغ باختلاف السياق:

وقد يستعمل في مكان ما صيغة ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة، فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة ق آية: ٢] وقوله: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءِ آلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة هود آية: ٧٢] وقوله في مكان آخر: ﴿أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [سورة ص آية: ٥].

فأنت ترى أنه قال في سورة ق: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وفي هود: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وفي سورة ص: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ فعدل من عجيب إلى عجاب، وذلك أن تدرج في العجب بحسب قوته ففي سورة (ق) ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم فقالوا: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

وفي سورة هود كان العجب أكبر لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم (انظر سورة الذاريات ٢٩) وبعلمها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب

(١) البرهان، ص ٧٠، وينظر: ابن جماعة كشف المعاني ص ١٧٣.

فالعجوز لا تلد، فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد إذ يستحيل على العقيم أن تلد. فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلمها شيخ كان أبعد وأبعد ولذا أكد العجب بأن والسلام فقال: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَتِي أَيُّ آدَمٍ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة هود آية: ٧٢] بخلاف آية (ق) فإنه لم يؤكد العجب.

وأما في سورة (ص) فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحداية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه؟ بل إن الإسلام جاء أول ما جاء ليردعهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد، وحسبك أن كلمة الإسلام الأولى هي: (لا إله إلا الله) وقد استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقرروا بهذه الكلمة، فالقتل أيسر عندهم من النطق بكلمة التوحيد، ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر فجاء بيان والسلام وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) وذلك أن (فعالاً) أبلغ من (فعليل) عند العرب ف(طوال) أبلغ من (طويل) فإذا قلت: (هو رجل طويل) فهو الطويل يكون مثله، فإذا زاد عن المعتاد قلت: هو طوال نحوه: كريم وكرام، وشجيع وشجاع.

فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام، وانظر كيف يراعي دقة التعبير في كل موضع، وكيف يلحظ كل كلمة ويضعها في المكان المناسب على تباعد الأمكنة.

الفصل الثالث

أثر التناسخ بين آي القرآن الكريم النحوي والدلالي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التّرجيحُ بينَ الوجوهِ الإعرابيَّةِ

المبحثُ الثاني: تَقديرُ المَحذوفِ

المَبْحَثُ الثالث: «رَفْعُ الإِبْهَامِ»

المَبْحَثُ الرابع: التَّنَاطُرُ وَالْعُدُولُ

المبحث الأول الترجيح بين الوجوه الإعرابية

مهـاد:

إنَّ القرآنَ لَحَمَّالٌ وِجوهٍ، وإنَّ في الطَّبِيعَةِ الاحْتِمَالِيَّةِ لِللُّغَةِ الْقُرْآنِ لَتَأَكِيدًا عَلَى هَامِشِ الْحَرِيَّةِ الْاجْتِهَادِيَّةِ فِي النَّصِّ؛ أَي حَيْثُ يَكُونُ النَّصُّ الْقُرْآنِي مُحْتَمَلًا فِي دَلَالَتِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا التَّحَمُّلَ يَفْسَحُ الْمَجَالَ لَتَفَاعُلَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مَعَ النَّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي بَيْنَهَا تَنَاصُّ، إِذْ إِنَّ ثَمَّةَ فُرُوقًا فِي الْمَعْنَى وَالِدَّلَالَةِ بَيْنَ تِلْكَ الْآيَاتِ، نَظَرًا لِتَرْجِيحِ وَجْهِ نَحْوِيٍّ عَلَى آخَرَ، وَذَلِكَ يَتَجَلَّى لِمَنْ كَانَ بَصِيرًا بِالْعَلَلِ، خَبِيرًا بِغَوَامِضِ الْمَسَائِلِ.

وَذَلِكَ شَرِيظَةٌ أَلَا يَصَادِمُ أَصُولَ التَّأْوِيلِ فِي مَسْتَوِيِّ الْبِنْيَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ لِلنَّصِّ؛ حَتَّى لَا يَبْدُوَ التَّرْجِيحُ بَعِيدًا عَنِ دَلَالَاتِ النَّصُوصِ وَحُدُودِهَا اللَّغَوِيَّةِ، ثُمَّ يُمْكِنُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَطْبِقَ بَعْضَ الْمَفَاهِيمِ الدَّلَالِيَّةِ الْإِجْرَائِيَّةِ الَّتِي فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ وَالْمَعَاصِرَةِ فِي فَهْمِ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَحْلِيلِ نَصُوصِهِ.

أَحْرَصُ فِي هَذَا التَّأَمُّلِ عَلَى النُّقُولِ عَنِ السَّابِقِينَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَوْضِيحًا لِدَوْرِ الْوِعَاءِ التَّأْوِيلِيِّ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا أَحْرَصُ عَلَى تَقْرِيْبِ الْأَدْلَةِ، وَتَحْقِيقِ الْقَوَاعِدِ مَعَ الْاسْتِنْبَاطِ، وَتَفْرِيقِ الْمَلْتَبَسِ مِنَ التَّوْجِيهَاتِ وَالتَّعْلِيلَاتِ وَالْأَقْوَالِ، وَبَيَانِ الْمَبْهَمِ مِنْ وَجْهِ النَّظَرِ، وَالْأَوَّلَى وَالصَّوَابِ. وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ التَّوْجِيهَاتِ وَالْمَذَاهِبِ وَالتَّأْوِيلَاتِ، وَإِبْدَاءِ الْأَسْلَمِ وَالْأَقْرَبِ، وَالْأَرْجَحِ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ، مَعَ الْحَذَرِ عَمَّا يَوْجِبُ سُوءَ الْفَهْمِ.

ذَلِكَ، وَإِنَّ الْمِيزَانَ فِي التَّرْجِيحِ يَلْتَمَسُ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْأَصُولِ مِنْ أَنَّهُ «إِذَا اخْتَلَفَ نَصَانٌ وَجِبَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا - إِنْ أَمْكَنَ - وَإِنْ لَمْ يُمْكِنَ وَجِبَ التَّرْجِيحُ»^(١)، كَمَا اتَّفَقَ الْأَصُولِيُّونَ - أَيْضًا «عَلَى إِثْبَاتِ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْأَدْلَةِ الْمُتَعَارِضَةِ إِذَا لَمْ

(١) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ٤٣٢/٢، ٥٦/٥، أضواء البيان ٣٠٠/٢، ٢١/٥.

يمكن الجمع، وأنه لا يصح إعمال أحد دليلين متعارضين جزافاً من غير نظر في ترجيحه على الآخر»^(١).

كما يجب أن لا يكون الباحث من المتكلفين في التقدير والتأويل، بل يجتهد في الحمل على القواعد النحوية المتعارف عليها، أو على ما وافق ظاهرة القواعد النحوية المشهورة.

فمن رام الترجيح فعليه أن يُعَوَّل على ما عَوَّل عليه أبو حيان التوحيدي، إذ قال: «والترجيح بين القولين^(٢) يذكر في علم النحو»^(٣)، وقال: «.. وترجيح ما ينبغي أن يرجح مذكور في علم النحو»^(٤)، وأحياناً يقول: «وهذه تخارج من لم يتحقق منها بشيء من علم النحو»^(٥). هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن رأي من لم تكن قدمه راسخة في علم النحو غير مفروض، بل مردود مرفوض.

يقول أبو حيان: «وأجاز بعض النحويين أن تكون الإضافة على تقدير «في» كما يفهمه ظاهر كلام الزمخشري، وهو مذهب مردود في علم النحو»^(٦)، ومن ثم فإني لا أذهب ألبتة مع من يرى أن المجتهد في الشرع لا يضره عدم رسوخه في النحو^(٧).

(١) الموافقات ١٢٢/٤، توجيه النظر إلى أصول الأثر ٥٢٦/١.

(٢) وفي موضع آخر يقول: «والترجيح بين المذهبين يذكر في علم النحو». تفسير البحر المحيط ٣٤٢/١، ٤٠٣، ٥٠٣، ٤٩١/٤، ٢١/٧، ٢٨٥، ٤٤٨/٨، ومرة يقول: «والترجيح بين المذهبين يذكر في علم التصريف». ٢٩٧/٢، وفي موضع آخر: «والترجيح بين القولين هو مذكور في علم النحو» تفسير البحر المحيط ٤٨٢/١، ٤٩٩/١.

(٣) تفسير البحر المحيط ٣٣١/١، ٤٨٢، ١١٦/٧.

(٤) السابق ٤٧/٦، ٤٨.

(٥) السابق نفسه ٣٦١/٣، ويقول: «والترجيح بين هذه الأوجه مذكور في علم النحو». ٤١٦/٣.

(٦) تفسير البحر المحيط ٣٨٩/٤. وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ سورة الأعراف، الآية رقم: ١٤٧.

(٧) انظر: المستصفي ص ٣٤٥، روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، ت: ٦٢٠هـ، جامعة

وقد كان لهذا الترجيح بين الوجوه الإعرابية في النص القرآني طرقاً معروفة، وتخذ أئمة المعربين لذلك أدوات تتواءم مع طبيعة النص القرآني، وكان التناسل حاضراً كأحد هذه الأدوات وبشكل متكرر.

ومن الأمثلة التي أسوقها تدليلاً على ذلك ما يلي:

١ - صيغة (فعل) بمعنى مفعول بين التذكير والتأنيث:

يقول الله - تقدست أسماؤه: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(١)، وفي آية المدثر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢).

الظاهر أن «رهين» مذكر؛ لكون «أمرئ» مذكراً، وكذلك «رهينة» مؤنثة، لكون «نفس» مؤنثة، هذا هو الظاهر، ولكن للزمخشري كلاماً جيداً في ذلك ملخصه أن «رهينة» ليست بتأنيث «رهين»؛ لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة لقليل: رهين؛ لأنّ فعلاً بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كالشئمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن^(٣).

ثم استشهد الزمخشري ببيت من الحماسة على ذلك، وهو قول الشاعر^(٤):

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٍ كُؤَيْكِبٍ * رَهِيْنَةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ^(٥)

الإمام محمد بن سعود، الرياض-١٣٩٩هـ، ط٢، تحقيق:د/عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ص٣٥٤.

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) سورة المدثر، الآية ٣٨.

(٣) الكشاف ٢٣٩/٤.

(٤) هو «عبد الرحمن بن زياد أخو زيادة بن زيد العذري يقول في قتل أخيه زيادة وقد عرضت عليه الدية».

انظر: تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم الشافعي، ت٥٧١هـ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق:

محب الدين العمري ٣٧٣/٣٤، الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن البصري الوفاة: ٦٥٩هـ،

عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد ٢١٧/١.

(٥) من بحر الطويل. انظره في: البيان والتبيين ص٥٠٩، الأغاني، دار الفكر ١١٥/٥.

«كأنه قال: رهن رمس . والمعنى: كل نفس رهنٌ بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿إِلَّا أَصْحَابَ اللَّيْمِينَ﴾؛ فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم»^(١).

وينقل ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) عن ابن الخطيب وجها آخر «وهو أن يكون الرهينُ فَعِيلًا بِمَعْنَى الْفَاعِلِ؛ فيكون المعنى: كل امرئ بما كسب رهن؛ أي دائم، إن أحسن ففي الجنة مؤبداً»^(٢).

ويورد أبو السعود (٩٥١ هـ) ملخصاً للتوجيهات السالفة، ويرجح وجها على آخر؛ لمناسبة المقام، فيقول: «قيل: هو «فَعِيلٌ» بمعنى مفعول. والمعنى كل امرئ مرهون عند الله -تعالى- بالعمل الصالح، فإن عمله فكه وإلا أهلكه. وقيل: بِمَعْنَى الْفَاعِلِ. والمعنى كل امرئ بما كسب رهن؛ أي دائم ثابت. وهذا أنسب بالمقام؛ فإن الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله، ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء؛ فالجملة تعليل لما قبلها»^(٣).

ومن قبل أبي السعود نجد أبا حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) يورد آراءً، ويرجح هو -أيضاً- وجهاً من تلك الوجوه، ف«الهاء في رهينة للمبالغة . وقيل: على تأنيث اللفظ، لا على الإنسان، والذي أختره أنها مما دخلت فيه التاء، وإن كان بمعنى مفعول في الأصل كالنطيحة، ويدل على ذلك أنه لما كان خبراً عن المذكر كان بغير هاء، قال -تعالى-: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، فأنت ترى حيث كان خبراً عن المذكر أتى بغير تاء، وحيث كان خبراً عن المؤنث أتى بالتاء، كما في هذه الآية .

(١) الكشاف ٤/٦٥٥، ٦٥٦، الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ - دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ١٦/٢، التفسير الكبير ١٨٥/٣٠.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨/١٣٢.

(٣) تفسير أبي السعود ٨/١٤٩.

فأما الذي في البيت فأنث على معنى النفس»^(١).

إن أبا حيان يرجح وجهين جديدين يُضافان إلى ما قد سلف، ثم يرجح واحدا من هذين الوجهين الجديدين، وهو أنها مما دخلت فيه التاء، وإن كان بمعنى مفعول في الأصل كالنطيحة.

بيد أن الألوسيّ قد رجح ما ذهب إليه الزمخشريّ. فيقول صاحب روح المعاني: «واختير على «رهين» مع موازنته لليمين، وعدم احتياجه للتأويل؛ لأن المصدر هنا أبلغ، فهو أنسب بالمقام، فلا يلتفت للمناسبة اللفظية فيه. وقيل: الهاء في «رهينة» للمبالغة، واختار أبو حيان أنها مما غلب عليه الاسمية، كالنطيحة، وإن كانت في الأصل فعلا بمعنى مفعول، وهو وجه -أيضا- وادّعى أن التأنيث في البيت على معنى النفس»^(٢).

ذلك، وإنني لست بصدد مناقشة رأيه في اختيار أبي حيان، أو في قوله عنه: «وادّعى»، وماذا تعنيه تلك اللفظة من توهين أو تهوين.

فهذا التناصُّ بين الآيتين الكريمتين هو الذي جعل المفسرين يشحذون فهومهم، ويقدحون زناد قرائحهم وأحلامهم؛ ليفسروا لنا ذلك الانزياح الظاهريّ عن القاعدة النحوية، فقدموا لنا تأويلات كلها معتبر.

هذا، وإنني لأرجح ذلك الوجه الذي قد رجّحه أبو حيان، وأختارُهُ؛ لكونه رأياً وجيهاً لم يحتج إلى تأويل به بعض تعسف، أو يشويه شيء من تكلف. بل يُعزّده شاهد من القرآن، وهو (النطيحة)؛ حيث إنها بمعنى مفعول، وقد لحقت بها التاء.

وترجيحي اختيار أبي حيان إعمالاً للقاعدة الشهيرة: (ما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل).

(١) تفسير البحر المحيط ٢١٧/٨.

(٢) روح المعاني ١٣١/٢٩.

٢ - الترجيح الإعرابي في التناص التكاملي بين سورتي الفيل وقريش:

إن ثمة تناصاً تكاملياً بين سورتي الفيل وقريش، قد أشار إليه ابن هشام - وغيره - حيث علق ابن هشام اللام في ﴿لَا يَلْفُ﴾ بـ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ في سورة الفيل، كما ذكر أنهما في مصحف أبيّ سورة واحدة.

هذا توجيه بعض النحاة في ذلك الموضع الذي فيه شيء من التضمين العروضي^(١)، فما أقوال المفسرين فيه، وكذلك أقوال النحاة المفسرين، هل رجحوا وجها إعرابياً على آخر؛ فيكون في هذا ترجيحاً لمعنى دلاليّ على آخر.

إن قول ربنا - جلّ ثناؤه - ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾^(٢) عند الزمخشري «متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾، أمرهم أن يعبدوه؛ لأجل إيلافهم الرحلتين»^(٣)، ثم يثبت رأياً آخر له وجاهته، فهو «متعلق بما قبله؛ أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش»^(٤)، والقائلون بذلك «يعنون أن هذه السورة وإن كانت سورة مستقلة فهي ملحقة بسورة الفيل، فكما تُلحق الآية بآية نزلت قبلها، تلحق آيات هي سورة، فنتعلق بسورة نزلت قبلها»^(٥)، كما ذكر الطاهر ابن عاشور مبيناً قصد القائلين بالتضمين.

(١) هو أن ترتبط قافية البيت بصدر البيت الذي يليه . وهو عيب من عيوب القافية.

(٢) سورة قريش، الآية الأولى.

(٣) الكشاف ٩٢/٤.

(٤) السابق ٩٢/٤.

(٥) تفسير التحرير والتنوير ٥٥٥/٣٠.

ويزيد الزمخشري ذلك التأويل بيانا بالعروج إلى مصطلحات القافية، فيقول: «وهذا بمنزلة التضمين في الشعر: وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به»^(١).

ثم يقول: «وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة، بلا فصل»^(٢)؛ فليس لعائب - إذن - القدح في ذلك المعنى، إلا أن للخليل تأويلاً أورده أبو حيان «وقال الخليل بن أحمد: تتعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾، والمعنى: لئن فعل الله بقریش هذا، ومكنهم من إلفهم هذه النعمة فليعبُدوا»^(٣)، ومن ثم دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط، على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وهي (الإيلاف).

وفي قول الزمخشري: (وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة، بلا فصل) تعضيدٌ للتأويل الأول الذي تلمسه الزركشي، وحذا حذوه، وأيدّه بقوله: «ويقع فيه التضمين، وليس بقبيح، إنما يقبح في الشعر، ومنه سورتا الفيل وقریش»^(٤).

ويبين الزمخشري المعنى وفقاً لهذا التأويل بأنه «أهلك الحبشة الذين قصدوهم؛ ليتسامع الناس بذلك؛ فيتهيّبوهم زيادة تهيب، ويحترمهم فضل احترام؛ حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم؛ فلا يجترئ أحد عليهم»^(٥)، وليس ذلك بتحكّم في التأويل، بل إن المعنى يتجه إليه، «ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما إن جعلت اللام متعلقة

(١) الكشاف ٩٢/٤.

(٢) الكشاف ٩٢/٤.

(٣) تفسير البحر المحيط ٥١٤/٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٥٩/١.

(٥) الكشاف ٩٢/٤.

بنفس (فجعلهم)، وهو قول الأخفش، أو بإضمار: فعلنا ذلك لإيلاف قريش»^(١)، كما ذكر أبو حيان.

ذلك، وإن ابن عادل الدمشقي قد ألمح إلى كل هذه التأويلات^(٢)، وجدير بالذكر أن البعض قد تناول هذه المسألة تناولاً قافوياً رائعاً^(٣)، وقد أفدت منه في هذا الطرح السالف.

٣- الترجيح بين معاني «الفاء»:

يقول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾.

بينما كنت ماضياً في بحث حول استعمالات الفاء في القرآن الكريم، وقفت طويلاً أمام الفاء هنا؛ لعلني أجد ما ترتبط به، فتحيرت بين وقوعها جواب شرط مقدر، أو تعليلية، أو جواب شرط على وجه التحديد، ثم بعد طول تأمل وجدت أن ما ترتبط به الفاء مما ذكر قبلها في سياق المقطع المبدوء بقوله - تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، فالمقطع بدأ بدفع تهمة أو إبطال شبهة موجهة إلى النبي ﷺ من أنه شاعر، وأن القرآن الذي أتى به هو نوع من الشعر.

فنرى في الآيتين الأوليين من هذا المقطع (٦٩، ٧٠) دفاعاً عنه ﷺ وبياناً لمهمته وما جاء به، وما يترتب على الكفر بهذه الرسالة، ثم بعد ذلك في الآيات (٧١، ٧٣) التذكير بما أنعم الله به على هؤلاء المشركين المكذابين من النعم المتصلة بالأنعام، وما يقتضيه ذلك من واجب الشكر، ثم بعد ذلك في (٧٤، ٧٥) بيان موقفهم من هذه النعم، وكيف أنهم عكسوا الأمر، فبدل أن يشكروا الله - تعالى -

(١) تفسير البحر المحيط ٥١٤/٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥٠٣/٢٠.

(٣) انظر: أثر عروض الخليل وآرائه في تفسير القرآن، د/إبراهيم محمد العريني، كتاب المؤتمر السابع لقسم النحو بدار العلوم، بعنوان «عبقري العربية الخليل بن أحمد» ٢٠١٢م، ص ٨٧.

ويعظموه وحده، اتخذوا آلهة من دونه يستنصرون بها، ثم قال: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ﴾.

وبهذا التتبع السياقي عُرف وجه الارتباط بين الفاء وما قبلها، وخرج كما يلي:

يا محمد قالوا فيك ما قالوا، وافتروا عليك ما افتروا؛ فأحزنك ذلك، ولكنك حين ترى أنهم كفروا نعمتي وأنا خالقهم ومالك أمرهم، وعظموا غيري؛ أفلا يعزيك ذلك بخصوص ما افتروه عليك؟!

زد على ذلك أننا نعلم سرهم وعلانيتهم وسنحاسبهم على ذلك، فإن علمت ذلك فلا تحزن لقولهم.

ثم بعد ذلك وجدت آية في سورة الأنعام شديدة الارتباط بهذه الآية، حتى لكانها مفسرة لها، وهي قوله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(١).

نحن نعلم أن أقوالهم تُحزنك، ولكننا نقول لك: إنهم يعرفون ويعترفون بصدقك وأمانتك، وإنك لست شاعرًا ولا مجنونًا، وإنما الحامل لهم على ذلك ظلمهم لأنفسهم ولآيات الله - تعالى - قبل أن يظلموك^(٢).

(١) سورة يس، جزء من الآية ٧٦.

(٢) روي أن أبا جهل - أشد المكذبين له ﷺ قال للنبي ﷺ: «إنا لا نكذبك، ولكننا نكذب الذي جئت به». وانظر أيضًا سبب نزول آية الأنعام ٣٣.

٤ - الواو ليست للترتيب:

يقول الله -تقدّست أسماءه- في سورة البقرة: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾^(١)، وقال ﷺ في سورة الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدًا﴾^(٢)، بهذا التقديم والتأخير بين الموضعين.

قد استنتج من ذلك بعض النحاة أن الواو لا تفيد الترتيب لاختلاف موقع ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ في الآيتين^(٣).

مُخْتَم:

لقد بانَ بما قد سلف في هذا المبحث الدورُ البالغ لآلية التناسل لدى مفسري القرآن الكريم من جانب الصناعة النحوية التي اسطاع المفسرون من خلالها أن يرجحوا معنى نحويًا على آخرٍ نحويٍّ، وأن يصلوا إلى أوفق التقديرات للمحذوف في النص القرآني الفذ الذي نزل بلغة قوم يذكرون ويحذفون، ويوجزون ويُسهّبون. وبما أن القول للقولِ سلّمٌ فإنني أقول: لم يكن ذلك الدور النحوي الذي يقوم به التناسل فقط، ولكن المفسرين الأمّاجد قد طوّعوه دلاليًا في الكشف عن تفسير أي الذكر الحكيم معجميًا وتركيبيا وسياقيًا، وذلك ما يتجلى في المباحث التالية.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية ١٦١.

(٣) انظر: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، نور الدين أبي الحسن الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق

د. عبد القادر السعدي، ص ١٥٣.

المبحث الثاني: تقدير المحذوف

لا جرم أن الاجتهاد في تقدير المحذوف لا بد أن يكون موافقا لأصول علم النحو وقواعده، ولا يذهب العقل فيه كل مذهب؛ إذ إن المعاني الشرعية تضبط أيضا- الإيقاع في التقدير النحوي في الآيات القرآنية.

والمأمل لمناهج أسلافنا من مفسري القرآن ومعريه يجدها عند النظر في تقدير المحذوفات، ومحاولات الوصول إلى أوقفها؛ لاتتفك عن استحضار الآيات والمقاطع التي بينها تناص مع المطع محل النظر.

فهم بذلك يتكئون على استخدام التناص كآلية لتقدير المحذوف، وأحيانا تحديده. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- تقدير المحذوف ودلالاته في لفظة (سلام) بالنصب والرفع:

من بدائع الفن في هذا الباب قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿ (١)، فقد فرق الله ﷻ بين السلامين؛ فجعل الأول بالنصب، والثاني بالرفع، ولم يسو بينهما؛ وذلك لأن قوله: «سلامًا» بالنصب تقديره: «نُسَلِّمُ سَلَامًا»؛ أي بتقدير فعل.

وأما قوله: «سَلَامٌ» بالرفع تقديره: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»؛ أي بتقدير اسمية الجملة، ومعلوم أن الاسم أثبت من الفعل وأقوى؛ فدل على أن إبراهيم ﷺ حي الملائكة بخير من تحيتهم (٢).

(١) سورة الدَّارِيَات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) معاني الأبنية ص ١٥.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(١)، فقد جعل ربنا ﷻ ردَّ التحية خيراً منها.

ومن هنا قد تنبَّه المفسرون الكرام إلى ذلك المعنى، وذلك الترجيح النحوي الدلالي النابع من تقدير المحذوف، فقالوا: «إن إبراهيم -عليه السلام- أراد أن يرد عليهم بالأحسن؛ فأتى بالجملة الاسمية؛ فإنها أدلُّ على الدوام والاستمرار.. فلما قالوا: سلاماً قال: سلام عليكم مستمر دائم»^(٢).

ويؤكد الزمخشري على ذلك المعنى بقوله: «لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدثه»^(٣).

وفي موضع آخر يفصل الزمخشري القول في ذلك تفصيلاً، مضيفاً دلالة المبالغة في إكرام إبراهيم -عليه السلام- للملائكة، فقال: «سَلاماً مصدر سادُّ مسدَّ الفعل مستغنى به عنه . وأصله: نسلم عليكم سلاماً، وأمَّا «سَلامٌ» فمعدول به إلى الرفع على الابتداء. وخبره محذوف، معناه: عليكم سلام؛ للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيَّوه به؛ أخذاً بأدب الله -تعالى- وهذا -أيضاً- من إكرامه لهم»^(٤).

وما التفت إلى ذلك إلا قليل؛ إذ إن البعض قد أدرك العدول، ولكنه لم يسطع أن يصل إلى علة ذلك العدول، فقال: «معنى الأول «سلمت سلاماً»؛ ولذلك نصبه، والثاني «جوابه عليكم سلام»، ولذلك رفعه، ومعناهما واحد، إلا أنه خولف بينهما؛

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) التفسير الكبير ١٨٢/٢٨، بدائع الفوائد ١٥٧/٢.

(٣) الكشف ٥٢/١.

(٤) السابق ٥٢/٤.

لئلا يتوهم متوهم الحكاية»^(١).

إن التعليل السالف نابع من فقيه، قد تنبه إلى العدول، بيد أنه لم يحالفه تمام التوفيق في تعليقه، واستنباط الدلالة من ورائه، فخشية توهم الحكاية ليست ناهضةً لبيان سبب تلك المخالفة التركيبية بين التعبيرين.

ومن المفسرين من قد اكتفى بالتخريج النحوي السليم، فلم يشِرْ - ولو على استحياء - إلى مغزى ذلك العدول النحوي الذي يجليّه التقدير في الموضعين. ومن هؤلاء ابن زنجلة (ت ٤٠٣هـ)، فقد أدرك المخالفة بينهما في الإعراب، مكتفياً بذلك الإدراك، فقال: «والدليل على أن الثاني بخلاف معنى الأول أن إعرابهما مختلف، فلو كانت الثانية مخرجها مخرج الأولى نصبت، كما نصبت الأولى»^(٢).

ومن المفسرين من أدرك العدول، وذهب إلى أن الرفع أبلغ في باب الدعاء مستدلاً بآية النساء، فقال: «فإنما رفع الثاني؛ لأن الرفع في باب الدعاء أبلغ، فكأنه تحرى في باب الأدب المأمور به في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُجِّمُ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(٣)»^(٤).

إن التخريج النحوي هنا منسوقٌ فيما قد سلف من تقدير المحذوف، إلا أنه جعل المعنى في الجملة الاسمية معنًى إنشائياً، لا خبرياً، وهو مقبول، غير منكور.

وأختتم المسألة بهذه المقارنة البارعة من الفخر الرازي بين الآيات المتناصّة، إذ يطرح سؤالاً، ويجيب عنه، فيقول: «ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿سَلَّمَا سَلَّمَا﴾

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، (ت ٣٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت -

١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ٣٧٨/٤.

(٢) حجة القراءات، ابن زنجلة، ت ٤٠٣هـ، ص ٣٤٦.

(٣) سورة النساء، جزء من الآية: ٨٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الوفاة: ٥٠٢هـ، دار المعرفة، لبنان، تحقيق:

محمد سيد كيلاني، ص ٢٤٠.

بنصبهما، وبين قوله -تعالى: ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ قلنا: قد ذكرنا هناك أن قوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ أتم وأبلغ من قولهم: (سلاماً عليك)، فأبراهيم -عليه السلام- أراد أن يتفضل عليهم بالذكر، ويجيبهم بأحسن ما حيوا، وأما هنا فلا يتفضل أحد من أهل الجنة على الآخر مثل التفضل في تلك السورة، إذ هم من جنس واحد، وهم المؤمنون، ولا ينسب أحد إلى أحد تقصيراً^(١).

وتلك حسنة للرازي يزيد الله له فيها حسناً، ولفتة راشدة مستوحاة من التناص، ومن التخريج النحوي المنبثق من تقدير المحذوف، ومن استنباط المعنى النحوي الدلالي المبني على ذلك التقدير للمحذوف، وعلى هذا الترجيح.

٢ - دلالة تقدير المحذوف في آيتي الإسراء ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾:

يقول الله - تقدست أسماؤه: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾^(٢)، والمقصود بوعد الآخرة «عيسى بن مريم، يخرجون معه»^(٣).

ثمة من ربط ربطاً تكاملياً بين هذه الآية التي هي في أواخر سورة الإسراء - بني إسرائيل - وبين آية أخرى في مطلع السورة عنيها، بينهما تشابه لفظي، وهي قوله -عليه السلام: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئُوا وُجُوهَكُمْ ﴾^(٤)، والمعنى «بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم؛ فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه في أشباه لما ذكرنا كثيرة، يُتَعَبُّ إحصاؤها»^(٥).

(١) التفسير الكبير ٥٢/٢٩.

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية: ١٠٤.

(٣) تفسير الطبري ٨٨/٩.

(٤) سورة الإسراء، جزء من الآية: ٧.

(٥) تفسير الطبري ١٤٦/١١.

والحذف مستحسنٌ، كما ذكر ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠ هـ): «وانما حُسِّنَ هذا الحذف، لدلالة ما تقدّم عليه»^(١).

ويُزيد ابن جرير المعنى وضوحاً بقوله: «فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرّتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض، ﴿لَيْسَتُوءُ وُجُوهَكُمْ﴾ يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم؛ فيقبّحها»^(٢).

إن المتدبر لظاهر الآيتين ليجدُ تكاملاً نحوياً سارياً على الوجه التالي:

في آية المطلع لم يذكر جواب الشرط لـ«إذا»، وقد ذُكر في آية المُختتم، وقد أشار إلى ذلك الطبري، على اختلاف تأويل الفاعل في الآية «فمن وجّه تأويل ذلك إلى (ليسوء مجيء الوعد وجوهكم) جعل جواب قوله: «فإذا» محذوفاً، وقد استغني بما ظهر عنه، وذلك المحذوف (جاء)، فيكون الكلام تأويله (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء)»^(٣).

ثم يقول: «ومن وجّه تأويله إلى ليسوء الله وجوهكم كان -أيضاً- في الكلام محذوف، قد استغني هنا عنه بما قد ظهر منه، غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء»، فيكون معنى الكلام حينئذ: «فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم»، فيكون المضمّر «بعثناهم»، وذلك جواب «إذا» حينئذ، وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين «لنسوء وجوهكم»، على وجه الخبر من الله -تبارك وتعالى اسمه- عن نفسه»^(٤).

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢١٤/١٢.

(٢) السابق ١٤٦/١١.

(٣) تفسير الطبري ٣٢/١٥.

(٤) السابق ٣٢/١٥.

ثم يذكر المقصود بوعد الآخرة: «وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى»^(١)، وإن كان ثمة تأويلات مباينة لهذا التفسير.

وعلى أية حال، فإما أن نعلق قوله تعالى: ﴿لِسَعْوَأُ﴾ بقوله: ﴿جَنَابِكُمْ لَفِيْفًا﴾ لَيْسُوْؤُوا كلاً من قوم فرعون وبني إسرائيل، وإما على الفهم التكاملي المشار إليه فإن الضمير يعود إلى بني إسرائيل وحدهم في الآيتين.

هذا، ويمكن هنا الإشارة إلى آية الأعراف: ﴿وَقَطَّعَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾^(٢)، أي بين إسرائيل، وهذا مناسب للإتيان بهم لفيفاً بعد تقطيعهم في الأرض أُمَّمًا، وإلى آية أخرى في الأعراف -أيضاً: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(٣)، فإنه -أيضاً - مناسب لقوله: ﴿لِسَعْوَأُ وَجُوهَكُمْ﴾. والله - ﷻ - أعلم بأسرار تنزيله.

(١) السابق نفسه ٣٢/١٥.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية: ١٦٧.

٣- بَيْنَ النَّذَارَةِ وَالْبِشَارَةِ:

إنَّ بين «تخويفٍ وتهديدٍ للكافرين. وبشارةٍ للمؤمنين المتقين»^(١) حذفاً وتقديراً وتكراراً، يقول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾^(٢)، فقلوه: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ﴾ يتعالق مع الآية الرابعة من السورة نفسها: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾^(٣).

نجد في قوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾ أن المفعول به «المُنذَرِينَ» محذوفٌ، وبعد آية من ذلك نجده مثبتاً، وهو ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، ثم إنه في الآية الأولى قد بيَّن ما به الإنذار دون الثانية.

ولقد تنبه إلى هذا المفسرون، ولكن الذي لم ينتبه إليه إلا قليلٌ، أو لم يذكره أن ما في قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يمكن جعله من قبيل عطف الخاص على العام الذي في قوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ﴾، وهم الكفار عموماً، بدليل مقابلهما: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم إنه خص الإنذار بالبأس الشديد من بينهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾؛ تنديداً بهذا النوع من الكفر، وبياناً لشدة قبحه، ولا سيما أنه صادر عنهم بلا تفكير، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(٤).

(١) أضواء البيان ٣/١٩٥.

(٢) سورة الكهف، الآيتان الأولىان.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥.

من المفسرين الذين قد أشاروا إلى مثل ما قد سلف أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)؛ فإنه أشار إلى **المحذوف المقدر**، فقال: «والتقدير: لينذركم بأسًا؛ أي عذابًا من عنده، ﴿وَيُنذِرَ﴾ عَطَفَ عَلَيْهِ ﴿الَّذِينَ﴾ مفعولاً، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصب على البيان؛ أي كبرت مقالتهم: ﴿أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كلمة من الكلام»^(١).

وببيانٍ أشدَّ يذكر الفخر الرازي أن «(أُنذِرَ) متعدٍ إلى مفعولين، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾^(٢)، إلا أنه اقتصر -ههنا- على أحدهما، وأصله: (لِيُنذِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَسًا شَدِيدًا)، كما قال في ضده: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ثم يبين الرازي المغزى من وراء عادة القرآن في عطف الخاص على العام، بتحليل دلاليٍّ رائعٍ دالٍّ على القدرة التأويلية النافذة التي يتمتع بها بعض المفسرين دون بعض، فيغوصون في أعماق النص القرآني، فيستخرجون لنا لآلئَه ونفائسَه.

يقول منبّهًا: «اعلم أن قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيُنذِرَ بِأَسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾، والمعطوف يجب كونه مغايرًا للمعطوف عليه، فالأول عامٌّ في حق كل من استحق العذاب . والثاني خاصٌّ بمن أثبت لله ولدًا، وعادة القرآن جاريةٌ بأنه إذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيهًا على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكُوتِهِ وَرُسُلِهِ وَحَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾^(٤)؛ فكذا ههنا العطف يدل على أن أقبح أنواع الكفر والمعصية إثبات الولد لله تعالى»^(٥).

(١) إعراب القرآن ٤٤٧/٢.

(٢) سورة النبأ، جزء من الآية الأخيرة: ٤٠.

(٣) التفسير الكبير ٤٤٧/٢١.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية: ٩٨.

(٥) التفسير الكبير ٤٤٧/٢١.

وبمثل ذلك قال النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، إلا أنه زاد زيادة ذات دلالة لطيفة خاصة بالحذف والتكرار، فقال: «وحذف المُنذَر؛ للعلم به بعمومه، ولتطهير اللسان عن ذكره؛ أي لينذر الذين كفروا عذاباً أليماً صادراً من عنده.. ثم كرر الإنذار، وذكر (المنذر)؛ لخصوصه، وحذف (المنذر به)، وهو البأس الشديد؛ لتقدم ذكره»^(١).
والبأس معناه كما ذكر صاحب روح المعاني: «هو بأس الحجاب، والبعد عن الجباب، وذلك أشد العذاب»^(٢).

ويذهب البقاعي (ت ٨٥٥هـ) مذهباً دلالياً آخر، فيرى أن الفعل «لينذر» مقصور «على المفعول الأول؛ ليعم كل من يصحُّ قبوله الإنذار، ولو تقديراً، وليفيد أن الغرض بيان المنذر به، لا المنذر»^(٣).

ويضيف ابن عاشور ملمحاً جديداً في الذكر والحذف بعد أن قرر علة حذف مفعول «أنذر» بأنه «للتعميم، أو تنزيلاً للفعل منزلة اللازم؛ لأن المقصود المنذر به، وهو البأس الشديد؛ تهويلاً له، ولتهديد المشركين المنكرين إنزال القرآن من الله»^(٤).
وذلك التحليل جارٍ على التضمين النحوي.

ثم يرى أن لتغيير الأسلوب هدفاً؛ حيث إنه لم يعطف جزاء الكافرين على جزاء المؤمنين؛ وذلك إشارة إلى «الاهتمام بجزاء المؤمنين الصالحين، وأنه الذي يبادر بالإعلام به، وأن جزاء الكافرين جدير بالإعراض عن ذكره لولا سؤال السامعين»^(٥).

ثم يتجلى ابن عاشور بتحليل راشد في موضع آخر، فيرى أن المراد بتكرار الفعل «ينذر» الإنذار المخصوص «مقابلاً ما بشر به المؤمنين . وهذا إنذار بجزاء

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٤٤٧.

(٢) روح المعاني ١٥/٢٥٨.

(٣) نظم الدرر ٤/٢٤٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٥/٢٤٩.

(٥) السابق ١١/٩٣.

خالد بن فيه وهو عذاب الآخرة، فإن جَرِيَتْ على تخصيص البأس في قوله: ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ بعذاب الدنيا - كما تقدم - كان هذا الإنذار مغايرًا لما قبله؛ وإن جريت على شمول البأس للعذابين كانت إعادة فعل «ينذر»: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ تأكيداً؛ فكان عطفه باعتبار أن لمفعوله صفةً زائدة على معنى مفعول فعل «ينذر» السابق يُعرف بها الفريق المنذرون بكلا الإنذارين، وهو يُسمى إلى المنذرين المحذوف في قوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾، ويغني عن ذكره. وهذه العلة أثارها مناسبة ذكر التبشير قبلها، وقد حذف هنا المنذر به؛ اعتماداً على مقابله المبشر به»^(١).

حَرِيٌّ بالبحث أن يَلْفَتَ إلى أن نحاتنا قد تناولوا الآية، ولم يتعرضوا لما تعرَّض له المفسرون، فذكروا شيئاً عن «لدنه»^(٢)، وأن فيها «على غير اللغة القيسية تسع لغات»^(٣).

سُنَّةٌ جاريةٌ في القرآن، كما أنها جارية لدى المفسرين الذين يفتح الله - ﷻ - لبعض - أثناء مباشرتهم النصَّ القرآني بالنحو - بفتوحات محدثةٍ مباينة لما فتح الله به لمن تقدّم . حقاً لا يخلق على كثرة الردّ.

(١) تفسير التحرير والتنوي ١٥/٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣/٦٧.

(٣) همع الهوامع ٢/٢١٩.

٤ - حذف (الباء) وإثباته:

يقول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - في سورة يونس: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، وقال ﷺ في سورة الأعراف: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

فما السر وراء حذف الباء في موضع وإثباته في آخر:

أَدْخَلَ بِهِ فِي آيَةِ يُونُسَ، وَلَمْ يَدْخُلْهُ فِي آيَةِ الْأَعْرَافِ «لِلْمُطَابَقَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا صَدَرَ الْكَلَامُ فِي آيَةِ يُونُسَ (٧٣) بِقَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ﴾ فَذَكَرَ لـ ﴿كَذَّبُوا﴾ مَفْعُولًا، وَقَيْدَهُ؛ جَاءَ بِـ ﴿كَذَّبُوا بِهِ﴾ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ مَقِيدًا، وَلَمَّا أُطْلِقَ فِي الْأَعْرَافِ، كَمَا فِي آيَةِ (٩٦): ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ وَلَمْ يَقِيدَهُ، قَالَ: بِمَا كَذَّبُوا... بِدُونِ (بِهِ) فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ»^(٣).

(١) سورة يونس، جزء من الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية: ١٠١.

(٣) الكشف ص ٥١٥.

المبحث الثالث: رفع الإبهام

كلمة سواء:

لقد بانَ بما قد سلف الدورُ البالغ لآلية التناص لدى مفسري القرآن الكريم من جانب الصناعة النحوية التي اسطاع المفسرون من خلالها أن يرجحوا معنى نحويًا على آخر، وأن يصلوا إلى أوفق التقديرات للمحذوف في النص القرآني الفذ الذي نزل بلغة قوم يذكرون ويحذفون، ويؤجزون ويسهبون، ويختصرون ويطنبون.

وبما أن القول للقول سلّم فإني أقول: لم يكن ذلك الدور النحوي الذي يقوم به التناص فقط لديهم، فإن المفسرين الأماجد قد استطاعوا أن يطوّعوه دلاليًا في الكشف عن تفسير أي الذكر الحكيم معجميًا، وأسراره التركيبية والسياقية.

وإن ذلك ليتجلى في مبحثي هذا الفصل الدلالي، وهما: «رفع الإبهام»، و«التناظر والعدول».

أما رفع الإبهام فإنه يتبدى بنصوع في المناحي التالية:

أولاً: رفع الإبهام المعجمي.

ثانياً: رفع الإبهام بين العام والخاص.

وتفصيل هذا الإجمال بما هو آت:

أولاً: رفع الإبهام المعجمي.

لا ريب أن رفع الإبهام عن الغموض الذي يلحق بعض مفردات النص القرآني وجمله؛ هو في مقدمة الأسباب الباعثة لتحرك هم العلماء لتفسير النص القرآني الكريم، ودراسته من كل وجه.

وهذا المقام يُغني فيه بعض من الأمثلة الانتقائية؛ من أجل تبين الفكرة، وتجليتها.

١ - الأرض بين السكون والخشوع:

ففي قول الله - تقدست أسماؤه: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ۖ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾^(١)، نجد كلمة ﴿ هَامِدَةً ﴾ بمعنى «يابسة» دراسة الآثار من النبات والزرع»^(٢) قد جاءت في سياق الموت والسكون ثم البعث والإحياء والإخراج، فجاء إثرها قوله: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ۖ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ ﴾؛ ليناسب النبات والإحياء والبعث والإخراج.

وفي الآية دلالة على قدرة الله - جل ثناؤه - فإن «محيي الأرض الهامدة قادر على إحياء النفوس»^(٣)، ولظهور هذه الدلالة «وكونها مشاهدة معيّنة، كررها الله في كتابه»^(٤). وذلك التكرار الذي ذكره جار الله الزمخشري يمثل ضرباً من التناص بمعناه ومضمونه.

(١) سورة الحج، من الآية: ٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١١٨/١٧، ١١٩.

(٣) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت ٤٦٢هـ - دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢١هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ٤٢/٢.

(٤) الكشاف ١٤٦/٣.

ومن ذلك التكرار قوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾^(١)، فكلية ﴿خَاشِعَةً﴾ هنا تناسب سياق العبادة والخشوع والسجود الذي جاءت فيه؛ لتتناسب حركة المشهد وجو الحركة في السياق؛ فكل ما في السياق يتحرك ويخضع، فلم يكن مناسباً أن تبقى الأرض وحدها ساكنة هامة^(٢).

وما ذكره سيّد - رحمه الله - إن هو إلا نَبَعَةٌ كَرِيمَةٌ ممن كان للبيان موكّلاً، وهَمْعٌ دِيمَةٌ ممن كانوا جَدُولًا، فأبو حيان التوحّدي (ت ٣٦٠هـ)^(٣) يقبس قبسة حكيمة من أثر ذلك الفهم الذي يتغنّى به مُنْظَرُو الدرس النصي في زماننا، فيقول معلقاً على هاتين الآيتين السالفتين سارداً المعاني أجمل سرّدي: «وهذا سبكٌ بديعٌ، وأسلوبٌ مُعْجَزٌ؛ ولو كانت العرب نغمت بهذه المعاني بعبارات دون عباراتها، أو حلمت بهذه العبارات بمعانٍ دون معانيها، لكنا نقف ونترجّح، ونرتاب ونضطرب..»^(٤).

ومما تكرر في الآيتين السابقتين ﴿أَهْرَّتْ وَرَبَّتْ﴾، والاهتزاز هو «الحركة على سرور؛ فلا يكاد يقال: اهتز فلان لكيت وكيته، إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع»^(٥)، فيهتز مستبشراً.

ذلك، وقد تُنَوَّلَت الآيتان بكثرة في كتب الملل والنحل، ولكني أختم بقول ابن تيمية: «وفي هذا الكلام العزيز من أنواع الاعتبار ما لا يحتمله هذا المكان»^(٦).

(١) سورة فُصِّلَتْ، من الآيتين: ٣٧-٣٩.

(٢) ينظر الفكرة في: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب ص ١١٧، ١١٨.

(٣) هو غير محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ) صاحب تفسير البحر المحيط.

(٤) أخلاق الوزيرين صاحب بن عباد وابن العميد، لأبي حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي التوحّدي، ت ٣٦٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل المنصور، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ٢٢٨/٢٣.

(٦) درة تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن تيمية، ت

فَسُبْحَانَ الْمُنْفَرِدِ بِالْقُدْرَةِ، جَلَّ صِفَةً، وَعَزَّ اسْمًا!

٢ - إقامة الله ﷻ الحجة على خلقه بإرسال الرسل.

إن الله ﷻ قَدْ هَدَى بِكِتَابِهِ، ثُمَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ؛ ﴿لَيْتَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١).

وقد بين ربنا -جل ثناؤه- هذه الحجة التي يمكن أن يحتجوا بها عليه- سبحانه- بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾^(٢)، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾^(٣).

ومن ثم فإن الله قد بين، وأعذر، وأنذر، فأرسل بالبيان وما يرضى به من المقال والفعال الأمانة من رسله؛ «فقطع بهم العذر، وأزاح بهم العلل»^(٤)، إعدارا منه بذلك إليهم؛ لتكون لله الحجة البالغة عليهم، وعلى جميع خلقه.

فلا حجة لأحد على الله ﷻ.

هذا التكامل التوضيحي بين آية النساء (حُجَّةٌ)، وآيتي طه والقصاص اللتين وضحتا المقصود بتلك الحجة- قد أدركه مفسرون موقفون، كالطبري من الأولين^(٥)، والشنقيطي - رحمه الله- من الآخرين^(٦).

٧٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن ٣٧٨/٧.

(١) سورة النساء، من الآية: ١٦٥.

(٢) سورة طه، من الآية: ١٣٤.

(٣) سورة القصاص، من الآية: ٤٧.

(٤) فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، ت ٢٤٣هـ- دار الكندي، دار

الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي، ص ٢٦٥.

(٥) تفسير الطبري ٣٠/٦.

(٦) الأضواء ٦٠١/٤.

٣ - عَمَلُ كُفَّارِ الْجِنِّ لِسُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ.

في قول الله ﷻ **عَنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾** (١)،
 فقوله: **﴿دُونَ ذَلِكَ﴾** بمعنى «سوى» (٢)، وفيه إبهامٌ بَيْنَ يَكْتَفِ اللَّفْظَةَ، يُزِيلُهُ
 ويوضحه ما جاء من ذكره البنيان في قوله ﷻ: **﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾** (٣)،
 وكذلك قوله ﷻ مجملاً: **﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾** (٤)، ثم يفصل
 المجل، ويزيل إبهامه في الآية التي تليها من السورة عينيها: **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
 مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾** (٥)، وكلها «غير الغياصة» (٦)، التي
 يتجاوزونها «إلى أعمالٍ أُخَرَ، كبناء المدن والقصور، واختراع الصنائع الغريبة» (٧)،
 من مثل «اتخاذ النورة» (٨)، والقوارير، والصابون (٩).

٤ - خَبَائِثُ قَرْيَةِ سَدُومٍ قَوْمِ لُوطٍ.

قال - **جَلَّ مِنْ قَائِلٍ - عَنْ نَبِيِّهِ لُوطٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي**

(١) سورة الأنبياء، من الآية: ٨٢.

(٢) هو رأي الفراء. تفسير القرطبي ١٨٠/٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٧.

(٤) سورة سبأ، من الآية: ١٢.

(٥) سورة الأنبياء، من الآية: ٧٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ت ١٥٠ هـ - دار

الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد ٣٦٦/٢.

(٧) تفسير البيضاوي، ت ٦٨٥ هـ، دار الفكر، بيروت، ١٠٤/٤.

(٨) نوع من الدهانات الفارسية التي تُطلى بها الجدران.

(٩) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي

الشهير بالخازن، ت ٧٢٥ هـ - دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٩٧٩م، ٣٠٧/٤.

كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ﴿١﴾.

معلوم أن «المراد أهل القرية؛ لأنهم هم الذين يعملون الخبائث دون نفس القرية»^(٢)، وذلك «على حذف المضاف وإقامتها مقامه»^(٣)، ولم تكن قرية واحدة، وإنما كانت سبعا «عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة»^(٤).

ولفظة ﴿الْخَبِيثَ﴾ مبهمة، يمحو إبهامها ويزيلُه ذلك التناصُّ من قصة نبي الله لوط في سورة العنكبوت: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيِّنْكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴿٥﴾﴾.

تلك الخبائث هي «إتيانهم الذكور، والتضارط في الأندية»^(٦)، وحذف المارة بالحصي^(٧)، مع أشياء أُخَرَ كانوا يعملونها من المنكرات^(٨)، وفي ذرو سنام منكراتهم»، «ومن أعظم خبائثهم: تكذيب نبي الله لوط وتهديدهم له بالإخراج من

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ١٦٧/٢٢.

(٣) تفسير البيضاوي ١٠١/٤.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، اسم المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الوفاة: ٨٥٥هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ٩٨/٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٦) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ت ٤٨٩هـ - دار الوطن - الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ٣٩٣/٣.

(٧) تفسير النسفي ٨٧/٣، تفسير القرطبي ٣٠٦/١١.

(٨) تفسير البغوي، البغوي، ت ٥١٦هـ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ٢٥٢/٣.

الوطن»^(١).

ورغم أن المفسرين قد بينوا معنى ﴿الْخَبِيثَ﴾ فإنَّ البحثَ لَحَرِيٍّ به هنا أن يَأْفِتَ إلى أن استعمال لفظ ﴿الْخَبِيثَ﴾ فيما سبق بإطلاق يساهم في بيان أنه لا يشترط ما اشترطه البعض في ثبوت وصف «الخبث» من وجود نصٍّ شرعيٍّ يصفه بالخبث بعينه، وإنما المعوَّل عليه هو العُزْفُ الجاري.

ومن ثمَّ قد جاءت لفظة الألو سي الراشدة: «والجمع باعتبار تعدد المواد، وقيل: المراد الأعمال الخبيثة مطلقاً»^(٢).

٦ - مفاتيحُ الغيبِ، كُنْهها وطبيعتها.

قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٣)، قد بيَّنه النبي ﷺ بالقرآن من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٤)؛ أي «عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره»^(٥).

فتمَّةً تكاملُ دلالي تفسيري بين الآيتين؛ أي أن آية لقمان قد بيَّنتُ ووضَّحت المراد من مفاتيح الغيب في آية الأنعام، ولقد بنى ابن عمر رضي الله عنهما على ذلك قوله: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ، ثم قرأ الآية».

(١) أضواء البيان ١٦٨/٤.

(٢) روح المعاني ٧٢/١٧.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٥٩.

(٤) سورة لقمان، من الآية: ٣٤.

(٥) تفسير التحرير والتنوير ٢٧١/٧.

والحديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ عن ابن عمر، ومروي في البخاري^(١).
 هناك من شكك في الحديث؛ متعللاً بأن «مفاتيح الغيب لا تتحصر في هذه
 الخمسة، كما أن جملة ﴿وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ﴾ في الآية لا تعني أنه لا يعلم وقت نزول
 الغيث إلا الله - تعالى»^(٢).

وقد أشار بعض المفسرين إلى أن المراد بالمفاتيح الخزائن؛ تنبيهها منه إلى عدم
 انحصار الغيب في هذه الخمسة؛ وذلك على وجه الإحاطة والشمول كلياً وجزئياً، ولا
 ينافيه إطلاعُ الله من ارتضى من رسله على بعض أخبار الغيب.

من هؤلاء صاحب روح المعاني؛ إذ قال ما مُلَخَّصُهُ: «ولعل الحمل على
 الاستغراق أولى، وما في الأخبار يُحمل على بيان البعض المهم، لا على دعوى
 الحصر؛ إذ لا شبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه أيضاً إلا الله -
 تعالى»^(٣).

وأقول هنا: إن تدبّر بقية آية الأنعام: ﴿مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
 يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وما ذكرته من
 مشمولات علمه - سبحانه - يدل دلالة واضحة على عدم انحصار علم الله في هذه
 الخمسة، وإنما الذي في الحديث هو مجرد التفسير لهذه المفاتيح والحصر كذلك ليس
 للخمسة.

(١) حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن بن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن
 رسول الله ﷺ قال: (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ (خَمْسٌ) ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. صحيح البخاري ١٦٩٣/٤، في
 مسند أحمد، ١٢٢/٢.

(٢) التفسير الحديث ٨/٥.

(٣) روح المعاني ١٧١/٧.

٧- تعليم داود صنعة لبوس لقومه.

من قبيل التناص الذي من شأنه أن يرفع إبهام قوله عز من قائل: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾^(١).
فما تلكم الصنعة؟ وما هذا اللبوس؟

فيأتي الإيضاح بقوله عز من قائل: ﴿وَسَرَّيِلَ تَقِيكُمْ بِأْسِكُمْ﴾^(٢).

ففي آية النحل هذه بعض توضيح لآية الأنبياء، إذ «تطلق اللبوس.. على كل ما يلبس»^(٣)، ومنه الثياب، ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي بيهس الفزاري^(٤) من الرجز، وقد صار مثلاً^(٥):

الْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا^(٦)

(١) سورة الأنبياء، جزء من الآية: ٨٠.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية: ٨١.

(٣) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التميمي الحنبلي، ت ١٢٢٥هـ، ٥٦٢/٤، أضواء البيان ٢٣٣/٤.

(٤) بيهس بن هلال بن خلف بن حجمة بن غراب بن ظالم بن فزارة، الملقب بالنعامة لطول رجله، وكان على هوجه شاعراً مجيداً. وهو القائل: مكره أذاك لا بطل، وغيره من الأمثال، في قصة كانت له مع أشجع، التي قتلت إخوة كانت له سبعة، فألح عليهم، حتى أدرك ثأره.

(٥) قاله بيهس حين شق قميصه، فغطى به رأسه، وكشف استه بعد قتل إخوته، وإنما أراد أنه افتضح بقتلهم، وأنه إن لم يثأر لهم فهو كالمقنع رأسه واسته مكشوفة، يضرب في تلقى كل حال بما يليق بها، والمعنى أنه فعل ذلك بمحضر من معاريف قاتلي إخوته؛ ليلبغهم أنه مجنون، ما به طلب الثأر؛ فيقع الأمن منه. ينظر: المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط ٢، ٣٠٤/١.

(٦) العين ٢٦٢/٧، أمثال العرب، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، ت ١٦٨هـ، ص ١١١، نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، ت ٤٢١هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ ١٥٨/٦، الكشف ١٣٠/٣.

ثم تأتي آيتا سورة سبأ؛ لتزيد الأمر تبييناً وإيضاحاً: ﴿وَلَقَدْءَايْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴿١﴾؛ فذكرُ الحديد ساهم في البيان، بمعنى بيان أنها سراويل تلبس للوقاية في أثناء الحرب. ومن ذلك قول أبي كبير الهذلي (٢) واصفاً رمحاً (٣):

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَيْسِ كَأَنَّهُ * رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلٍ (٤)

فاللبوس هو «الدرع، يكون واحداً وجمعاً» (٥)، وهو بمعنى اسم المفعول، أي «الملبوس، كالحلوب، والركوب» (٦) والرسول، أو هو «السلاح كله، درعا كان، أو جوشنا، أو سيفاً، أو رمحاً» (٧).

ثم تجيء «أن» التفسيرية: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾؛ لتبين أن عمَلَ السابغات ينتج عن إلانة الحديد، ثم يأتي قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾؛ أي النسج يكمل المعنى؛ إذ التقدير في السرد يعني جعل الحلق والمسامير بأقدار متناسية.

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) أبو كبير الهذلي، عامر بن الحليس الهذلي أبو كبير بن السهلي الهذلي. من المخضرمين، شاعر فحل، من شعراء الحماسة قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي ﷺ ويروى أنه تزوج أم تأبط شراً، وكان غلاماً صغيراً، وله معه خبر طريف ورد في خزانة الأدب. له أربع قصائد بمائة بيت وأربعة.

(٣) من بحر الكامل.

(٤) جمهرة اللغة ٤٨٧/١، المحكم والمحيط الأعظم ٨ / ٥٦٢.

(٥) غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، ت ٣٣٠هـ، دار قنتية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ص ٤٠٣.

(٦) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ت ٤٢٧هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي ٢٨٦/٦.

(٧) تفسير الطبري ٥٤/١٧، مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ت ٢٠٩هـ، ص ٨٠.

كل ذلك يأتي -أيضا- توضيحا مفصلاً لما ورد في قوله -تعالى- عن داود عليه السلام إثر قصة طالوت وجالوت: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾^(١)؛ يعني «علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد»^(٢).

وجدير بالذكر أن هذا اللبوس، وتلكم الصفائح «أول من سردها وحلقها داود»^(٣).

٨- الحسنة بعشر أمثالها.

ففي قول الله -تقدّست أسماؤه- في أواخر سورة الأنعام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤).

وقال -عزّ من قائل- في أواخر سورة النمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(٥) ٨٩ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾.

وقال الله -جل ثناؤه- في أواخر سورة القصص: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦).

إنا لو اجدون أن آية الأنعام قد أوضحت الإبهام الذي في آيتي النمل والقصص من قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾، ولكن آية النمل قد أضافت جزاءً حسناً آخر غير

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٥١.

(٢) تفسير الطبري ٦٣٢/٢.

(٣) كتاب الأوائل، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني، ت ٣١٨هـ، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، ص ٦٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة النمل، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٤.

مضاعفة الأجر عشرَ مراتٍ، وهو الأمن من الفرع يومَ نلقاهُ، يوم ينظر المرءُ ما قَدَّمَتْ يداه.

ثم إن قوله ﷻ في آيتي النمل والقصص: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يبين ما في آية الأنعام: ﴿ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

٩ - الأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ بَيْنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِئْتِلَافِ؟

ثمة مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، بَيْنَ مَا هُوَ مَصُورٌ وَغَيْرَ مَصُورٍ، وَبَيْنَ مَا هُوَ مَنْحُوتٌ مِنَ الْحِجَارَةِ وَمَا هُوَ مَصْنُوعٌ مِنْ غَيْرِ الْحِجَارَةِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ:

أَكَلْتُ حَنِيفَةً رَبَّهَا * * زَمَنَ التَّقَحُّمِ وَالْمَجَاعَةِ
لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ * * سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ^(١)
جاعوا، فأكلوه؛ إذ كان من التمر^(٢).

ونجد المعجميين يُعرِّفون الوثن بالصنم، والصنم بالوثن، ثم يتبعون التعريف في الموضوعين بأقوال من يفرِّقون بينهما^(٣).

وإذا أنعمنا النظر في القرآن المجيد ودققناه نجد أن الكلمتين مترادفتان، ولا فرق جوهرياً بينهما.

(١) المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ - : دار المعارف - القاهرة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، ص ٦٢١، تفسير السمعاني ١٧٣/٤، «والتَّبَاعَاتُ التَّبَاعَاتُ: مَا فِيهِ إِثْمٌ يُتَّبَعُ بِهِ». ينظر: تاج العروس ٣٧٣/٢٠.

(٢) كان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إليها من حيس، وهو الأقط والسمن والتمر، فعبدوه دهرًا طويلًا، ثم أصابتهم مجاعة؛ فأكلوه؛ فَعُيِّرُوا بِذَلِكَ. لسان العرب ٢٧/٨، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٦١/١.

(٣) لسان العرب، ص ٤٤٢، حرف النون، ص ٣٤٩ حرم الميم.

ومن الأمثلة على ذلك قوله -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾^(١)، فقد سُمِّيَتْ هنا تماثيل، وفي موضع تالٍ من السورة عَيْنَهَا سَمَاهَا أصنامًا، فقال -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾^(٢).

وفي سورة الشعراء قال -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾^(٣)، وفي سورة العنكبوت قال -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾^(٤)، وفي الصافات قال -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾^(٥).

يُلاحظ أن الخطاب في الآيات كُلِّهَا جاء على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه، حيث سَمَّى معبوداتهم تماثيل، وأوثانًا، وأصنامًا، ثم أطلق على الجميع صفة النحت، وهو يكون فيما له جسم، وتسميتها تماثيل يعني أن لها صورة.

ومن ذلك أَخْلَصُ إِلَى أَنْ كُلَّ جِسْمٍ -مصور أو غير مصور- عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَلَى بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ، يُمَكِّنُ أَنْ يُسَمَّى وَثْنًا أَوْ صِنْمًا، وَلَا يَتَرْتَبِ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا نَتِيجَةٌ.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ»^(٦).

مع عدم وجود جسم أصلاً ظاهر على وجه الأرض غير تراب القبر، وكان الجاهليُّ يلتقط من الأرض حجراً، ويمارس الشعائر التعبدية له.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧١.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٩٥.

(٦) عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ،

اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله

الأصبحي، ت ١٧٩هـ، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ١/١٧٢.

والنبي ﷺ قال لعدي بن حاتم وقد رأى على صدره صليباً من ذهبٍ: «يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك»^(١).

١٠ - حَسَنَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا.

وبما أن المثال السالف عن إبراهيم عليه السلام فإني اختم تلك المسألة بهذا المثال -أيضاً- عن إبراهيم عليه السلام فقد قال الله -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عنه في سورة العنكبوت: ﴿وَأَتَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾^(٢)، وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾^(٣). وفي سورة الشعراء بيان لتلكم الحسنة النبوية، فقال ﷺ: ﴿وَأَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤)؛ أي «ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلاً باقياً على الأيام»^(٥) من جميع أهل الملل، ولاسيما ملّة الإسلام؛ إذ اقترن ذكره مع ذكر محمد ﷺ في كل صلاة، حيث تختم كل صلاة بالصلاة والسلام عليه، والدعاء له بالبركة، وعلى آله، مقترنةً بالصلاة والسلام والبركة على محمد ﷺ.

(١) عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب وقال لي: «يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك...». انظره في: المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، ت ٤٥٨هـ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٢١٠، التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي ١٠٦/٧، تفسير الطبري ١٠/١١٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٢.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٥) تفسير الطبري ١٤/١٩٢.

قاله غير واحد من المفسرين العظام، فقال الماوردي: «إنها تنويه الله بذكره في الدنيا؛ بطاعته لربه»^(١)، حتى أنه «ليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه»^(٢).

وبعد، تلك عشرة كاملة من الأمثلة، وهي غيض من فيض، وقليل من كثير من النماذج الانتقائية التي سقّتها بين يدي هذه الفكرة تبياناً لها، واستجلاءً وليس استقراءً لذلك الجانب من رفع إبهام اللفظة المفردة، بالاتكاء على منسأة التناص، تلك الآلية الإبداعية التوليدية الإنتاجية.

وفي إطار الإيضاح والبيان وإزالة الالتباس، ورفع الإبهام الذي يقوم به التناص في القرآن المجيد يأتي المنحى الثاني المنسوق في هذه الفكرة، وهو رفع الإبهام بين العام والخاص.

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت ٤٥٠هـ،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ٢١٩/٣.

(٢) الكشاف ٦٠٠/٢.

ثانياً: رفع الإبهام بين العام والخاص.

قد تضمّن كتاب ربّنا ﷺ أخباراً عامة وخاصة، وقد أشار الجاحظ إلى أنه لا يمكن لمفسر أو مترجم أن يصل إلى الأقرب إلى مراد الله «حتّى يعلم مستقرّ العام والخاص، والمقابلات التي تلقى الأخبار العامّة المخرّج، فيجعلها خاصيّة، وحتى يعرف من الخبر ما يخصّه الخبر الذي هو أثر ممّا يخصّه الخبر الذي هو قرآن»^(١)، وحتى يعلم الناظر المطلق والمقيّد، والمجمل والمفسّر.

ولقد فصل القول في ذلك تفصيلاً علماء الأصول قديماً وحديثاً، كالجصاص والبيدوي وغيرهم^(٢)، وكذلك المناطقة والفلسفة^(٣)، وإنما نكثرت هنا بما نجده في هذا الباب من معاني ودلالات تتبثق من ثانيا التناسل عند التدبر والتأمل للآي بهذه الآلية الإبداعية في دائرة العام والخاص، والمطلق والمقيّد.

وأكتفي ببعض من الأمثلة في ذلك فيما يلي:

١ - بين «السماء» و «السموات».

من ذلك قول -جَلَّ ثَنَاهُ: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤)، وقوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا

(١) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الوفاة: ٢٥٥هـ، دار النشر: دار الجيل، لبنان، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ١/٧٧.

(٢) الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص، ت ٣٧٠ هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي ١/٣٨١، أصول البيدوي، كنز الوصول الى معرفة الأصول، علي بن محمد البيدوي الحنفي، ت ٣٨٢ هـ، مطبعة جاويد بريس، كراتشي ص ٢٩٧.

(٣) الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت ٤٧٨ هـ، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد، ص ١٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٤.

رَحِيمًا ﴿١﴾، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ ﴿٢﴾.

ففي الآية الأولى تأتي لفظة «السماء» مفردة، وفي الآية الثانية والثالثة أتت جمعاً «السموات»، فما السرُّ من وراء ذلكم؟

إن لفظة «السماء» هنا أعم من لفظة «السموات»؛ وذلك لأن «السماء» في القرآن تستعمل على معنيين، فهي إما أن تكون واحدة السماوات، كقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ ﴿٣﴾، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿٤﴾.

وإما أن تكون لكل ما علاك؛ فتشمل السماوات وغيرها، كالسحاب، والمطر، والجو وغيره، كقوله ﷻ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿٥﴾، فالسمااء هنا «يعنى المطر متتابعاً» ﴿٦﴾، وكقوله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ﴿٧﴾، فالسمااء هنا بمعنى «السحاب»، وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٨﴾، فالسمااء هنا بمعنى الجو، والمعنى أن الضالَّ عن الحق يكون صدره ضيقاً حرجاً، كأنما يصعد في الجو؛ لأن المرتفع في الجو يضيق صدره؛ لاختلال الضغط كما هو معلوم، وهذا إعجاز علمي، فضلاً

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٣) سورة الملوك، من الآية: ٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ١٤.

(٥) سورة نوح، الآية: ١١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ١٢١/٢.

(٧) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

(٨) سورة الأنعام، من الآية: ١٢٥.

عن الإعجاز اللغوي؛ لأنه أخبر بهذه الحقيقة العلمية قبل اختراع المنطادات والطائرات بدهور.

ومن ذلك -أيضاً- قوله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾^(١)، والسماء هنا بمعنى السقف^(٢)؛ أي: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً فليمدد حبلاً إلى سقف بيته، ثم ليخنق نفسه به؛ لأن محمداً منتصر لا محالة، وهذا إعجاز آخر؛ لأنه إخبار عن المستقبل، وقد تحقق ذلك.

ولا ريب أن «السماء» بهذا المعنى الثاني أعم وأشمل من «السموات»؛ لأنها تشمل السماوات وغيرها مما علا وارتفع.

وكذلك لفظ «القول» في آية الأنبياء عام يشمل السر والجر، فهو أعم من السر، ألا ترى أنك تقول: قلت في نفسي: كذا وكذا؟

وبذلك قال الزمخشري: «القول عامٌ، يشمل السر والجر، فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة؛ فكان أكد في بيان الاطلاع على نجواهم»^(٣)، وقاله كذلك الفخر الرازي^(٤).

ومن ثم فقد جاء بـ«القول» الذي هو أعم من «السر» مع «السماء» التي هي أعم من السماوات، فاستعمل العام مع العام، والخاص مع الخاص.

(١) سورة الحج، الآية: ١٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢ / ٣٧٩.

(٣) الكشاف ٣ / ١٠٤.

(٤) التفسير الكبير ٢٢ / ١٢٣.

٢ - غُفْرَانُ الذُّنُوبِ بَيْنَ الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ.

من ذلك المطلق والمقيد قوله ﷺ: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(١)، فهي آية تُعَدُّ أعظم فرجا، ولكن إنَّ أُخِذَتْ عَلَى إِطْلَاقِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ فِي إِشْكَالٍ كَبِيرٍ، مَفَادُهُ أَنَّ يَحْيَى النَّاسَ سَادِرِينَ فِي الْغِيِّ وَالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي غَيْرَ مَبَالِينِ، وَلَا هَيَّابِينَ، فَإِنَّ ذُنُوبَهُمْ مَغْفُورَةٌ كُلُّهَا، وَذَلِكَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ قَوْلِ أَحَدِ الْمَفْسُرِينَ: «وَاللَّامُ فِي «الذُّنُوبِ» لِلِاسْتِغْرَاقِ وَالْعُمُومِ، وَالذُّنُوبُ جَمْعُ ذَنْبٍ، وَجَاءَتْ «جَمِيعًا» لِلتَّأَكِيدِ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَعْفِرْ وَلَا أتركْ، أَعْفُو وَلَا أَبْقِي. وَيُقَالُ: إِنَّ كَانَتْ لَكُمْ جِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ عَمِيمَةٌ فَلِي بِشَأْنِكُمْ عِنَايَةٌ قَدِيمَةٌ»^(٢).

فإن قرأنا قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣)، فإن ذلك الإشكال يتبدد، ويزول سريعا؛ وما ذلك إلا لأن آية النساء قد قيِّدَت آية الزمَرِ النازلةَ قبلها بقيدين اثنين:

الأول: استثناء الشرك، إذا مات بدون توبة.

الثاني: تقييد المغفرة بمشيئته - سبحانه - حتى ولو لغير المشرك من أهل المعاصي الكبيرة.

وهذا التقييد قد أشار إليه الطبري بأنه لما نزلت: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، قام رجل فقال: والشرك يا نبي الله؟ فكره ذلك النبي ﷺ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾؛ أي

(١) سورة الزمَر، من الآية: ٥٣.

(٢) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، ت ٤٦٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ٣/١٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.

«أن الله غير غافرٍ الشريك لأحدٍ»^(١)، «إلا بعد توبة»^(٢).

٣- إنظارُ الله إبليسَ.

ففي قول الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ^(٣)، يطلب إبليسُ أن يمهلَه ربنا - ﷻ - يعيش إلى يوم القيامة. فهل أنظر؟

إن في ظاهر الآيتين إطلاقًا للإنظار، ولكنه مقيّدٌ في قوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ^(٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^(٤). إن إبليس قد سأل النُّظْرَةَ إلى يوم البعث، كأنه طلب بذلك أن لا يموت؛ لأنه لا موت بعد البعث، فقليل له: إلى يوم الوقت المعلوم.

يقول الفخر الرازي: «طلب الإنظار من الله - تعالى - إلى وقت البعث، وهو وقت النفخة الثانية، حين يقوم الناس لرب العالمين. ومقصوده أنه لا يذوق الموت فلم يعطه الله - تعالى - ذلك. بل قال: إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، والمراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحياء كلهم»^(٥)، أي بعد النفخة الأولى، وبذلك قال القرطبي وابن عادل الحنبلي - أيضا^(٦).

(١) تفسير الطبري ١٢٥/٥، ٢٢١.

(٢) السابق ١٧/٢٤.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٤) سورة ص، الآيات: ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٥) التفسير الكبير ٣١/١٤.

(٦) تفسير القرطبي ١٧٤/٧، الباب في علوم الكتاب ٣٦/٩.

٤ - مُوالاة الكافرين.

يقول الله -تقدّستُ أسماؤه- عن موالاة الكافرين: ﴿وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١). لا ريب أن الباحث المستحضر لما تناص مع هذه الآية من آيات يهتدي بالسياق القرآني العام إلى ربطها بآية أخرى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢)؛ حيث قد صار لازماً مراعاة الاستثناء فيها ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً﴾^(٣). يقول صاحب أضواء البيان في المعتقد: «فهذه الآية فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً وإيضاح؛ لأن محل ذلك في حالة الاختيار بقدر ما يُكتفى به شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة»^(٤)، ثم يرى أنه «من تولى الكفار عمدا اختياراً رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»^(٥).

معنى ذلك أن من تولاهم اختياراً من غير ضرورة، أو أكثر من قدر الضرورة فهو مثلهم، ولا يستفيد من الاستثناء، فعن عكرمة قال: «إلا أن تتقوا منهم تقاة، ما لم يُهْرَقَ دَمٌ مُسْلِمٍ، وما لم يُسْتَحَلَّ مَالُهُ»^(٥).

وأمتنا اليوم -في التعامل مع أعدائها- بمسيس حاجة إلى ذلك الفقه السديد، الذي يرشدنا إليه التناص، ويأخذ بنواصينا تجاهه بتقبيد المطلق، وتفسير المجمل.

٥ - فئات الأعراب من حيث الإيمان وعدمه:

يقول الله -تقدّستُ أسماؤه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

(١) سورة المائدة، من الآية: ٥١.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ٢٨.

(٣) أضواء البيان ١/٤١٣.

(٤) السابق ١/٤١٣.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٢٩.

يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿١﴾.

إن «الاستسلام في الظاهر إسلام، وليس كل من استسلم ظاهراً مخلصاً في سرّه»^(٢).

والأعراب هنا بمعنى «المنافقين»^(٣)، وقد «نزلت في أعراب من بني أسد»^(٤)، وقد «قدموا المدينة في سنة مُجْدِبَةٍ بذرايرهم، وأظهروا كلمة الشهادة، ولم يكونوا مؤمنين في السرّ»^(٥).

والآية ظاهراً شاملاً لجميع الأعراب.

وأما قوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾^(٦) ففيه ما يخالف هذا الظاهر.

فكيف يكون التوفيق بينهما؟

إن من المعلوم قطعاً أن سورة التوبة نزلت بعد الحجرات، مما يمكن أن يفهم منه كون ما في التوبة ناسخاً لما في الحجرات، ولكن يُضعف هذا أن النسخ لا يكون في الأخبار، بل في الأحكام فقط وبشروط.

والأولى أن يقال: قوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ إخبار عن واقع فريق منهم بدليل سبب نزول الآية؛ من أنهم حين نزول هذه الآية لم يكونوا مؤمنين حق الإيمان بدليل

(١) سورة الحُجْرَاتِ، من الآية: ١٤.

(٢) تفسير القشيري ٢٢٣/٣.

(٣) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، ت ٣٩٩هـ، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م،

ط١، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز ٢٦٦/٤.

(٤) تفسير الطبري ١٤١/٢٦.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، ت ٤٦٨هـ - دار القلم، الدار

الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ١٠١٩/٢.

(٦) سورة التَّوْبَةِ، من الآية: ٩٩.

إثبات الإسلام لهم، ثم إن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيدخل؛ لأن منفيها متوقع الثبوت بالنسبة إلى المستقبل.

وعدم الاختصاص في آية الحجرات قاله الفخر الرازي: «وقد بيّننا أن ذلك كالتاريخ للنزول، لا للاختصاص بهم... ثم إنه -تعالى- عند فعلهم قال: ﴿لَمْ تُوْمِنُوا﴾ بحرف ليس فيه معنى الانتظار؛ لقصور نظرهم، وفتور فكرهم، وعند فعل الإيمان قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ﴾ بحرف فيه معنى التوقع؛ لظهور قوة الإيمان، كأنه يكاد يغشي القلوب بأسرها»^(١).

ومن هنا فهم من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ﴾ أن الأعراب المذكورين لم يموتوا إلا وقد دخل الإيمان في قلوبهم، ولعل ما في التوبة يعني هؤلاء، أو يعني غيرهم ممن تابوا وحسن إسلامهم؛ كما قد يفهم من قوله -تقدّست أسماؤه: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا^(٢).

وقد تناول الزمخشري آية الحجرات تناولا بلاغيا بديعا، ثم قال: «وما في «لَمَّا» من معنى التوقُّع دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد^(٣)، وفي ذلك قد تعقّب أبو حيان - كعادته في تعقبه فيما أصاب، وفيما أخطأ^(٤).

(١) التفسير الكبير ١٢٠/٢٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٤٥، ١٤٦.

(٣) الكشاف ٣٨٠/٤.

(٤) تفسير البحر المحيط ١١٦/٨.

٦- حَبْسُ الْمَرْءِ فِي النَّارِ بِكَسْبِهِ:

يقول الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^(١)، ومن ظاهر الآية يُفهم شمولها لجميع الناس.

والمعنى أن كل «نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتبهة، لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه»^(٢)، وذلك مقام العدل من الله.

والحاصل أن ذلك الإطلاق قد قُيِّدَ بقوله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾^(٣) .

وفي ذلك يقول البغوي: «كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتبه في النار، والمؤمن لا يكون مرتبهًا؛ لقوله - عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾^(٣) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ»^(٤) . ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة»^(٤) .

وعن علي عليه السلام أنه «فسر أصحاب اليمين بالأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتبهون بها»^(٥) .

٧- الْمَحْرَمُ تَعَاطِيهِ مِنَ الدَّمِ:

لقد ورد تحريم أخذ الدم - شربه أو أكله - مطلقًا في آيات عدة منها قول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحَلْمُ الْخَنَزِيْرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَفَقَةُ

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٢٨.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ٣٨: ٤٠.

(٤) تفسير البغوي، ت ٥١٦هـ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ٤/٢٣٩.

(٥) الكشاف ٤/٦٥٦.

﴿(١)﴾.

وكذلك قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرََّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرََّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

ولكن قد ورد هذا التحريم مقيدا في قوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرََّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤)، ورد مقيدا بالمسفوح في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾.

وقد حمل العلماء المطلق على المقيد، وقد روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «لولا أن الله قال: أو دما مسفوحا لتتبع الناس ما في العروق» (٥). وذلك عن عكرمة - أيضا - بزيادة: «لولا هذه الآية لتتبع الناس ما في العروق، كما تتبعه اليهود» (٦).

ويلخص ابن العربي المسألة بقوله: «اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس، لا يؤكل، ولا ينتفع به، وقد عينه الله - تعالى - هاهنا مطلقا، وعينه في سورة الأنعام

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

(٥) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، ت ٥٤٣ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ٧٩/١.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٥.

مقيدا بالمسفوح، وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعاً^(١).

ولعل قاعدة حمل المطلق على المقيد اشتقت من هذه الآية وأمثالها.

٨- مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ:

هذه المسألة متصلة بقول الله السالف: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾^(٢).

قد ذكر قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ في آياتٍ عدَّةٍ في المسألة السالفة، ومن معانيه «ما ذكر عليه غير اسم الله»^(٣)، كما نقل عن الربيع، وابن زيد من السلف - رضي الله عنهم^(٤).

وعلى هذا المعنى يكون كل ما ذكر عند ذبحه غير اسم الله محرماً أكله، سواء كان الذابح من مشركي أهل الكتاب، أو الوثنيين.

ولكن قوله -تعالى- في سورة المائدة: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾^(٥)؛ يمكن أن يعتبر مخصّصاً لما سبق، كما يمكن أن يعتبر قوله: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ مخصّصاً لما بعده، ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ ﴾ بمعنى: أن طعام ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ حلٌّ ما لم يذكر اسم غير الله عليه، كما يصح أن يقال: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ إلا ما كان من أهل الكتاب.

ومن هنا حصل الاختلاف بين الفقهاء.

(١) أحكام القرآن ٧٩/٢.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٣) تفسير الطبري ٨٦/٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٣/١.

(٥) تفسير الطبري ٨٦/٢.

ولعل في سياق الآيات ترجيحاً للتخصيص الثاني، لأن قوله: ﴿وَطَعَامٌ﴾ جاء بعد قوله: ﴿وَمَا أَهْلٌ﴾، والمتأخر هو المخصَّصُ للمتقدم في النزول عادة، إلا إذا وجد دليل على العكس، وهنا لا يوجد دليل، وعلى ذلك يكون قد «أحل لنا ما ذبح لعيد الكنائس، وما أهدى لها من خبز أو لحم، فإنما هو طعام أهل الكتاب»^(١)، والله أعلم.

٩ - الإِشْرَاقُ بِالْجَنِّ:

قال الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

في تلك الآية الكريمة رفع للإبهام بمستوييهِ: الْمُعْجَمِي، وَالْعَامَّ وَالْخَاصَّ، وهذا الكلام «خطاب للملائكة، وتقريع للكفار، واردٌ على المثل السائر: إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ»^(٣).

المعنى العام للآيتين: «يقول -تعالى- ذكره- ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعاً، ثم نقول للملائكة هؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؛ فنتبرأ منهم؟ الملائكة قالوا: سبحانك ربنا؛ تنزيهاً لك، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد، أنت ولينا من دونهم، لا نتخذ ولياً دونك، بل كانوا يعبدون الجن»^(٤).

فقوله: ﴿يَعْبُدُونَ﴾، أي يطيعون^(٥).

(١) التكامل السياقي، عبدالوهاب أبوصفية، ص ٨٧.

(٢) سورة سَبَأُ، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٣) الكشاف ٥٩٦/٣.

(٤) تفسير الطبري ١٠٢/٢٢.

(٥) تفسير البغوي ٥٦١/٣.

وأما قوله: ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾، ففيه خروج عن الظاهر، كما ذكر الماوردي: «يعني أنهم أطاعوا الجن في عبادتنا، وصاروا بطاعتهم عابدين لهم دوننا. ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾؛ أي جميعهم بهم مؤمنون، وهذا خروج عن الظاهر»^(١).

وقد فسره الشوكاني بأنهم «أكثر المشركين بالجن مؤمنون بهم، مصدقون لهم»^(٢)، وهذا غامض؛ لأن كل المشركين بالجن مؤمنون بهم، إلا إذا أراد: أن أكثر الجن مشركون بالجن؛ ذلك أن من الجن مؤمنين كما في سورة الجن والأحقاف، وغيرهما، وفسّر الإيمان بتصديق ما يُلقونه إليهم من الأكاذيب، ومنها أمرهم بعبادة الأصنام.

ولكن ابن كثير قد فسر «الجنّ» هنا بالشياطين منهم فقط؛ من حيث إنهم زينوا لهم عبادة الأصنام، وأضلوهم^(٣)، ومن قبل قاله مقاتل بن سليمان: «﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ بل أطاعوا الشيطان في عبادتهم، ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ مصدقين بالشيطان»^(٤)، وكذلك السمرقندي^(٥).

وبهذا التفسير يزول الإشكال عن قوله: ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾؛ لأنه قد ورد في سور كثيرة أن أكثر الناس مشركون كما في قول الله - تقدّست أسماؤه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾^(٦)، والآية التي قبلها: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي ٤ / ٨٨.

(٢) فتح القدير ٤ / ٣٣١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٤٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٨.

(٥) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، ت ٣٦٧ هـ - دار

الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي ٣ / ٨٨.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، وهي بهذا التفسير صادقة على مشركي قريش والعرب،
وسائر الناس في كل زمان ومكان.

هذا، وقد أطلت في هذه المسألة، بيد أنني قد تجاوزت -أيضاً- عن كثير يمكن
أن يندرج في هذا المبحث، خشية طول الكلام، وتبدد المطلب، وبعد المرام، فحسبي
ما قلت.

(١) سورة يُوسُفَ، جُزءٌ من الآية: ١٠٣.

المبحث الرابع: التناظر والعدول

مهَاد:

إن العلاقة وثيقة والصلة قوية بين المعاني التي تجول في النفس والمظاهر التي تستجيب للحس، وإن اللغات وسائل تُعبّر بها عن معانيها النحوية والدلالية، منها ما يكون على مستوى الكلمة، كاللواصق، والجنس، والعدد، ومنها ما يكون على مستوى الجملة، كالعدول، والترتيب، والتكرار.

ومن ثم فإن للتناص نصيبا موفورا في ذلك لدي المفسرين، وإن كانوا لا يابهون بالمصطلحات فإنهم لم يكونوا مصروفين عن مضمونها، فإن مصنفاتهم مترعة بهذا الفن وتلك الآلية، فتكلموا عن وجوهه ونظائره وتأويلاته عند مباشرتهم تفسير النص القرآني الفريد، وما زادونا - بقوة فهمهم وتوفيقهم - إلا كشفًا لغامضه، وإبانة لما خفي منه، وتذليلًا لأشباهه.

ونجد أن الأصل في هذا الباب هو اطراد الصياغة القرآنية في الآيات المتناصة تركيبا وترتيبا، في عقود من لؤلؤ القول المنظوم، تحاكي كل آية نظيرتها، وتتبع ترتيبها وقاعدتها، وبهذا يكون التناظر بين كثير من آي القرآن المتناصة - بالمحاكاة في التركيب، والانضباط بالترتيب، والنسج على المنوال في التعريف والتتكير وغيرها هو الأصل، ويُعدّل عنه بقدر الاختلاف بين الأشباه.

ولتوضيح ذلك تناولته مُعَنُونًا بـ«التَّنَاطُرُ وَالْعُدُولُ»، ومن أظهر صور العدول:

أولاً: العُدُولُ التَّرْكِيبِيُّ.

ثانياً: العُدُولُ التَّرْتِيبِيُّ.

ثالثاً: التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ.

وقبل أن أشرع في التناول أجد من اللازم أن أحرّر مصطلح العدول؛ وذلك من

خلال بيان نظرة علمائنا المستقدمين في المَخَالَفَةِ النُّحَوِيَّةِ، أو ما يسمَّى حديثاً بالعدُولِ.

عِلْمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ وَالْعُدُولُ:

قد يكون من المفيد هنا أن أبين موقف بعض القدماء مما يرتكبه بعض الشعراء في شعرهم من مخالفات للنظام اللغوي، وخير ما يمثلُه ما قاله أبو الفتح بن جني في نص له كاشف فريد، يكشف فيه أن الشاعر الذي يرتكب الضرورة ليس ضعيف اللغة أو عاجزاً عن الإثبات بما ليس ضرورة، بل هو شاعر قوي الطبع، واثق بما يقول، وقد دفعه إلي ذلك إدلاله بقوته، يشبه الفارس الشجاع الذي يركب جواده بلا لجام، ويُقَدِّم على الحرب من غير أن يدُرْعَ؛ ثقة بنفسه، وبيانا لقوته، فيقول: «فمتى رأيت الشاعر ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأُصولِ بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه، وإن دلَّ من وجهٍ على جوره وتعسُّفه، فإنه من وجهٍ آخر مؤذِنٌ بصياله، وتَحْمُطِهِ -أي تكبره- وليس بقاطع دليلٍ على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته، بل مثله في ذلك عندي مثل مجرى الجُمُوح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام. فهو وإن كان ملوما في عُنفه وتهالكه فإنه مشهود له بشجاعته وفيض مُنْتَهٍ؛ ألا تراه لا يجهل أن لو تكفَّرَ في سلاحه، أو اعتصم بلجام جواده لكان أقرب إلى النجاة، وأبعد عن المَلْحَاة، لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله؛ إدلالا بقوة طبعه، ودلالة على شهامة نفسه»^(١)، ومشهود له بشرف صناعته.

وهكذا «تكون الظاهرة النحوية المخالفة دليلَ قوَّةٍ إذا جعلها السياق كذلك، وقد تكون دليلَ ضعفٍ إذا جعل منها السياق سببا لذلك»^(٢).

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م، ٣٩٢/١، ٣٩٣.

(٢) ظواهر نحوية في الشعر الحر، دراسة نصيه في شعر صلاح عبد الصبور، أ.د/ محمد حماسة عبد

قد كان النحويون يعتمدون المنع أصلاً في هذا الوجه؛ فحالوا بذلك دون كثير مما يلجأ إليه بعض الشعراء^(١)، فمع أنهم أجازوا بعض هذه الاستعمالات، فقد قالوا: «يجب أن يخرج عن دائرة الاحتجاج اللغوي؛ لأن ما يأتي لضرورة شعر، أو إقامة وزن، أو قافية - فلا حجة فيه»^(٢).

وقد كان سيبويه ينظر لهذه المخالفات على أن الشاعر قد ارتكبها لغاية معينة، وليست من باب اضطرار العاجز، إذ يقول: «وليس شيء، يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهها»^(٣).

ومن ثمّ فإنني أقول: من الأولى أن ننأى بالنص القرآني الفذ عن أن تقع فيه ضرورة، وإنما نزل بلسان عربي مبين، فيه - إن جاز التعبير - من العدول ما في لغة القوم الذين نزل إليهم بلغتهم متحدّياً، في نصوصه تكرر بديع، وعدول رفيع؛ حتى غدا ذلك - مع غيره - ملمحاً أسلوبياً خاصاً بنظمه الذي سحر الجميع، مبايناً للمديد والسريع.

وإني لألفتُ الانتباه إلى أن المقصود بالعدول في هذا المبحث ليس ذلك الانحراف عن القاعدة النحوية، كما أنه ليس تلك الخروقات النحوية التي نعتها بالضرورة التي تقدم الحديث عنها.

وإنما أقصد بالعدول - هنا - ذلك التغيرات الواقعة في الآيات المتشابهة لفظاً، واطراد الصياغة في القرآن لجمهرة الآيات المتناسقة على سبيل التناظر، مع

اللطيف، دار غريب، ط ٢٠٠١م، ص ٩.

(١) ظواهر نحوية في الشعر الحر، ص ٢٨، لم أنصّ على كلام أستاذنا الدكتور حماسة هنا لأنني أخذت الفكرة كلها منه وتصرفت فيها.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الأنباري - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٤، ١٩٥٣م، ص ٩٨، ٣٤٢.

(٣) كتاب سيبويه (طبعة بولاق) ١ / ٣٢.

العدول في بعضها إلى صيغ أخرى اقتضاها السياق؛ كاستخدام صيغة اسم الفاعل للفظّة تارة، واستخدام الفعل المضارع منها تارة أخرى؛ نظراً لأن السياق الموقفي في كل موضع يتطلب ذلك الانزياح، ويستوجبه.

أولاً: العدول التركيبي:

إن المُدققَ في الاستعمال القرآنيّ ليجدُ أن ثمة عدولاً من الاسم إلى الفعل-أو العكس- ويجد استعماله للأبنية الأخرى استعمالاً فنياً عجيّباً، ويضعها وضعاً معجزاً، فمن ذلك أنه يأتي بالفعل ثم لا يأتي بمصدره، بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، وقد يستعمل في مكان ما صيغةً، ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة، فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

(أ) العدول من الفعل إلى الاسم:

والأمثلة هنا خير ما يبينُ في ذلك المعينِ الثرّ، معينِ السَّبْعِ المثاني والقرآن العظيم:

١- إِخْرَاجُ اللَّهِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ:

معلومٌ أنّ الفعل يدل على الحدث والتجدد، وأن الاسم يدل على الثبوت والاستقرار، وقد استعمل القرآن الفعل والاسم استعمالاً فنياً في مُنتَهَى الدقّة، ومَبْلَغِ الرقّة.

من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَانِّ تُوَفَّكُونَ ۗ﴾ (١).

فقد استعمل القرآن الفعل مع «الحي»، فقال: «يخرج»، واستعمل الاسم مع «الميت»، فقال: «مخرج»؛ وذلك لأن أبرز صفات «الحي» الحركة والتجدد؛ فجاء

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد؛ ولأن «الميت» في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات، فقال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾.

فإن سأل سائل: لماذا جيئ بالصيغة الدالة على التجدد في قوله ﴿عَلَّكَ﴾: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)؟.

أقول: إن السياق هنا في آل عمران يختلف عنه في الآية التي سلفت من سورة الأنعام؛ وذلك أن السياق في آل عمران هو في التغيير والحدوث والتجدد عموماً، فالله - سبحانه - يؤتي ملكه من يشاء، أو ينزعه منه، ويعز من يشاء أو يذله، ويغير الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وغير ذلك من الأحداث، فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل؛ فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغيير والحركة.

في حين أن السياق في سورة الأنعام مختلف، وليس السياق في التغييرات، وإنما هو في صفات الله - تعالى - وقدرته، وتفضله على خلقه - جلّ في علاه.

فالسباق الموقفي يستوجب العدول التركيبي بالاستبدال في كل، فنرى أنه بدأ الآية بالجملة الاسمية، وكان مسندها اسماً - أيضاً - ثم جاء بعده باسمين آخرين، هما «مخرج الميت - فالق الإصباح»، ثم ذكر أنه «يخرج الحي» بالصورة الفعلية لما ذكرت من حركة الحي، بخلاف ما في آية آل عمران من دلالة على التغيير والحركة.

فالسباق مختلف؛ ولذا تتوالى الأفعال في هذه الآية، فوضع كل صيغة في المكان اللائق بها، ونظمها في سلك البديع المُمَيِّز لها.

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٢٧.

ويشير البقاعي (ت ٨٥٥هـ) هنا إشارة أخرى رائعة، هي مُبَايَنَةٌ، ولكنها جديرة بأن أثبتتها، يقول: «ولما جعل المتعاقبين من الليل والنهار مُتَوَالِجِينَ جعل المتباطئين من الحي والميت مُخْرَجِينَ، فما ظهر فيه الموت بطنت فيه الحياة، وما ظهرت فيه الحياة بطن فيه الموت»^(١). نهارٌ يجول، وليلاً يزول.

فاللهم كما أولجت الليل في النهار، والنهار في الليل، فأولج علينا وعلى جميع أساتذتنا الرحمة، لا تقطعها عنا أبداً.

ذاك هو العدول التركيبي الذي أعنيه في التناصّ القرآني الذي يحتوي على بلاغة أخرى هي «رَدُّ الأعجازِ على الصدورِ، والصدورِ على الأعجازِ»^(٢).

٢- إهلاكَ الْقُرَى:

من ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾^(٣)، وقوله ﷻ في سورة أخرى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٤).

إن السياق الموقفي يستوجب هنا -أيضاً- العدول التركيبي بالاستبدال بين الاسم والفعل؛ إذ إنه في الآية الأولى من الأنعام لم يهلك قومًا بظلم وهم غافلون، وذلك في سياق أمرٍ ثبت، واستقرّ، وانتهى؛ فجاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت.

أما الموضع الآخر في سورة هودٍ فقد جاء في سياق الدنيا، وسُننِ البقاء؛ فجاء

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت ٨٥٥هـ - دار

الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ٥٦/٢.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٣٦/٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣١.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٧.

بالصيغة الفعلية؛ لأنَّ الأَمَمَ تَحَدَّثُ، وتَتَجَدَّدُ، وتَهْلِكُ، ويأتي غيرها، وهكذا.

ونجد في الآية الأولى قد جيء بـ«لم» الدالَّة على الماضي، وبلاد الجحود التي تدخل على الفعل المضارع؛ للدلالة على الاستمرار، والتجدد.

٣ - الإنفاقُ والإيمانُ:

وجد في قول الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) أنه قد استعمل الصيغة الفعلية للإنفاق «ينفق»، وهو فعل مضارع دالٌّ على التجدد والحدوث؛ لأنَّ الإنفاق أمر يتجدد، ويتكرر، ويحدث باستمرار.

ومثل ذلك يُقَالُ في قوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْمَعْفِينِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وكذلك في قوله ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٣)، والأصل آيات الإنفاق التناظر.

ذلك، وإن هذا الاستعمال الدلالي لم ترد فيه اللفظة بصورتها الاسمية إلا في آية واحدة هي قوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٤). فقد جيء باسم الفاعل؛ لأنه واقع في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات.

يقول السيوطي في هذا المقام: «الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾^(١)، فلو قيل: «بيسط» لم يؤدَّ الغرض؛ لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء؛ فباسط أشعر بثبوت الصفة»^(٢).

هذا، وإن السيوطي -رحمه الله- قد عقد مقارنة لطيفة بين استعمال «الإنفاق»، واستعمال «الإيمان»، وقد عَوَّنَتْهُ بـ«قاعدة في الخطاب بالاسم، والخطاب بالفعل»^(٣).

ومما ذكره السيوطي في ذلك استعمال القرآن لـ«إيمان»، فقد استعمله بالصيغة الاسمية كثيراً، وعلى ذلك جُلُّ الآيات النظائر؛ وذلك لأن الإيمان له حقيقة ثابتة تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق، يحدث وينقطع، فقال ﷺ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٤).

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾^(٥)، وقوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، وغير ذلك من الآيات التي أكتفي منها بما سبق.

هذا، وقد استعمل القرآن الصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

(١) سورة الكهف، جزء من الآية: ١٨.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/٥/٩١١هـ، دار

الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المنذوب ٥٧٨/٢.

(٣) السابق ٥٧٨/٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٦) سورة الروم، الآية: ٤٧.

يَعْمَهُونَ ﴿١﴾ .

فقد جاء - هنا - بالصيغة الفعلية؛ لأنه هنا أمرٌ دال على الحدوث، لا الثبوت؛ فإنه لم يحصل بعد، فكان هذا العدول.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾، وغير ذلك من الآيات.

وقد تناول ابن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ذلك تناولا دلاليا مُدْهِشًا، يصل القلوب ببارئها، ويثبتُ به الأقدامَ على طريق الإيمان.

وَلِنَفَاسَةِ قَوْلِ الزَّرْكَشِيِّ أَنْقَلَهُ كَامِلًا.

يقول الزركشي رحمه الله: «ومن هذا يُعرفُ لِمَ قيل: «الذين ينفقون»، ولم يقل: «المنفقين» في غير موضع. وقيل كثيرا «المؤمنون والمنفقون»؛ لأن حقيقة النفقة أمرٌ فعليٌّ، شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف «الإيمان»؛ فان له حقيقةً تقوم بالقلب، يدوم مقتضاها، وإن عُفِلَ عنها. كذلك التقوى والإسلام، والصبر والشكر، والهدى والضلال، والعمى والبصر.. كل هذه لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمر، وآثار تتجدد وتتقطع، فجاءت بالاستعمالين^(٣)، إلا أن لكل محل ما يليق به؛ فحيث يُراد تَجَدُّدُ حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد ثبوتُ الاتصاف بها فالأسماء، وربما بُولِغَ في الفعل؛ فجاء تارة بالصيغة الاسمية، كالمجاهدين والمهاجرين، والمؤمنين؛ لأنه للشأن والصفة، هذا مع أن لها في القلوب أصولاً، وله ببعض معانيها التصاقٌ قوَى هذا التركيب؛ إذ القلبُ فيه جهادُ الخواطر الرديئة والأخلاق الدنيئة، وعقدٌ على

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٣) قد نقل السيوطي النص كاملا عن الزركشي - رحمه الله - إلى هذا الموضع. ينظر: الإتقان، ٥٧٨/٢.

فعل المهاجرة، كما فيه عَقْدٌ على الوفاء بالعهد، وحيث يستمر المَعَاهِدُ عليه، إلى غير ذلك»^(١).

قد استبان مما سلف أن بين مقام التجدد والثبات دلالاتٍ حرص عليها النسقُ القرآني الفريد، ورامها الاستعمالُ القرآنيُّ الفذُّ.

ومما ذكره الزركشيُّ -أيضاً- في ذلك المقام الذي تتبثق من خلاله تلك الدلالات السامية -ما أورده في قول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

يقول الزركشي: «لو قيل: «رازقكم» لفات ما أفاده الفعل من تجددِ الرزق شيئاً بعد شيءٍ؛ ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع، مع أن العامل الذي يفيدُه ماضٍ، كقولك: «جاء زيد يضرب»، وفي التنزيل: قال ﷻ: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾^(٣)؛ إذ المراد أن يريد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنهم آخذون في البكاء، يجددونه شيئاً بعد شيءٍ، وهذا هو سرُّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول إلى صريح الفعل والمصدر»^(٤).

وهذا التحليل النصي البديع يخرج من مشكاة أصوليِّ نحويِّ بلاغيِّ يُلْفِتُ إلى ضرورة العناية بالدراسات البيئية بين علوم العربية؛ لنستخرج خباياها المكنونة، وكنوزها المنخورة، فيرجع عهد الوصال بها فتيًّا، ويرجعُ عودُ القلوب لها غصًّا طريًّا.

(١) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت ٧٩٤هـ - دار المعرفة -

بيروت - ١٣٩١هـ - تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم - البرهان في علوم القرآن ٦٧/٤.

(٢) سورة فاطر، جزء من الآية: ٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٦٧/٤.

وإتماماً للفائدة أُورد نصاً للسيوطي يبين فيه القيمة الدلالية للعدول من الفعل الماضي إلى المضارع، فيقول نقلاً عن الشيخ بهاء الدين السبكي: «وبهذا يتضح الجواب عما يورد من نحو «علم الله كذا»، فإن «علم الله» لا يتجدد، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها الفعل. وجوابه أن معنى «علم الله كذا» وقع علمه في الزمن الماضي، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك، فإن العلم في زمن ماضٍ أعم من المستمر على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده وغيره؛ ولهذا قال -تعالى- حكاية عن إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^(١).. الآيات، فأتى بالماضي في الخلق؛ لأنه مفروغ منه، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء؛ لأنها متكررة متجددة، تقع مرة بعد أخرى»^(٢).

ذلك، وإنَّ من لطائف الإشارات في الاستعمال الفني للفعل والاسم قوله -تقدَّستْ أسماءُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٣).

فقد جمع الحقيقة والمجاز في تعبير واحد، ولو جعلهما بصورة تعبيرية واحدة لَقَانَتْ هذه المَزيَّة، فإنه ذكر نعمة الله علينا في الليل.

٤ - دَلَالَةُ الْإِسْتِغْفَارِ بَيْنَ الْأَسْمِيَةِ وَالْفِعْلِيَّةِ:

نجد في قول الله تقدَّستْ أسماءُ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٤).

(١) سورة الشعراء، الآية: ٧٨.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ٥٧٩/٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

نلمح أن الاستعمال القرآني يأتي بالصيغة الفعلية من «الاستغفار» كثيرا، كما في تلك الآية؛ لكون الاستغفار يحدث، ويتجدد، شأنه شأن الإنفاق.

ومن ذلك - أيضا - قوله ﷻ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

هذا، ولم يرد «الاستغفار» بالصيغة الاسمية إلا في آية واحدة هي التي ورد فيها الإنفاق اسماً وهي قوله ﷻ: ﴿ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (٢)؛ أي أصحاب هذه الصفات.

٥ - دَلَالَةُ التَّسْبِيحِ بَيْنَ الْأَسْمِيَةِ وَالْفِعْلِيَّةِ:

ما قيل عن الاستغفار يُقال هنا في «التسبيح»، فإنه ورد بالصيغة الفعلية كثيرا؛ للسبب نفسه، وذلك كما في قول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - في آخر آية من الأعراف:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (٣).

ذلك، ولم يرد بالصيغة الاسمية إلا في آيتين اثنتين، إحداهما: في وصف نبي الله يونس عليه السلام فقد قال الله ﷻ: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٤).

والمعنى أن هذا كان هو وصفه الثابت؛ فنجاً لأنه كان من أصحاب هذا الوصف، والمجيء بالصيغة الوصفية - هنا - إشارة إلى أن مداومة التسبيح تخلص من الكروب والمكاره، وأن يونس عليه السلام إنما نجا من هذه الشدة؛ بمداومة التسبيح.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

والثانية: في صفة الملائكة من السورة عينها، فقال الله ﷻ: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١﴾؛ أي هذه صفتهم الثابتة، فقد ذكر الله - ﷻ - أن الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢﴾﴾؛ فالتسبيح - إذن - وصف ثابت فيهم.

٦ - دَلَالَةُ الْإِضْلَالِ بِإِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ أَوْ الشَّيْطَانِ:

إن الله ﷻ قد ذكر «الإضلال»، وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط؛ وذلك للدلالة على أن هذا أمرٌ طارئٌ يفعله مع من يستحقه، ولم يسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية؛ للدلالة على أن هذا ليس من صفات الله ونعوته، فقال ﷻ: ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾﴾ .

وَلَمَّا وَصَفَ الشَّيْطَانَ بِذَلِكَ قَالَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾، فجعله وصفاً ثابتاً له.

ويجده - أيضاً - فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٦٥، ١٦٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٣) سورة غافر، جزء من الآية: ٧٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٥) سورة القصص، جزء من الآية: ١٥.

كِنْبِ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١﴾، وقال الشيطان عن نفسه: ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مَتَّبَعْتَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيَبْتَكَنَّ إِذَا نَكَرَ الْأَنْعَامَ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيَغَيِّرُ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٢﴾.

فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال، وللذات العلية جعل لها الثابت والمتجدد الهداية، وشتان ما بين الوصفين.

(ب) العدول من مصدر الفعل إلى مصدر فعل آخر:

من الاستعمال الفني المعجب للقرآن في جانب الأبنية الصرفية أنه يأتي بالفعل، ثم لا يأتي بمصدره، بل يأتي- كما سلف- بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- أضلَّ ضلالاً:

قال تَقَدَّسَتْ سَمَاوُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٣﴾، والقياس أن يقول: ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾؛ لأن مصدر «أضلَّ» الإضلال.

وأما «الضلال» فهو مصدر «ضلَّ»، قال حجّاج: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٤﴾، والمعنى أن

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٦.

يضلهم ضلالاً بعيداً، وقد جمع المعنيين: الإضلال والضلال في آنٍ واحد.
والمعنى أن الشيطان يريد أن يضلهم ثم يريد بعد ذلك أن يضلوا هم بأنفسهم،
فالشيطان يبدأ المرحلة، وهم يتمونها. فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا
الضلال، ويذهبوا فيه كل مذهب.

فالشيطان يريد أن يطمئن إلى أنهم يقومون بمهمته هو^(١)، أو ينفك المضلُّ
تلميذاً، والضالُّ أستاذاً، كما قال الله ﷻ عن ذلك العالم الذي آتاه الله آياته، فانسَخ
منها: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢).

٢ - أُنبِتَ نَبَاتًا:

قال - تقدّست أسماءؤه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٣)، والقياس أن يقول:
«إنباتًا»، فعدل عن المصدر إلى اسم المصدر، يقول أبو حيان (ت ٧٤٥هـ):
«والإنبات استعارة في الإنشاء، أنشأ آدم من الأرض، وصارت ذريته منه، فصح
نسبتهم كلهم إلى أنهم أنبتوا منها، وانتصاب ﴿نَبَاتًا﴾ بـ ﴿أَنْبَتَكُمْ﴾ مصدرًا على
حذف الزائد؛ أي إنباتًا، أو على إضمار فعل؛ أي فنبتم نباتًا»^(٤).

وفي هذا يقول الخليل: «وربما رفعوا مصدرًا إلى فعل غيره بعد أن يكون
الاشتقاق واحداً»^(٥)، وأورد الخليل شاهداً شعرياً على ذلك، وفيه بيانٌ أن ذلك العدول
سارٍ على لغة العرب، ويعلل سيبويه ذلك بقوله: «لأنه إذا قال: «أنبته» فكأنه قال:
قد نبت»^(٦)، ويقول ابن زمنين (ت ٣٩٩هـ) في «نباتا» مشيراً إلى مسألة الحمل

(١) معاني النحو ٢ / ٥٨٩.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٥.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٧.

(٤) تفسير البحر المحيط ٨ / ٣٣٤.

(٥) العين ٨ / ١٣٠.

(٦) كتاب سيبويه ٤ / ٨١.

على المعنى: «محمول في المصدر على المعنى»^(١).

٣- كَلَّمَ تَكْلِيمًا، وَتَبَّلَّ تَبْتِيلًا، وَتَثَبَّتْ تَثْبِيتًا، وَنَزَّلَ تَنْزِيلًا:

يرى المبرد (ت ٢٨٥هـ) أن «تَبَّلَّ وَبَتَّلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ»^(٢)، ويقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لافتًا أنظارنا لفتة كريمة إلى قضية العدول: «وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها»^(٣)، ويرى ابن السراج النحوي (ت ٣١٦هـ) الأمر نفسه في قوله - تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾: «لأن أنزل، ونزل واحد»^(٤).

(ج) العدول من صيغة إلى أخرى بما يقتضيه المقام:

من العدول في الاستعمال القرآني الفريد استعماله صيغة صرفية ما في موضع، ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة، فيحولها إلى صيغة أخرى؛ حسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- العدول من «فعل» إلى «فعل»:

من ذلك قول الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٥)، وقوله ﷺ على لسان سارة زوج إبراهيم: ﴿قَالَتْ يَوٰلَيْتِي ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٦).

(١) تفسير ابن زنين ٤١/٥.

(٢) المقتضب، المبرد، ت ٢٨٥هـ، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: محمد عبد الخالق عظمة ١/ ٧٤.

(٣) تفسير الطبري ٧٠/٣.

(٤) الأصول في النحو ١٣٤/٣.

(٥) سورة ق، الآية: ٢.

(٦) سورة هود، الآية: ٧٢.

وقال الله ﷻ: ﴿ أَجْعَلُ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾^(١)، نرى أنه قال في الآية الأولى: ﴿ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ وفي الثانية: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ وفي الآية الثالثة: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾.

فقد عدل من «عجيب» إلى «عجاب»؛ وذلك تدرُّج في العجب، بحسب قوته، ففي الآية الأولى ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم، فقالوا: ﴿ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾.

وفي الآية الثانية كان العجب أكبر؛ لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم^(٢)، وبعلمها شيخ؛ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب، فالعجوز لا تلد، فإذا كانت عقيمًا كانت عن الولادة أبعد؛ إذ يستحيل على العقيم أن تلد.

فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلمها شيخ كان أبعد وأبعد؛ ولذا أكد العجب بـ«إن واللام المزحلقة»، بخلاف الآية الأولى، فإنه لم يؤكد العجب.

وأما في الآية الثالثة فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر؛ إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحداية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه؟!.

بل إن الإسلام جاء أول ما جاء؛ ليردهم عن الشرك، ويردهم إلى التوحيد، وحسبك أن كلمة الإسلام الأولى هي: «لا إله إلا الله»، وقد استسهلوا أن يحملوا السيف، ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقرروا بهذه الكلمة، فالقتل أيسر عندهم من النطق بكلمة التوحيد؛ ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر؛ فجاء بـ«إن واللام المزحلقة»، وعدل من «عجيب» إلى «عجاب»؛ وذلك أن «فُعَالًا» أبلغ من «فَعِيل» عند العرب، فـ«طَوَال» أبلغ من «طَوِيل»، وكذلك «شَجِيع وشُجَاع».

(١) سورة ص، الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

وَلَنُنظِّرُ كَيْفَ عَدَلَ مِنْ صِيغَةٍ إِلَى صِيغَةٍ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ، وَلَنُنظِّرُ -كذلك- كَيْفَ يِرَاعِي دَقَّةَ التَّعْبِيرِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَكَيْفَ يَلْحِظُ كُلَّ كَلِمَةٍ، وَيَضَعُهَا فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ عَلَى تَبَاعُدِ الْأَمْكَانَةِ.

٢- العدول من اسم الفاعل إلى الفعل الماضي:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

بالمقارنة بين الآيتين نجد أن قوله: «عَالٍ» اسمُ فاعلٍ، يدل على حصول المخبر عنه في وقت الإخبار، وعليه فإن ذلك يقتضي أن يكون علو فرعون متزامناً مع نزول القرآن، مع أن فرعون كان وقت نزول القرآن، كما قال الله -تعالى- في الآية الأربعين من سورة القصص: ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(٣)، وقال في الآية الأربعين -أيضاً- من سورة الذاريات: ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(٤).

وهنا يبرز سؤال أو استشكال، فما في سورة القصص يخبر عن أمر مضى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾، فلا إشكال، وأما آية يونس فإنها هي التي تثير الإشكال، فكيف يكون التوفيق بينهما؟

وللإجابة على ذلك أقول: إما أن نحمل آية يونس على آية القصص، ويكون استعمال هذا اللفظ من قبيل المجاز المرسل الاشتقاقي؛ حيث تستعمل صيغة بدل

(١) سورة يونس، من الآية: ٨٣.

(٢) سورة القصص، من الآية: ٥.

(٣) سورة القصص، من الآية: ٤٠.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٠.

صيغة، كما هو معلوم في علاقات المجاز المرسل^(١).

وإما أن آية يونس تدل على استمرار علو فرعون، وعندئذ يحتاج الأمر إلى تأويل، والتأويل المقبول - فيما أرى - أن يُعتبر الوصفُ لصفة الفرعونية، وليس لشخص فرعون، وهذه مستمرة كما يفهم من الحديث الشريف: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنَ، وَفِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ»^(٢).

وإتماماً للفائدة أورد ما ذكره ابن سيده صاحب المحكم، وابن منظور صاحب اللسان حول لفظة «فرعون»: «الفرعنة: الكبر والتجبر، وفرعون كل نبي ملك دهره.. وكل عات فرعون، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي: دهاء وتكبر»^(٣).

(١) قال ابن هشام: «إن العرب يعبرون عن الماضي كما يعبرون عن الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن، حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار، وذكر لذلك أمثلة منها: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ﴾، أي يبسط بدليل ونقلبهم ولم يقل: قلبناهم». مغني اللبيب ص ٦٩٠.

(٢) حدثنا أبو قلابة قال: وجدت عن أبي داود نا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنَ، وَفِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ». المسند للشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي الوفاة: ٣٣٥ هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله ٣٣١/٢، تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت ٢١١ هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد ٣٨٤/٣، نظم الدرر ٢٥٦/٨.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت ٤٥٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م، ط ١، تح/عبد الحميد هندواوي ٤٦٧/٢، لسان العرب ٣٢٣/١٣.

ثانياً: العدول الترتيبي.

أقصد بالعدول الترتيبي هنا اختلاف ترتيب الجملة التي يقع بها التناص القرآني عما استقر عليه الترتيب فيما تناظر من آيات متناصّة، ودلالة هذا العدول، وقيمة ذلك التباين في التقديم والتأخير في الجمل المتناصّة.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- العدول في الترتيب بين الإنسان والأنعام:

قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (١)، وقال الله ﷻ: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبَا (٣١) مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٢).

فقد قدم الناس على الأنعام في آيات سورة «عَبَسَ»، بخلاف سورة السجدة، إذ قدم الانعام على الأنفس؛ وذلك أنه لما تقدم ذكر الزرع في آية السجدة ناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنها في طعام الإنسان، إذ قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًّا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غَلْبًا (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبَا (٣١) مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٣).

ألا ترى كيف ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر الطعام بعده، وهو الأب؛ أي: التبن؛ فناسب تقديم الإنسان على الأنعام -ههنا- كما ناسب تقديم الأنعام على الناس هناك. فسبحان الله رب العالمين!!

(١) سورة السجدة، جزء من الآية: ٢٧.

(٢) سورة عبس، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٢٤، ٣٢.

٢- العدولُ في ﴿مَنْ إِمْلَقٌ - خَشِيَةَ إِمْلَقٍ﴾:

قال الله ﷻ في مطلع الوصايا العشر من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١).

وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَقٍ تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٢).

فَقَدْ قَدَّمَ الْقُرْآنُ رِزْقَ الْآبَاءِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى عَلَى الْآبْنَاءِ، وَأَمَا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَقَدْ قَدَّمَ رِزْقَ الْآبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مُوجَّهٌ إِلَى الْفُقَرَاءِ دُونَ الْأَغْنِيَاءِ، فَهَمْ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْفَقْرِ الْوَاقِعِ بِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَهُ، فَأُوجِبَتِ الْبَلَاغَةُ تَقْدِيمَ عِدَّتِهِمْ بِالرِّزْقِ قَبْلَ الْعِدَّةِ بِرِزْقِ الْأَوْلَادِ.

وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ الْخَطَابُ لِغَيْرِ الْفُقَرَاءِ وَهَمْ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ خَشِيَةَ الْفَقْرِ لَا أَنَّهُمْ مُفْتَقِرُونَ فِي الْحَالِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْ تَسْلِبَهُمْ كُلُّفُ الْأَوْلَادِ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْغِنَى؛ فَوَجِبَ تَقْدِيمُ الْعِدَّةِ بِرِزْقِ الْأَوْلَادِ؛ فَيَأْمَنُوا مَا خَافُوا مِنَ الْفَقْرِ، فَقَالَ: لَا تَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّا نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ؛ أَيُّ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَعَهُمْ رِزْقَهُمْ، فَهَمْ لَا يَشَارِكُونَكُمْ فِي رِزْقِكُمْ؛ فَلَا تَخْشَوْا الْفَقْرَ^(٣).

٣- العدولُ الترتيبيُّ بين «القلبِ والسَّمْعِ»:

قال الله -تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٥١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٣) ينظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، ص ٢٦٠-٢٦١، تحرير التعبير ص ٥٦١.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

وقال الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾.

نجد أن القرآن قد قدّم القلوب على السمع في الآية الأولى آية البقرة، وقدّم السمع على القلب في الآية الثانية آية الجاثية؛ وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة، فقال ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٣﴾﴾؛ فقدّم القلوب لذلك.

وفي آية الجاثية ذكر الأسماع المعطّلة ﷻ: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾﴾؛ فقدّم السمع، فوضع كل لفظه في المكان الذي يناسبها.

ثم إن آية البقرة ذكرت من أصناف الكافرين من هم أشد ضللاً وكفراً ممن ذكرتهم آية الجاثية، فقد جاء فيها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

وجاء في سورة الجاثية قوله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٤) سورة الجاثية، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٦، ٧.

سَمِعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾، فقد ذكر في البقرة أن الإنذار وعدمه عليهم سواء، وأنهم ميئوس من إيمانهم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية.

ثم كرر حرف الجر «على» مع القلوب والأسماع في آية البقرة، مما يفيد توكيد الختم فقال ﷻ: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، بل انتظم الأسماع والقلوب بحرف جر واحد فقال: ﴿عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾.

ثم قال في البقرة: ﴿عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ بالجملة الاسمية، والجملة الاسمية - كما هو معلوم - تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا، وإنما هذا شأنهم وخلقهم، فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام.

بيد أنه قال في الجاثية قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، ومعلوم أن «جعل» فعلٌ ماضٍ، ومعنى ذلك أن الغشاوة لم تكن قبل الجعل، يدلنا على ذلك قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ﴾، مما يدل على أنه كان مبصرًا قبل تَرَدُّيهِ.

ثم ختم آية البقرة بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية؛ فدل على أن صفات الكفر في البقرة أشد تمكناً فيه؛ ولذا قدم ختم القلب على ما سواه؛ لأنه هو الأهم، فإن القلب هو محل الهدى والضلال، وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر، قال ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الحج، من الآية: ٤٦.

ثالثاً: التعريف والتنكير

إنَّ مراعاةَ المناسبةِ المعنويةِ للسياقِ لتستدعي اختلافَ تركيبِ الآيتين المتشابهتين بالتنكير والتعريف.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- المناسبة المعنوية لتعريف «الكذب» وتنكيره:

قال الله - تقدّست أسماؤه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ (١)، وللاية نظائرها (٢).

وقال ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾ (٣).

نلمح بين الآيتين اختلافاً بيّناً في التعريف والتنكير، ففي الأولى جاءت «كذباً» بالتنكير، وأما الثانية فقد جيء بالكلمة عينها معرفةً «الكذب».

ما السرُّ من وراء ذلك؟

السبب هو أن الآية الثانية انفردت عن كل ما تقدم منها في سورة الصف، بذكر تعيين المُفْتَرَى فيه الكذب، منطوقاً به، من غير الإجمال الوارد في الآية الأخرى، بل ورد على التفصيل والتعيين، وذلك من قوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤).

قد افتروا الكذب، وارتكبوا البهتان فيما لا توقف فيه ولا إشكال لما جاءهم

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٣٧، والآية: ١٧ من سورة يونس.

(٣) سورة الصف، من الآية: ٧.

(٤) سورة الصف، الآية: ٦.

الرسول الذي سماه لهم عيسى - عليه السلام - بالبينات والدلائل القاطعة والتصديق لما بين يديه من حالهم - على الجاري في لسان العرب - لذلك قال - تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ معرفاً بأداة العهد؛ ليقوم مقام الوصف، حتى كان قد قيل: هذا الكذب الذي لا امتراء فيه.

٢ - المناسبة المعنوية لتعريف «الحق» وتنكيره:

قال الله - تقدست أسماؤه: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١).

وقال الله ﷻ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٢).

في الآية الأولى وهي في البقرة جاءت لفظة «الحق» معرفة، وفي الآية الثانية وهي في آل عمران جاءت نكرة، فما السر؟

السبب هو أن ذكر «الحق» بالتعريف في آية البقرة جاء لإفادة أنه الحق المعروف في الكتب المنزلة، من مثل قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالْإِنْفِسِ ﴾ (٣)؛ أي في التوراة، ومن مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة البقرة، من الآية: ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٤٥.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ١٥١.

ذلك وإنما جاءت كلمة «حق» في آيتي آل عمران والنساء؛ لأنها جاءت لإفادة التعميم والمبالغة في شناعة الفعل؛ أي فعلوا ذلك بغير حق معروف، أو غير معروف^(١).

وهذا يرجع إلى اختلاف السياق في السورتين؛ فالمقصود بالحديث في سياق آية البقرة هم قدماء اليهود، الذين امتن الله عليهم فجدوا^(٢).

والسياق القرآني العام للآيات التي تناولت المضمون نفسه يؤكد هذه الوجهة، ففي قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) خطاب للمعاصرين لرسول الله من يهود المدينة؛ فلذلك جاء بكلمة «حق» نكرة؛ للتعظيم والتهويل للشناعات التي ارتكبوها؛ تهديدا لهم؛ لعلمهم يرتدعون، وقد سبق هذه الآية: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٤).

وبالنظر إلى أحوال المخاطبين، وهي أحد عناصر السياق الحالي نجد أن آية سورة البقرة التي جاءت فيها كلمة «الحق» معرفة قد سبقت في شأن مخالفى اليهود القدماء الذين لم يشاهدوا أمر محمد ﷺ فناسب هؤلاء الحق المعلوم لديهم، والمعين في التوراة الصحيحة.

وأما آية آل عمران فقد تحدثت عن الغادرين من اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ وحاول بعضهم قتله مراتٍ؛ فناسبهم الخطاب بكلمة «حق» نكرة؛ لتعظيم وتهويل الشناعات والمؤامرات التي ارتكبوها وتهديدا لهم، وتمشيا مع نفس القاعدة السابقة من

(١) ينظر: التفسير الكبير ١/ ١٠٣، التنوير الأسلوبى في صور التكرار القرآنى، ص ١١٨، ملاك التأويل ٢١٧/١.

(٢) ينظر: كشف المعاني، ابن جماعة، ص ٦٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

أن التتكير قد يدل على المبالغة.

٣- تَعْرِيفُ «الْبَلَدِ» وَتَتَكِيرُهُ:

قال الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الشَّرَاتِ﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢).

يقول الرازي: «تقديره: اجعل هذا البلد آمنا، كقولك: كان اليوم يوما حارا، وهذا للمبالغة في وصفه بالحرارة؛ لأن التتكير يدل على المبالغة، فقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ معناه: اجعله من البلدان الكاملة في الأمن، وأما قوله - تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فليس فيه إلا طلب الأمن، لا طلب المبالغة (٣).

وهذا الرأي مناسبٌ لسياق الحال ففي آية البقرة كان إبراهيم قلقا على أهله؛ فبالغ في الدعاء، ولكنه في سورة إبراهيم اطمأن، فلم يبالغ؛ لأن مكة كانت قد عمرت بعد ذلك نوعا ما.

وثمة رأي آخر يعتمد على فكرة السياق الكلي للقرآن وهو: أن النكرة إذا تكررت صارت معرفة، بمعنى أنها لما وردت أولا - حسب ترتيب المصحف - نكرة في سورة البقرة تعرفت في سورة إبراهيم.

ونجد أبا حيان بعد أن تعرض بالتحليل النحوي الخالص للتعريف والتتكير في الآيتين - يتعرض لمسألة الأمن دلاليا، فيقول: «ووصف (بلد) بآمن، إما على معنى

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٢٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٣) التفسير الكبير ٥٥/٤.

النسب؛ أي ذا أمن، كقوله: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾؛ أي ذات رضا، أو على الاتساع، لما كان يقع فيه الأمن جعله آمناً، كقولهم: «نهارك صائم، وليلك قائم...»^(١).

٤- تعريف «السلام» وتنكيره:

قال الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٣).

هذا الاختلاف بين الآيتين في تنكير «سلام» وتعريفه نجد فيه كثيراً من آراء المفسرين بعيدة يظهر فيها التكلف، ويرفضها السياق^(٤).

وأما الرأي الذي يرتضيه السياق القرآني الخاص والعام فهو كالتالي:

أما من جهة السياق الخاص (المقام) فإن تنكير «السلام» في قصة يحيى عليه السلام للتعظيم؛ لأنه وارد من جهة الله -تعالى- أي سلام من جهة الله الغني عن كل تحية.

وأما من جهة السياق القرآني العام فلم يرد السلام من جهة الله في القرآن الكريم إلا منكراً، كقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْوُحْ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٧).

(١) تفسير البحر المحيط ١/٥٥٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٤) ينظر: البرهان، الكرمانلي، ص ١٢٣، ١٢٤، كشف المعاني، ابن جماعة ص ٢٤٧، البيضاوي ٢/٢٦، التفسير الكبير ١/٢١٦، روح المعاني ١/٩٠، ٩١.

(٥) سورة هود، من الآية: ٤٨.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٧٩.

وأما تعريف السلام في قصة عيسى عليه السلام فلأنه ليس واردا على جهة التحية من الله - تعالى - وإنما هو حاصل من جهة نفسه.

٥- تعريف «السميع العليم» وتكثيره:

قال الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

وقال عليه السلام: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣).

يقول ابن الزبير الغرناطي: «ولمَّا لم يرد في الآية الأخرى ما تقدم هنا كان الوجه أن يرد منكرًا كما ثبت؛ فورد كل على ما يناسبه» (٤)، أي أن التذكير في الأعراف جاء مناسبًا لسياق «آلهة الحجارة»: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٥).

بينما جاء بالتعريف في آية «فُصِّلَتْ»؛ ليناسب سياق المضلين من الجن والإنس، ومناسبة لضمير الفصل المقتضي التخصيص.

وهكذا فإن المتشابه اللفظي في أداة التعريف «أل»؛ ذكرا وحذفا في القران الكريم يكون بحيث تُذكَرُ في موطنٍ وتُحذفُ في آخرٍ شبيه به؛ مراعاة لما يقتضيه السياق المقامي والكلامي.

ذلك، وقد «يدل اقترانها باللفظ على تحديد مدلوله، بينما يدل سلبها عنه على شيوع ذلك المدلول وعمومه، ولكلٍّ من هذين المقامين ما يقتضيه من سياقات، وما

(١) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٤) ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي ١/٤٣٥-٤٣٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٨.

يتناسب معه من حروف وأدوات، ويمثل المتشابه اللفظي في أداة التعريف «أل»
ذكرا وحذفا نسبةً كبيرة من المتشابه اللفظي في الحروف»^(١).

(١) ينظر: ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي ٤٣٥/١، وينظر: المعنى في البلاغة العربية، د.حسن جاد
طبل، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٧٣.

مُخْتَمٌ:

ويعد، فإنَّ ما سبق من مسائل المباحث السالف بعضُ ما خطر، ولو أني رحْتُ
أضربُ المثلَ، وأتبع المقارناتِ لأكثرُ في غير حاجة ملحة، لكن حسبي أني
أدلفت إلى نماذج أستجلي بها ما ذهبتُ إليه من فِكرٍ، وإلى ما أردت أن أراحمَ به -
بقلم النحويِّ - سدنة القرآن الكريم، وأستبقَ معهم في ظله مكانا، وإني لأرجو أن
أكون وفقت فيما أردت، ووفيت ما قصدت، وإن لم يكن فأسأل الله أن يصفحَ عني
بكرمه من الكلام في كتابه بغير علم، ويفتحَ لي سبيلا إلى كلِّ فهم.

وصلِّ اللهم، وسلِّم على سيدنا محمدٍ وآله عند مفتتح كل قول وخاتمته.

هذا، والله أعلم، وتفويض العلم إليه أسلم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ﷻ بَدْءًا وَمُخْتَمًا.

الخاتمة

الخاتمة

يوجز الباحث فيما يلي أهم نتائج هذا البحث ، ثم يقدم أبرز التوصيات :

أولاً : النتائج :

١. نشأ التناس في رحاب الشعر والرواية مما صبغ مصطلحاته ومضامينه الأولية بنوع من الغموض، ولكنه ما لبث أن تبلور في صورة أكثر وضوحاً. وإن كان تطبيقه على القرآن شكل تحدياً كبيراً لجهة الفراغ الاصطلاحي.

٢. مفهوم التناس من المفاهيم التي تواجدت بشكل مبكر في تضاعيف التراث العربي في ظواهر مثل النقائص والمعارضات الشعرية، والموازنات النقدية، وتناوله نقادنا الأوائل بالدراسة، والسبر والتقسيم، وإن غلب عليه مصطلح السرقات إلا أنهم كانوا يفرقون بين ما كان سرقة وبين ما سموه (حسن الأخذ)، وضمنوا تحته جل ما جاء في هذا الباب.

٣. التناس بحسبانه تعالفاً بين النصوص، وحضوراً لبعضها في بعض حاضر في القرآن بقوة، وقد رصده علماءنا الأوائل في دراساتهم حول القرآن (تفسير القرآن بالقرآن - والتفسير الموضوعي - والمتشابه اللفظي - وعلم المناسبات - ووجوه القرآن وغيرها).

٤. لاحظ البحث أن التناس شكل مسباراً راصداً لأنواع العلاقات الناظمة لزمر الآيات والمقاطع المتعاقبة، وسجل الباحث أهم هذه الأنماط من العلاقات، وهي:

٥. النمط التطابقي الذي تحل فيه الآيات المتناصّة أو أبعاضها ضيوفاً على على الآية المتناصّة. وتجلّى ذلك في مطالع السور، والفواصل، وصدور بعض الآي وغيرها.

٦. النمط التشابهي وهو الذي تتشابه فيه الآيات مع اختلافات محدودة، مثل تعريف كلمة في موطن وتكبيرها في آخر، أو الزيادة والحذف، أو غير ذلك مما يدخل تحت المتشابه اللفظي في القرآن.

٧. النمط التكاملي حيث تتربط أشتات أجزاء الفكرة المبنوثة داخل النص القرآني، وتتكامل لتنتج صورة كلية موحدة أو منوعة،. وظهر ذلك في تكامل القصة القرآنية، وتكامل الوصف القرآني (مثل وصف الجنة)، والتكامل في التدرج التشريعي.

٨. النمط التقابلي وتنتج فيه الصورة الكلية للأشياء من المقابلات القرآنية بين الأضداد.

٩. النمط التفاعلي وهو ضرب من العلاقة الخفية التي لا يدركها إلا العلماء المتأملون، فيسخرونها للاستدلال على وجه تفسيري، أو يدفعون بها شبهة توهم التعارض بين أي الكتاب.

١٠. عرض البحث لعلاقة التناص ببعض المعايير النصية، مثل (السبك) الذي تشكل الإحالة فيه نوعا من التناص، سواء أكان ظاهرا، أم خفيا، كما التكرار يصنف كأحد أنواع النمط التطابقي من التناص.

١١. التناص الداخلي بين أجزاء النص الواحد يعد رابطا من أقوى الروابط بين مكونات النص القرآني.

١٢. وعرض البحث لعلاقة التناص بالسياق والترابط الوثيق بين التغيرات الحاصلة في الآيات المتناصّة، والسياق الذي ترد فيه كل منها.

١٣. كشف البحث عن الآثار الدلالية التي تنتج عن التناص نحو رفع الابهام عن المفردة المعجمية، أو تخصيص العموم، تقييد المطلق.. أو غيرها.

١٤. لاحظ البحث أن ثم تناظرا بين كثير من الآيات بطرد اطرادا لا يكاد ينخرم، نحو تقدم السمع في الذكر على البصر ما خلا موطن واحد.

١٥. رصد البحث أن ما عدل عن هذا الاطراد بين الآيات المتناصّة إنما يكون مردوده لمناسبة السياق المتفرد.
١٦. قدم البحث صوراً من الأثر النحوي الذي يشكله التناص.
١٧. أظهر البحث أثر التناص بين آيات القرآن المتناظرات في ترجيح وجه إعرابي على آخر، حملاً على نظير، أو مراعاة للقاعدة العامة في القرآن.
١٨. كشف البحث عن دور مهم للتناص في تقدير المحذوف من خلال استقراء الآيات المتناصّة.

ثانياً: التوصيات:

- من خلال معايشة الباحث لهذا الموضوع وما يتصل به من قضايا برز أمامه عددٌ من القضايا التي يرى أنها جديرةٌ بالدراسة ويوصي بذلك ، ومنها:
- التناص أداة تفسيرية.
 - المستويات الدلالية للتفاعل بين النصوص.
 - التناظر بين آيات القرآن، وأثره الدلالي.
 - التناص وأثره في دلالة السياق.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة الفاتحة
٨٨	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾
٦٦	٤	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
		سورة البقرة
١٥٨	٢-١	﴿ آلَهُ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ... ﴾
٢٦٢	٤	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾
٢٧٥	٧-٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ... ﴾
٩٠	٦	﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾
٢٧٥	٧	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾
٢٧٥	١٠	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾
٦٢	١٣	﴿ قَالُوا اتُّؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾
٩٠	٢٣	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾
٩٠	٢٣	﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْثَلِهِ ﴾
٨٢	٢٥	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾
٨٢	٢٥	﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
١٢٧	٢٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾
١٢٧	٢٧	﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾
١٣٤	٢٧	﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾
٨٣	٢٩	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
٦٢	٣٠	﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٩	٣١	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾
٩٢	٣٨	﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾
١٥٣	٤٠	﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾
١٥٣	٤٥	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
٨٩	٤٨	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾
١٠٤	٤٩	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ... ﴾
١٠٤	٤٩	﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ ﴾
١٠٤	٥٠	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾
١٠٤	٥١	﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾
٨٣	٥٧	﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾
٨٣	٥٧	﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
٨٦	٥٨	﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾
٢٧٨	٦١	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ مَا يَعْصِبُ مِنَ اللَّهِ ﴾
٩٥	٦١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
٩٥	٦١	﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
١٥٤	٦٥-٦٦	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ... ﴾
١٨٦	٦٧	﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
١٠٤	٧٤	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾
١٦٣	٧٩	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ... ﴾
١٦١	٨٩	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
١٦١	٨٩	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٥	١٢٦	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ... ﴾
١٤٠	١٧٠	﴿ أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا آيَاتٍ وَمَنْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ صَبَأًا مَوْجُودًا وَلَا يَهْتَدُوا ... ﴾
١٨٥	١٧٢	﴿ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَابِعُونَ ﴾
٨٢	١٧٣	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ﴾
٨٢	١٧٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
١٥٥	١٧٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾
٦٨	١٨٠	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ... ﴾
٦٨	١٨٢	﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾
٦٦	١٨٦	﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾
١١٣	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾
١١٣	١٩١	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ ﴾
١١٤	١٩٢	﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
١١٤	١٩٣	﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾
١١٤	١٩٣	﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
١٩٧	١٩٥	﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾
١٥٤	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ ﴾
٨٣	٢١٨	﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
١٠٧	٢١٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾
١٠٧	٢١٩	﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾
١٠٨	٢١٩	﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾
١٤١	٢٢١	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٤٧	٢٢٤	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾
١٩٦	234	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾
٢٣٥	٢٥١	﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾
٢٦٠	٢٧٤	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾
٦٣	٢٨٦	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ... ﴾
		سورة آل عمران
٩٨	٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾
٤٥	١٣	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الَّتَقْتَا ﴾
١٢٧	١٤	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ... ﴾
١١٨	١٥	﴿ قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ﴾
١٢٧	١٥	﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
	١٧	﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾
١٨٠	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾
٩٥	٢١	﴿ بَعِيرٍ حَقٍّ ﴾
٩٥	٢١	﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
٢٥٨	٢٧	﴿ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾
١٤٤	٢٨	﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾
٨٢	٣٠	﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾
١٣٢	٨٦	﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾
٩٥	١١١	﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾
٢٧٨	١١٢	﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ أَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٩٥	١٢٦	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾
٢٦٠	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ
١٩٥	١٣٩-١٤٠	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ...
١٤٥	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
٩٨	١٩٤	﴿ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴾
		سورة النساء
١٩٧	١٥	﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
٩٣	٢٢	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
٢٦٠	٣٨	﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
١٠٨	٤٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ
١٠٨	٤٣	﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴾
٢٦٧	٦٠	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ
٢١٦	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ
١٣٧	٨٢	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
٢١٥	٨٦	﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْ رَدُّوهُا
٢١٦	86	﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا
١٧٠	١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ
٢٤٣	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
٢٦٧	١١٩	﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِينَتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ
٦٨	١٢٨	﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا
٦٨	١٣٠	﴿ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٧	١٤٥-١٤٦	﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... ﴾
١٠٥	١٥٣	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾
٢٧٩	١٥٥	﴿ فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ وَمَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
١٠٦	157	﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾
١٠٦	159	﴿ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾
١٠٥	١٦١	﴿ وَقَدْ نَهَى عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَطْلِ ﴾
٢٢٨	١٦٥	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾
١٣٢	١٧٥	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ
سورة المائدة		
٦٩	١	﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾
٧٠	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
٢٥٠	٥	﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾
١٤١	٥	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾
١٦٠	٦	﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾
١٣٣	١٦	﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾
٩٣	١٦	﴿ مَنِ اتَّبَعَ ﴾
١٩١	٤٤	﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ ﴾
٦١	٤٥	﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ... ﴾
٢٤٥	٥١	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾
٦٥	٥٤	﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَءَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
١٠٦	67	﴿ وَاللَّهُ يَعِصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٠٨	٩٠	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَجَرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
١٠٩	٩٠	﴿إِنَّمَا الْحَجَرُ وَالْمَيْسِرُ﴾
١٠٨	٩١	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَجْرِ وَالْمَيْسِرِ
١٠٦	110	﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ
١٤٥	١١٦	﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ
		سورة الأنعام
١٤٤	١٢	﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ
٩٦	٢١	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
٩٩	٢٥	﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
٦٦	٤١	﴿بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
١٤٤	٤٥	﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا
٢٣١	٥٩	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
١٨٢	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
١٤٨	٩١	﴿قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
٢٥٧	٩٥	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى
١٤٧	١٠٠	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
٢٦٢	١٠٩	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ
٢٤١	١٢٥	﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
٢٥٩	١٣١	﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ
١٥٨	١٤٥	﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ
١٨٥	١٤٥	﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٥٧	١٤٦	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾
٢٧٤	١٥١	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ﴾
٢٠٠	١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾
١٩٩	١٦٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ﴾
سورة الأعراف		
٧٩	١	﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٤٤	١٥-١٤	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾
٩٦	٣٧	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾
١٨٣	١٠٧	﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾
١٠٣	١٥٠	﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ ﴾
١٥٣	١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾
٨٣	١٦٠	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾
٨٦	١٦١	﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾
١٧٨	١٦٣	﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾
١٩٩	١٦٥	﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾
٢١٩	١٦٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾
٢٦٨	١٧٥	﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
٨٦	١٧٨	﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
٨٦	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ... ﴾
١٤٨	١٩٠	﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾
٢٨٢	١٩٨	﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٨	٢٠٠	﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
		سورة الأنفال
١٩٥	١٠	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ
١٧٠	١٣	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
١١٤	٣٩	﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ
١١٤	٥٧	﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ
١١٤	٦٠	﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
		سورة التوبة
١١٢	٥	﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
١١٢	٥	﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
١١٤	٢٩	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
١١٢	٣٦	﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
١١٢	٤١	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا
٨٣	٧٠	﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
٢١١	٧٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
١٢٧	٨٢	﴿ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
٢٤٦	٩٩	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
١١٤	١٢٣	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
		سورة يونس
١٣٢	٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
٨٦	١١	﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَّلْنَا بِهِمْ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٧	١٢	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾
٩٦	١٧	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١٢٢	٣٨	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾
٩٩	٤٢	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾
٨٦	٤٩	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾
٨٧	٥٠	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا ﴾
٢٧١	٨٣	﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾
٦٧	٩٧-٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾
		سورة هود
١٢٢	١٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾
٩١	٣٣	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾
٦٨	٣٨	﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾
٦٨	٤٤	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾
٢٨١	٤٨	﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾
١٤٠	٧١	﴿ فَبَشِّرْنَهَا بَأْسَ حَقِّ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾
١٣٨	٧٢	﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾
٩٠	٧٧	﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾
١٦٧	١٠٣	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾
١٣٥	١٠٧-١٠٦	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ ... ﴾
١٣٥	١٠٨	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾
٢٥٩	١١٧	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة يوسف
٢٦٣	١٦	﴿ وَجَاءُوا بِأَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾
٢٥٣	١٠٣	﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٥٢	١٠٦	﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾
		سورة الرعد
٢٤١	١١	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾
٢٤١	١٢	﴿ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
٨٧	١٥	﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ ﴾
٨٧	١٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾
١٤٣	١٦	﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾
١٣٤	٢١-٢٠	﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾
١٣١	٢٧	﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بُرُودًا بِشَيْءٍ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا دَائِمٌ وَلَا مُسْتَقِيمٌ ﴾
١٤٨	٣٣	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ ﴾
١١٩	٣٥	﴿ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا ﴾
٧٠	٤٣	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾
		سورة إبراهيم
١٣١	٤	﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾
١٠١	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
١٠١	٦	﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾
١٩٤	١٨	﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾
١٤٨	٣٠	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٥	٣٥	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾
٨٩	٤٨	﴿ لِلَّهِ الْوَحِيدِ ﴾
سورة الحجر		
٢٤٦	١٤	﴿ وَلَوْ فَحَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾
١٠٢	٢٧	﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السُّمُورِ ﴾
٩٧	٣٥	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾
٢٤٤	٣٨-٣٦	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ... ﴾
١٢١	٤٨-٤٥	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... ﴾
١٤٨	٩١-٩٠	﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ... ﴾
سورة النحل		
٢٣٨	٢٢	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾
١٨٤	٢٨	﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ﴾
٨٣	٣٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾
١٨٤	٣٤	﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾
١٤٧	٥٧	﴿ وَبَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾
٩٨	٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾
١٠٨	٦٧	﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾
١٦٥	٧٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾
١٦٥	٨١-٨٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾
٢٣٣	٨١	﴿ وَسَرَّيْلٍ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾
١٤٦	٩١	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٣٢	١٠٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
١٨٤	١١١	﴿ وَتُوفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾
١٨٥	١١٤	﴿ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
٢٤٩	١١٥	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ
١٨٥	١١٥	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٨٣	١١٨	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
١٩٩	١٢٠	﴿ إِنَّ إِثْرِهِمْ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
١٩٩	١٢٧-١٢٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...
١٩٨	١٢٨-١٢٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...
١٩٨	١٢٧	﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾
		سورة الإسراء
٨٨	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا
١٨٩	٩	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
٩٣	٢٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
٢٧٤	٣١	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
٦٥	٧٢	﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا
١٨٩	83	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
١٢٢	٨٨	﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
١٨٩	89	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
		سورة الكهف
١٨٩	٢-١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا...

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٨	١٥	﴿ هَتُولَاءِ قَوْمَنَا اَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۗ ﴾
٦٧	١٦	﴿ وَاِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهُ فَاُوْرَا اِلَى الْكَهْفِ ﴾
١٩٠	١٧	﴿ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۗ ﴾
٢٦١	١٨	﴿ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾
١٩٠	٢٢	﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ اِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا ﴾
١٠٦	32	﴿ وَاَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾
١٩١	٣٩	﴿ اِنْ تَرَنِ اَنَا اَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوْلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾
١٩١	٤٠	﴿ فَعَسَى رَبِّيْ اَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾
١٨٩	54	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيْ هٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾
١٩١	٦٦	﴿ هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلٰى اَنْ تَعْلِمَنِيْ مِمَّا عَلَّمْتَنِيْ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾
		سورة مريم
١٨٦	٢-١	﴿ كَهَيْعَتِ ﴿١﴾ ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّيْكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ۗ ﴾
٢٨١	١٥	﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوْتُ وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا ﴾
١٨٦	١٨	﴿ اِنِّيْ اَعُوْذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾
٢٨١	٢١	﴿ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلٰى هٰٓئِنٍ ۗ ﴾
	٢٦	﴿ فَكُلِّيْ وَاَشْرِبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا ۗ ﴾
٦٣	٣٣-٣٠	﴿ قَالَ اِنِّيْ عَبْدُ اللّٰهِ ءَاتٰنِي الْكِتٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ... ﴾
١٦٨	٣١	﴿ وَاَوْصٰنِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾
٦٣	٣٣	﴿ وَالسَّلَامُ عَلٰى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ اَمُوْتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا ﴾
١٨٧	٤٥-٤٤	﴿ يٰٓاَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطٰنَ اِنَّ الشَّيْطٰنَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا ... ﴾
١٣٨	٤٩	﴿ فَلَمَّا اَعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ ۗ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٧	٥٣	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾
١٨٧	٥٨	﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾
١٨٧	٦١	﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾
١٨٧	٦٩	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾
١٨٧	٧٥	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دُلَّهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾
١٨٧	٧٨	﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾
١٨٧	٨٥	﴿ يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴾
١٨٧	٨٧	﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾
١٨٧	٨٨	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾
١٨٧	٩٢-٨٩	﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾
١٨٧	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾
		سورة طه
١٠١	٢٠	﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾
١٠٢	٣٩-٣٨	﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ ... ﴾
١٤٤	٤١	﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾
١٠٣	٧٧	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا ﴾
١٠٣	٩٤	﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾
٢٦١	١١٢	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾
١٦١	١١٣	﴿ وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾
٩٢	١١٥	﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾
٩٢	١٢١	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٩٢	١٢٣	﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ ﴾
٢٢٨	١٣٤	﴿ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ۗ ﴾
		سورة الأنبياء
٢٤٠	٤	﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
٢٦٦	٢٠	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾
١٤٥	٣٠	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ ﴾
١٤٥	٣٢	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ ﴾
١٤٥	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ ﴾
٢٣٧	٥٢	﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾
٢٣٧	٥٧	﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴾
١٣٨	٧٢	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ ﴾
٢٢٩	٧٤	﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾
٢٣٣	٨٠	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ ۖ ﴾
٢٢٩	٨٢	﴿ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً مَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾
١٢١	١٠٢	﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾
		سورة الحج
٢٦٧	٤-٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ ﴾
١١٦	٥	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ﴾
٢٤٢	١٥	﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾
٦٦	٢٤-٢٣	﴿ يُحَاوِنُ فِيهَا مَنَاسِكًا مِّن ذَهَبٍ وَلَوْ لُؤْلُؤًا... ﴾
١١٢	٣٩	﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٧٦	٤٦	﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾
		سورة المؤمنون
١١٥	١٤-١٢	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ... ﴾
٩٨	٢٢	﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
٨٦	٨٣	﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾
		سورة النور
١٥٩	١	﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾
١٩٧	٢	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾
١٦٣	٣٥	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
		سورة الفرقان
٢٤١	٦	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١١٥	٥٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾
٧٠	٦٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾
٨٨	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾
		سورة الشعراء
١٠٣	٥٣	﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾
١٠٣	٦٢-٦١	﴿ فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ... ﴾
١٠٣	٦٣	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾
٢٣٧	٧١	﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴾
٢٦٤	٧٨	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾
٢٣٨	٨٤	﴿ وَعَايَتُهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة النمل
٦٣	١٨	﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ ﴾
٦٣	٢٣-٢٢	﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ... ﴾
١٤٤	٢٣	﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
١٢٦	٥٠	﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا وَمَكْرًا لَا يَشْعُرُونَ ﴾
٨٦	٦٨	﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾
١٩٨	٧٠	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾
٦٣	٨٢	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾
٢٣٥	٩٠-٨٩	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا... ﴾
		سورة القصص
٢٧١	٥	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾
١٠٣	٧	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾
٢٦٦	١٥	﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾
١٠١	٣١	﴿ وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُتْزِئًا رَّجًا وَوَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾
٢٧١	٤٠	﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾
٢٢٨	٤٧	﴿ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً يُمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ ﴾
١٦١	٥١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾
٢٣٥	٨٤	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾
		سورة العنكبوت
١١٢	٦	﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾
٢٣٧	٢٥	﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاقِبِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٣٨	٢٧	﴿وَأَيَّتُهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾
٢٣٠	٢٩-٢٨	﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ ...﴾
٩١	٢٩	﴿أَتَيْنَا بَعْدَآبِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
٩١	٣٠	﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾
٩١	٣٣	﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءِ بِهِمْ﴾
١٤١	٣٨	﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾
٨٤	٤٠	﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾
١٣٧	٤٣	﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾
١٣٧	٤٩	﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
١٤٥	٥٧	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
٨١	٦٣	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾
١١٢	٦٩	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾
سورة الروم		
١٤١	٧-٦	﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ...﴾
٨٤	٩	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
١١٥	٢٠	﴿وَمَنْ آيَاتِيهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾
١٣٢	٢٩	﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
٢٦١	٤٧	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾
سورة لقمان		
١٦٧	١٣	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٨١	٢٥	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٣١	٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾
		سورة السجدة
١٥٥	٩-٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴾
١١٦	٩-٧	﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ... ﴾
٢٦١	١٨	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴾
٢٧٣	٢٧	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾
		سورة سبأ
٢٣٤	١١-١٠	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا... ﴾
٢٢٩	١٢	﴿ وَمَنْ أَلْجَىٰ مِنْ يَمِينٍ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾
٢٣٠	١٣	﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ﴾
٨٧	٣٩	﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ ﴾
٢٥١	٤١-٤٠	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا... ﴾
٨٧	٤٢	﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضِرًّا ﴾
١٢٦	٥٠	﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
		سورة فاطر
٢٦٣	٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
٦٦	٣٤	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾
		سورة يس
٧٠	٣-١	﴿ يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ ﴾ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿
٩٠	١٠	﴿ وَسَوَاءٌ ﴾
		سورة الصافات

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٠٦	٥٩-٥١	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ... ﴾
٢٨٢	٧٩	﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾
٢٣٧	٩٥	﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَظِيمِينَ ﴾
١٣٨	٩٨	﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾
١٣٨	٩٩	﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾
١٣٩	١٠٢-٩٩	﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ... ﴾
١٣٨	١٠١-١٠٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾
١٣٩	١١٠-١٠٩	﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
١٣٩	١١٢	﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
٢٨٢	١٣٠	﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِيَّا يَاسِينَ ﴾
٢٦٥	١٤٤-١٤٣	﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
٢٦٦	١٦٦-١٦٥	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾
		سورة ص
٧٧	٥	﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾
٢٢٩	٣٧	﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾
١١٨	٥٠	﴿ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُّفْتَحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾
١١٩	٥٤	﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾
٩٧	٧٥	﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ ۗ ﴾
٩٧	٧٨	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾
		سورة الزمر
٦٧	٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١١٧	٦	﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ
٦٧	١٩	﴿أَمِنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَن فِي النَّارِ
١٨٤	٢٤	﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
٨١	٢٨	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
١٨٤	٣٩	﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
١٨٤	٥١	﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
١٨٥	٥١	﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
٢٤٣	٥٣	﴿يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
١٣٣	٧١	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
١٣٣	٧٣	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا
١١٨	٧٣	﴿إِذَا جَاءَ وَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
		سورة غافر
٢٦٥	٧	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
٨٩	١٦	﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
٨٩	١٦	﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ
٨٨	٢٠	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ
١٣١	٢٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾
١٣١	٣٥-٣٤	﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ...
١٦١	٣٩-٣٨	﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُومُ آتِيعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ
٨٨	٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٦٤	٦١	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾
٢٦٦	٧٤	﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا ﴾
		سورة فصلت
١٩٤	٩	﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾
١٨٨	٣٥	﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾
١٨٨	٣٦	﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾
٢٢٧	٣٩-٣٧	﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾
١٧٧	٤٠	﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
		سورة الشورى
٢٦٥	٥	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾
٨٨	١١	﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾
		سورة الزخرف
١٤٥	٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾
١٤٨	١٩	﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً ﴾
		سورة الدخان
١٠٣	٢٤-٢٣	﴿ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ... ﴾
		سورة الجاثية
٢٧٥	٨-٧	﴿ وَيَلِكُلْ لِكُلِّ آفَاكٍ أَنبِيرٌ ﴿٧﴾ ... ﴾
٢٧٦	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عَٰلَمٍ ﴾
١٨٤	٢٨	﴿ الْيَوْمَ يُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
١٨٤	٢٩	﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٨٤	٣٣	﴿وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾
٨٨	٣٦	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾
		سورة الأحقاف
١٤٤	٢٥	﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾
		سورة محمد
١٣٢	٥-٤	﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ...﴾
١١٩	١٥	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾
		سورة الفتح
٦٢	٢٩	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾
٦٥	٢٩	﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
		سورة الحجرات
٢٤٦	١٤	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾
		سورة ق
٧٧	١	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾
٢٦٩	٢	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾
		سورة الذاريات
٢١٤	٢٥-٢٤	﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ ضِيفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾...﴾
٢٧٠	٢٩	﴿إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ﴾
٢٧١	٤٠	﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾
١٤٤	٤٢	﴿مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾
		سورة الطور
١٣٣	١٣	﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٠٦	٢١	﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾
		سورة القمر
١٠٥	٣١	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَخِيطِ﴾
١٤٣	٤٩	﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾
		سورة الرحمن
٧٠	٢-١	﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾
١٦٦	٩-٧	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ...﴾
٧٩	١٣	﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
١٦٥	١٥-١٤	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ...﴾
		سورة الواقعة
١٢٩	٢٦-١٠	﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُبُونَ...﴾
١٠٩	١٩	﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾
١٢٩	٤٠-٢٧	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ...﴾
١١٩	٣٣-٣٢	﴿وَفَكَهْمَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾
١٢٩	٥٦-٤١	﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾
١٣٠	٨٩-٨٨	﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾
١٣١	٩١-٩٠	﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾
		سورة المجادلة
٢٤١	٧	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
		سورة الممتحنة
١٤١	١٠	﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		سورة الصف
٩٦	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾
٩٦	٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾
		سورة التغابن
٩٤	٧	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾
٩٣	٩	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ ﴾
		سورة الطلاق
٩٤	١٠	﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾
٩٣	١١	﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾
		سورة التحريم
١١٣	٩	﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلنَّبِيِّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾
		سورة الملك
٢٤١	٥	﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾
		سورة القلم
٧٧	١	﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾
		سورة الحاقة
١٠٥	٥	﴿ فَأَمَّا نُمُودًا فَأَهْلِكُكُمْ بِالطَّاعِيَةِ ﴾
١٥٦	٥٢-٣٨	﴿ فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ... ﴾
		سورة المعارج
١٩٣	١٤-١١	﴿ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ يُدْعَى الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ... ﴾
١٩٣	٢١-١٩	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا... ﴾
		سورة نوح

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤١	١١	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾
٢٦٨	١٧	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾
		سورة المدثر
٢٠٦	٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
٢٤٨	٤٠-٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾
		سورة القيامة
١٢٦	٣٢-٣١	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى...﴾
		سورة الإنسان
٨٨	٢	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾
١٩٠	٣	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
١٢٠	١٢	﴿وَجَزَّوهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾
١١٩	١٣	﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾
١٢٠	١٤	﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَمْطُهَا نَدِيلًا ﴿١٤﴾﴾
١٢١	١٥	﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾﴾
١٢١	١٦	﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾
١٢١	١٧	﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾
١٢١	١٨	﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾
١٢١	١٩	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾
١٢١	٢٠	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَحْمًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾
١٢١	٢١	﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾
		سورة المرسلات

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٠	١٥	﴿وَبَلِّغْهُمْ لِقَابِ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَاذِبُونَ﴾
		سورة النازعات
١٦٧	٢٦	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾
١٩٤	٣٠-٢٧	﴿عَٰنَتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ ...﴾
١٩١	٣٤	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾
		سورة عبس
١٩٢	٢-١	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ...﴾
٢٧٣	٣٢-٢٤	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ ...﴾
٢٧٣	٣٢-٣١	﴿وَفَنَكِهَةَ وَأَبَّى ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكَ وَلَا تَتَعَمَّكُ﴾
١٩١	٣٣	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَّةُ﴾
١٩٣	٣٧-٣٣	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ...﴾
		سورة التكوير
١٩٢	٦	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾
		سورة الانفطار
١٩٢	٣	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾
٦٦	١٩-١٧	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ...﴾
		سورة المطففين
٨١	١	﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾
		سورة الانشقاق
٩٢	١	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾
٩٢	٢٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾
		سورة الطارق

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٦٢	٧-٥	﴿ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ... ﴾
		سورة الأعلى
٦٢	١٩-١٤	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ... ﴾
		سورة العاشية
١٢٠	١١-٨	﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ... ﴾
		سورة الليل
١٢٧	٥	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى ﴾
		سورة التين
٩٢	٦	﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

فهرس الأشعار

الصفحة	بيت الشعر
٤٩	لعمرو مع الرّمضاء والنّار تلتظي ** أرق وأحفى منك في ساعة الكرب
٣٤	وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها ** تصفق في راووقها حين تقطب
٣٥	وإجانة ربا السرور كأنها ** إذا غمست فيها الزجاجاة كوكب
٣٨	كليني لهمّ يا أميمة ناصب ** وليل أفاسيه بطيء الكواكب تطاول حتى قلت ليس بمنقض ** وليس الذي يرعى النجوم بأيب
٣٩	أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب ** وردوا رقادى فهو لحظ الحباب فإن نهاري ليلة مدلهمة ** على مقلة من فقدكم في غياهب
٥٣	فغض الطرف إنك من نمير ** فلا كعباً بلغت ولا كلابا
٢٨	مَنْ راقب النَّاسَ لَمْ يظفر بحاجته ** وفاز بالطيّبات الفاتك اللّهج
٤٠	لكل قبيلة ثبج وصلب ** وأنت الرأس أول كل هاد
٤٤	وكم أحرزت منكم على قبح قدها ** صروف النوى من مرهف حسن القد
٤٥	والعيش خير في ظلا *** ل النوك ممن عاش كدا
٤٨	شتان ما يومي على كورها ** ويوم حيان أخي جابر
٤٥	إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ** كما انتقض العصفور بالله الفطر
٥٣	إذا أبصرتني أعرضت عني ** كأن الشمس من حولي تدور
٤٠	فأنت رأس قریش وابن سيدها ** والرأس فيه يكون السمع والبصر
٢٨	مَنْ راقب النَّاسَ مات غمًا ** وفاز باللذة الجسور
٤١	فاسقط علينا كسقوط النوى ** ليلة لا ناه ولا زاجر

الصفحة	بيت الشعر
٤١	عين الأمير هي الوزى ** ر وأنت ناظرها البصير
٥٢	يعد الناسون إلى تميم ** بيوت المجد أربعة كبارا يعدون الرباب وآل سعد ** وعمراً ثم حنظلة الخيارا ويهلك بينها المرثي لغواً ** كما ألغيت في الدية الحوارا
٤٢	ولما تملأ من سكره ** فنام ونامت عيون العسس دنوت إليه على بعده ** دنو رفيق دري ما التمس أدب إليه دبيب الكرى ** وأسمو إليه سمو النفس
٣٢	ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا ** وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
٤١	سموت إليها بعدما نام أهلها ** سمو حباب الماء حلا على حال
٤٨	كأني لم أركب جواداً للذة ** ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال ولم أسبأ الرق الروي ولم أقل ** لخلي كرى كره بعد إفعال
٤٩	كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخلي كرى نفسي عن رجاليا ولم أسبأ الرق الروي ولم أقل لأيسار صدق: أعظموا ضوء نارياً
٢٣٤	ومعي أبوس للبئس كأنه ** روق بجهة ذي نعاج مجفل
٢٠٧	أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ** زهينة رمس ذي ثراب وجندل
٤٣	وإذا المطي بنا بلغن محمداً ** فظهورهن على الرجال حرام قربنا من خير من وطئ الحصى ** فلها علينا حرمة وذمام
٤٣	وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ** ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
٣٦	وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ** ورجل رمت فيها يد الحدان
٤٣	إذا بلغتني وحملت رحلي ** عرابة فاشركي بدم الوتين
٤٣	أقول لناقتي إذا بلغتني ** لقد أصبحت مني باليمين

الصفحة	بيت الشعر
٤٣	فلم أجعلك للغربان نحلاً ** ولا قلت «اشريقي بدم الوتين
١٠٧	ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي ** ولا تبقي خمر الأندرينا
٣٣	إن الذين غدوا بلبك غادروا ** وشلا بعينك لا يزال معيننا
٣٤	غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقيننا؟
٢٣٦	أَكَلْتُ حَنيفَةً رَبَّهَا ** زَمَنَ النَّقْمِ وَالْمَجَاعَةِ لَمْ يَخْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ ** سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالنَّبَّاعَةِ
٥٣	إذا ما رأني مقبلاً غض طرفه ** كأن شعاع الشمس دوني مقابله
٢٣٣	وعيرها الواشون أني أحب ** وتلك شكاة ظاهر عنك عارها إِلْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لُبُوسَهَا ** إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا
٥٣	إذا ما رأوني طالعاً من ثنية ** يقولون: من هذا؟ وقد عرفوني
٥١	وشمائلي ما قد علمت ** وما نَبَحْتُ كلابُكِ طارقاً مثلي
٣٩	كتمت حبك حتى منك تكرمه ** ثم استوى فيك إسراري وإعلاني لأنه زاد حتى فاض عن جسدي ** فصار سقمي به في جسم كتماني
٣٩	لقد كنت أعلو حب ليلي فلم يزل ** بي النقض والإبرام حتى علانيا

فهرس المصادر والمراجع

** القرآن الكريم

- ١- إبراز المعاني من حرز الأمانى فى القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، ت ٦٦٥هـ - شركة مكتبة مصطفى البابى الحلبي، مصر، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض.
- ٢- أثر التناص فى الشعر، لفاضل الدليمى، دار الثورة، الموصل، ط ١، ١٩٩٥م.
- ٣- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٤- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، ت ٥٤٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- ٥- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازى الجصاص أبو بكر، ت ٣٧٠هـ، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى.
- ٦- أخلاق الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد، لأبى حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي التوحيدى، ت ٣٦٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل المنصور.
- ٧- أدب الكاتب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٩٨٢م.
- ٨- إرشاد الأريب، ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامى - بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٣، تحقيق: إحسان عباس.
- ٩- أسرار التكرار فى القرآن، لبرهان الدين الكرمانى، دار الفضيلة، المحقق: عبد القادر أحمد عطا.
- ١٠- أسلوب التقابل فى القرآن، عمارى عزالدين، جامعة بلحاج لخضر، الجزائر، 2010م.
- ١١- إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط (٤).
- ١٢- أصول البزدوى، كنز الوصول الى معرفة الأصول، علي بن محمد البزدوى

- الحنفي، ت ٣٨٢ هـ، مطبعة جاويد بريس، كراتشي.
- ١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن، الشيخ محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- ١٤- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، طبعة عالم المعرفة، الكويت.
- ١٥- أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر)، دار الحديث، القاهرة.
- ١٦- آفاق التناصية، ميشال أوتان، ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- ١٧- الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- ١٨- الإتيان في علوم القرآن، اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: ١٩/٥/٩١١ هـ، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المنذوب.
- ١٩- الإحالة في نحو النص دراسة في الدلالة والوظيفة، د. أحمد عفيفي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٠- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، د. محمد محمد يونس علي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المجلد ٦، العدد ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢١- الإصابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت، ١٤١٢ - ١٩٩٢، تحقيق علي محمد البجاوي.
- ٢٢- الأصول، دراسة أبتيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، نحو، فقه لغة، بلاغة، د. تمام حسان.
- ٢٣- الإعجاز العددي في القرآن، عبدالرزاق نوفل، ديوان المطبوعات الجامعية،

١٩٨٩م.

٢٤- الإعجاز والإيجاز، لأبي منصور عبد الملك إسماعيل الثعالبي، دار الغصون، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٥- الأعلام، للزركلي: خير الله، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٧)، ١٩٨٦م.

٢٦- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٧- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل القالي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ٢٠٠١/٠٩/٠١، ترجمة، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، سيد بن عباس الجليمي.

٢٨- الأمثال لابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش.

٢٩- الإنباه على قبائل الرواة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري الرواة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الأنباري - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٤، ١٩٥٣م.

٣١- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابن الأنباري: أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣٢- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٩٨٥م، المحقق: إبراهيم شمس الدين.

٣٣- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

- ٣٤- البداية والنهاية، ابن كثير، دار هجر، المحقق: عبد الله عبد المحسن التركي.
- ٣٥- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د.جمال عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٣٦- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: د.أحمد أحمد بدوي، د.حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- ٣٧- البديع في نقد الشعر، لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني، دار الكتب العلمية.
- ٣٨- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت ط (١)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ٣٩- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت ٧٩٤هـ- دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٤٠- البرهان، برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانلي، مركز الكتاب للنشر - القاهرة، المحقق: د. السيد الجميلي.
- ٤١- البناء العروضي للقصيد العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ٤٢- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٤٣- البيان في روائع القرآن، ط عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٤٤- البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الخانجي، مصر ١٤١٨ - ١٩٩٨، المحقق: عبد السلام محمد.
- ٤٥- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٤٦- التحرير والتوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- ٤٧- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب.
- ٤٨- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ط٦، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩م.
- ٤٩- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، طبعة دار عمار، عمان الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ٥٠- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥١- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: 1383هـ.
- ٥٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب فخر الدين، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨١م.
- ٥٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- ٥٤- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م، مج١.
- ٥٥- التكامل السياقي، عبدالوهاب أبوصفية دار عمار للنشر والتوزيع.
- ٥٦- التلخيص، الخطيب القزويني، دار الفكر العربي القاهرة.
- ٥٧- التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال نجم، ط١، جامعة الكوفة، ٢٠٠٩م.
- ٥٨- التناسق القرآني في شعر أمل دنقل. د. عبد العاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية.
- ٥٩- التناسق في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، ط (١)، ٢٠٠٩م، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
- ٦٠- التناسق في شعر المقاومة، مجاهد المصري، دار اليرموك، عمان، ط١، ١٩٩٨م.
- ٦١- التناسق: النظرية والممارسة، مصطفى بيومي، نادي الرياض الأدبي، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٦٢- الثقات، محمد بن حبان التميمي البستي، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر

- آباد، الهند، ط (١)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ٦٣- الجملة في الشعر العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٦٤- الحذف والتقدير عند سيبويه، رسالة دكتوراه، إعداد: فكري محمد أحمد سليمان، إشراف أ.د. محمد عوني عبدالرؤوف، كلية الألسن، جامعة عين شمس، رقم (٦٣٩٠)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- ٦٥- الحلل في شرح أبيات الجمل، لابن السيد البطليوسي، تحقيق: د. مصطفى إمام، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط(١)، ١٩٧٩م.
- ٦٦- الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن البصري الوفاة: ٦٥٩هـ، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد.
- ٦٧- الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م، الطبعة الأولى.
- ٦٨- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز بن يحيى الكناني، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- ٦٩- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الوفاة: ٢٥٥هـ، دار النشر: دار الجيل، لبنان، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- ٧٠- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
- ٧١- الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٧٢- الدرر الكامنة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين، دائرة المعارف العثمانية، تصحيح الشيخ عبدالرحمن المعلمي.
- ٧٣- الدرر النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، أشرف عبد البديع عبد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ٧٤- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة:

- الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، المحقق: أحمد شاكر.
- ٧٥- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ/١٩٩٢، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.
- ٧٦- السرقات الأدبية
- ٧٧- الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، محمد بنيس، الشعر المعاصر، درا توبقال، المغرب، ط (١)، ١٩٩٠م.
- ٧٨- الشعر المغربي المعاصر، د. محمد بنيس.
- ٧٩- الشعر والشعراء، الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي، ط (٢)، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- ٨٠- الصناعتين، أبو هلال العسكري، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٢، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٨١- الظاهرة الجمالية في القرآن، نذير حمدان، دار المنايرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م.
- ٨٢- العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية بكلية دار العلوم، توصيات المؤتمر، دار الهانئ للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.
- ٨٣- العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط (٣)، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.
- ٨٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د. صلاح الدين الهواري، د. هدى عودة، مكتبة دار الهلال، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- ٨٥- العمدة، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، محققه: د: عبد الحميد هنداوي.
- ٨٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٨ هـ/

١٩٨٨م.

- ٨٧- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨ هـ، دار المعرفة، لبنان، الطبعة: الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٨٨- الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص، ت ٣٧٠ هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي.
- ٨٩- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت ٤٦٢ هـ- دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي.
- ٩٠- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الحادية عشر.
- ٩١- الكتاب، لسيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٩٢- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ت ٤٢٧ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
- ٩٣- اللباب في علوم الكتاب، الحنبلي الدمشقي، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي أبو حفص، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ - ١٩٩٨، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض.
- ٩٤- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.
- ٩٥- المؤلف والمختلف للحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: ف. كرنكو، ط القدسي، القاهرة، ١٣٥٤ هـ.
- ٩٦- المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف، دار الفارس للنشر والتوزيع.

- ٩٧- المثل السائر،: ضياء الدين ابن الأثير، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- ٩٨- المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- ٩٩- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١، تحقيق/عبد الحميد هنداوي.
- ١٠٠- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، مصر، وطبعة أخرى، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ٢٠٠٠م.
- ١٠١- المحيط في اللغة، للصاحب كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ١٠٢- المخصص، لابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠٣- المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، إبريل، ١٩٩٨م.
- ١٠٤- المزهرة في علوم العربية وأنواعها، للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، عيسى الحلبي، القاهرة.
- ١٠٥- المساعد في تسهيل الفوائد، الامام بهاء الدين بن عقيل، منشورات مركز احياء التراث الاسلامي، 1422 هـ / ٢٠٠١م. تحقيق: محمد كامل بركات
- ١٠٦- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط ٢.
- ١٠٧- المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة.
- ١٠٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الشعب، ١٣٥٨هـ/١٩٣٨م.

- ١٠٩- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار - دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- ١١٠- المعنى في البلاغة العربية، د.حسن جاد طبل - الطبعة الأولى- دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٨م.
- ١١١- المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط١، المغرب، ١٩٩٩ م.
- ١١٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني- دار المعرفة، لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- ١١٣- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاکر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٦).
- ١١٤- المقتضب، للمبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
- ١١٥- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١١٦- المنصف للسارق والمسروق منه، أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع، منشورات جامعة قاريونس الطبعة الأولى (١٩٩٤م)، تحقيق: عمر خليفة بن إدريس.
- ١١٧- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط (١)، ١٩٩٤م.
- ١١٨- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي (إبراهيم بن موسى)، ضبطه محمد عبدالله الرزاز، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ١١٩- الموشح للمرزباني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ١٢٠- الموقف الثقافي ع/١٧، ١٩٩٨م، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ١٢١- الميزان في تفسير القرآن، محمد الطبطبائي ط١، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣م.

- ١٢٢- النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة.
- ١٢٣- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٤.
- ١٢٤- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ١٢٥- النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبداللطيف، ط١، ١٩٨٣.
- ١٢٦- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت٤٥٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- ١٢٧- الواضح في مشكلات شعر المتنبي، لعبد الله بن عبد الرحمن الاصبهاني، دار الكتب العلمية.
- ١٢٨- الوافي بالوفيات، للصفدي، طهران، إيران، وطبعة أخرى، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، ت٤٦٨هـ- دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
- ١٣٠- الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت٤٧٨هـ، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.
- ١٣١- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة.
- ١٣٢- أمثال العرب، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، ت١٦٨هـ.
- ١٣٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ.
- ١٣٤- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف، دار

النهضة، مصر.

١٣٥- بصائر ذوي التمييز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦ - ١٩٩٦، المحقق: محمد علي النجار - عبد العليم الطحاوي.

١٣٦- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، لونغمان، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والاداب، الكويت ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.

١٣٧- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٣٨- تاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٣٩- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي ١٤٢٢ - ٢٠٠١، المحقق: بشار عواد معروف

١٤٠- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم الشافعي، ت ٥٧١ هـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين العمري.

١٤١- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٤٢- تحرير التعبير، لابن أبي الإصبع المصري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٤٣- تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٧، المحقق: أسعد محمد الطيب.

١٤٤- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤٥- تفسير البحر المحيط،: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ٢٠٠١ م تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض.

- ١٤٦- تفسير البغوي، البغوي، ت ٥١٦هـ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
- ١٤٧- تفسير البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، دار الفكر، بيروت.
- ١٤٨- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ت ٧٢٥هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، الطبعة: بدون، تحقيق: بدون.
- ١٤٩- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، ت ٣٦٧هـ، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
- ١٥٠- تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ت ٤٨٩هـ، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.
- ١٥١- تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، ت ٣٩٩هـ، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط ١، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز.
- ١٥٢- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت ٢١١هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.
- ١٥٣- تفسير القرطبي، الإمام أبو عبدالله القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، المحقق: هشام سمير البخاري.
- ١٥٤- تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، ت ٤٦٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.
- ١٥٥- تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- ١٥٦- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.
- ١٥٧- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ت ١٥٠هـ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.
- ١٥٨- تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ تحقيق: عبد الله محمد الدرويش.
- ١٥٩- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، طبعته دار المعارف النظامية - الهند سنة ١٣٢٥.
- ١٦٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف المزى، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط (٤)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ١٦١- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١)، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ١٦٢- تهذيب تاريخ ابن عساكر، لابن بدران، المكتبة العربية، دمشق، ط (١).
- ١٦٣- تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
- ١٦٤- ثلاث رسائل في الإعجاز، الخطابي، دار المعارف، مصر - القاهرة 1976، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام .
- ١٦٥- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.
- ١٦٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٦٧- جمهرة أشعار العرب، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي الهاشمي دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م.

- ١٦٨- جمهرة الأمثال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، المحقق: أحمد عبد السلام - محمد سعيد بن بسيوني زغلول أبو هاجر.
- ١٦٩- جمهرة الأنساب (جمهرة أنساب العرب)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- ١٧٠- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، المحقق: رمزي منير بعلبكي.
- ١٧١- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٢ - ١٩٨٢، تحقيق: سعيد الأفغاني.
- ١٧٢- خزانة الأدب للبغدادي. عبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ - ١٩٩٧، المحقق: عبد السلام محمد هارون.
- ١٧٣- دائرة المعارف، للبستاني، دار الحياة، بيروت.
- ١٧٤- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، ت ٧٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.
- ١٧٥- دراسات في اللغة، إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦١.
- ١٧٦- دراسة المعني عند الأصوليين، د. طاهر سليمان حمودة: الدار الجامعية للنشر، إسكندرية، د. ت.
- ١٧٧- درة التنزيل، الخطيب الإسكافي، معهد البحوث العلمية بمكة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م، تحقيق: محمد مصطفى أيدين.
- ١٧٨- درة الغواص، الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ١٧٩- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، جدة، ١٤١٤هـ.

- ١٨٠- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، دار المدني بجدة - السعودية، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٨١- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: أ. محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.
- ١٨٢- دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، عبد الوهاب رشيد أبو صفية الحارثي، عمان: الأردن، 1409 هـ-١٩٨٩م.
- ١٨٣- دليل الناقد الأدبي، ميجان الروبلي وسعد البازعي، دار العبيكان، ط١، الرياض، ١٩٩٦م.
- ١٨٤- دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ كمال بشر.
- ١٨٥- ديوان ابن الرومي، لابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨٦- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ١٨٧- ديوان الأعشى الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ١٨٨- ديوان الحارث بن حلزة، الحارث بن حلزة، دار الكتاب العربي، ١٤١١/١٩٩١، المحقق: إميل بديع يعقوب.
- ١٨٩- ديوان الحسن بن هانئ، غريغور شولر، منشورات المعهد الألماني للأبحاث.
- ١٩٠- ديوان الحماسة، شرح الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي، مطبعة التوفيق، مصر، ١٣٢٢هـ.
- ١٩١- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ - ١٩٩٤، المحقق: أحمد حسن بسج.
- ١٩٢- ديوان امرئ القيس، عناية مجموعة المحققين بدار الكتب العلمية بيروت.
- ١٩٣- ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد طه، دار المعارف، القاهرة.

- ١٩٤- ديوان ذي الرمة، عالم الكتب، لبنان، بيروت.
- ١٩٥- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى (برواية أبي بكر الوابي) - مجنون ليلى/قيس بن الملوح، دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٩٦- ديوان كثير عزة، شرحه: عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ط (١)، ١٩٩٤م.
- ١٩٧- ديوان وضاح اليمن، لوضاح اليمن، دار الكتب العلمية.
- ١٩٨- رسالة التوابع والزوابع، ابن شهيد الأندلس، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ١٩٩- رغبة الآمل من كتاب الكامل، وهو شرح لكتاب الكامل للمبرد، لسيد بن علي المرصفي، طبع بمصر، ١٣٤٨هـ.
- ٢٠٠- روح المعاني، محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، إدارة الطباعة المنيرية - تصوير دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠١- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، ت: ٦٢٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ، ط ٢، تحقيق/ د: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.
- ٢٠٢- زهر الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل.
- ٢٠٣- سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، ت: ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ط ١.
- ٢٠٤- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط(٣)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٠٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت ٧٦٩هـ، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٢٠٦- شرح شواهد المغني، للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٢٠٧- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

- ٢٠٨- صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری أبو الحسین، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابی الحلبي وشركاه، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٠٩- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢١٠- طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان
- ٢١١- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار المدني، جدة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، تحقيق: محمود محمد شاكر.
- ٢١٢- ظواهر فنية في لغة الشعر، د. علاء رمضان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٦م.
- ٢١٣- ظواهر نحوية في الشعر الحر (دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور) د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ٢١٤- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢١٥- علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، د. جميل عبد المجيد، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٣٢، العدد ٢، أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٣م.
- ٢١٦- علم النص، جوليا كريستيفا، تر: محمد البقاعي. عن كتابه (دراسات النص والتناصية).
- ٢١٧- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام، ١٩٥٦م.
- ٢١٨- غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، ت ٣٣٠هـ، دار قتيبة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران.
- ٢١٩- فتح القدير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الوفاء،

- 1415هـ/ ١٩٩٤م، المحقق: الدكتور عبد الرحمن عميرة.
- ٢٢٠- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، ت ٢٤٣هـ، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي.
- ٢٢١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
- ٢٢٢- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ١٩٩٥م.
- ٢٢٣- كتاب الأوائل، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني، ت ٣١٨هـ، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري.
- ٢٢٤- كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لابن جماعة الكفاني، دار الوفاء، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف
- ٢٢٥- لباب الآداب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن ليج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٢٢٦- لذة النص، رولان بارت، مركز الإنماء الحضاري ٢٠٠٢، ترجمة: منذر عياشي.
- ٢٢٧- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، بتحقيق: عبد الله على الكبير وآخرون. ط دار المعارف.
- ٢٢٨- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٨٦م-١٤٠٦هـ.
- ٢٢٩- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- ٢٣٠- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. د. محمد خطابي، ط ١، المركز الثقافي العربي.
- ٢٣١- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢،

١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٣٢- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي الشيباني، المعروف بثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٥)، ١٩٨٧م.

٢٣٣- مجلة الأقلام، ع/٤، ١٩٩٥/٦/٥م، دار الشؤون الثقافية العامة.

٢٣٤- محاضرات الأدباء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٣٥- مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراندي وولفجانج دريسلر، د.إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٣٦- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، ترجمة: د.سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٣٧- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.

٢٣٨- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٢٣٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، ت١٠١٤هـ، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

٢٤٠- معاني الأبنية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار الأردن، الثانية (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢٤١- معاني القرآن، الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، دار عالم الكتب، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٤٢- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة - مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٢٤٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق:

- محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.
- ٢٤٤- معترك الأقران، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٤٥- معجز أحمد، أبو العلاء المعري، بدار المعارف، بتحقيق د. عبد المجيد دياب.
- ٢٤٦- معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي - بيروت. الطبعة الأولى - ١٩٩٣، تحقيق: إحسان عباس.
- ٢٤٧- معجم الشعراء، للمرزباني، دار قباء بمصر، ١٣٥٤هـ.
- ٢٤٨- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط (١)، ١٩٩١م.
- ٢٤٩- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان ط٦، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٢٥٠- ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، المحقق: سعيد الفلاح.
- ٢٥١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة.
- ٢٥٢- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، ت ١٧٩هـ، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٥٣- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، د. تمام حسان، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٨م.
- ٢٥٤- نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، ت ٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ.
- ٢٥٥- نحو أجزومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو/أغسطس ١٩٩١م.
- ٢٥٦- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- ٢٥٧- نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي

- العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٣ م.
- ٢٥٨- نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- ٢٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الوفاة: ٨٥٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ٩٨/٥.
- ٢٦٠- نفح الطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨، تحقيق: د. إحسان عباس.
- ٢٦١- نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، مصر، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.
- ٢٦٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، طبعه مصر سنة ١٩٢٤.
- ٢٦٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- ٢٦٤- وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار صادر - بيروت - ١٩٧٢ م، المحقق: إحسان عباس.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	المحتويات
أ - د	المقدمة
هـ	- أسباب اختيار هذا الموضوع
و	- أهداف الدراسة
ز	- منهج الدراسة
ز	- خطة البحث
ح	- الدراسات السابقة
٧١ - ١	الفصل التمهيدي
٢	المبحث الأول: نشأة المصطلح وتطوره
٥	- جيرار جينيت
٦	- رولان بارت
٨	المبحث الثاني: ملامح المصطلح ومضامينه
٨	- التناص في اللغة
٨	- وفي المصطلح
٩	- آليات التناص
١١	- فوائد التناص
١١	- درجات التناص
١٤	- المفهوم الكلي للتناص عند الباحث
١٥	المبحث الثالث: تقسيمات التناص ومستوياته
١٧	- التقسيمات الثنائية:
١٧	- التناص الكلي والجزئي
١٧	- التناص الداخلي والخارجي
١٨	- التناص المقصود وغير المقصود
١٩	- التناص الظاهر والخفي
٢٠	المبحث الرابع: تجليات التناص في التراث العربي
٢٠	- ظواهر تناصية تراثية

رقم الصفحة	المحتويات
٢١	- ابن سلام رائد التناص
٢٢	- حضور التناص عند أبي هلال العسكري
٢٣	- براءة التناص من التلاص
٢٤	- ظروف نشأة المصطلح حتمت
٢٥	- التوسع في إطلاق المصطلح وآثاره
٢٦	- مصطلح ربما كان سيئ السمعة
٢٧	- وعي الأسلاف بتفاوت دلالة المصطلح
٢٨	- مراتب الشعراء في التأثر
٢٩	الفروق بين التناص والسراقات
٣١	أولاً: مصطلحات لا تنتمي إلى التناص، ومنها:
٣١	- السرقة
٣١	- الغصب
٣١	- الإغارة
٣٢	- الاختلاس
٣٣	- الاضطراب
٣٣	- الانتحال
٣٣	- الادعاء
٣٤	- الموارد (توارد الخزاير)
٣٤	- الاجتلاب
٣٥	ثانياً: مصطلحات تنتمي إلى التفاعل النصي، مثل:
٣٥	- السلخ
٣٦	- الاهتدام
٣٦	- الموازنة
٣٦	- التضمين
٣٧	- الاقتباس
٣٨	- الإمام
٣٩	- التعريض

رقم الصفحة	المحتويات
٣٩	- التوليد اللفظي
٤١	- التوليد المعنوي
٤٢	- التكرار
٤٣	- التوسع
٤٤	- الاحتباك
٤٦	- الإيداع
٤٧	- الاستعانة
٤٨	- الاحتذاء
٤٩	- التلميح
٥٠	- كشف المعنى
٥١	- المجدود
٥١	- المرافدة
٥٢	- الالتقاط والتلفيق
٥٣	- الالتقاط والتغليظ
٥٤	تجليات التناس في صور أخرى
٥٤	- الاتفاق
٥٤	- التعريف
٥٤	- الترجمة
٥٥	- النقل
٥٥	- المحاكاة
٥٥	- الإحالة
٥٦	المبحث الخامس: التناس بين آي القرآن
٥٦	- التناس القرآني بين التطبيق والتنزيه
٥٦	- إشكالان يواجهان دارس التناس في القرآن
٥٩	- التناس القرآني بين الداخلي والخارجي
٦٤	- مقاصد التناس بين آي القرآن وغاياته
٧٢ - ١٤٨	الفصل الأول: أنماط التناس بين آي القرآن الكريم

رقم الصفحة	المحتويات
٧٥	المبحث الأول: التناص التطابقي
٧٥	- صور التناص التطابقي:
٧٥	- التناص بين مطالع الصور
٧٩	- التناص بين المقاطع المتكررة
٨١	- التطابق بين المقاطع دون تكرار
٨٢	- التطابق في الفواصل
٨٥	المبحث الثاني: التناص التشابهي
٨٥	- صور التناص التشابهي:
٨٥	- التقديم والتأخير:
٨٥	- المتشابه بعكس النظم
٨٦	- المتشابه بعكس الترتيب
٨٩	- التشابه مع التقديم والتأخير واستبدال الفعل
٩٠	- ما يشتهه بالزيادة والحذف:
٩٠	- زيادة حرف
٩٢	- زيادة المبنى في الفعل
٩٣	- زيادة كلمة أو أكثر
٩٤	- التشابه مع اختلاف التعريف والتنكير:
٩٧	- التناوب في التعريف بين (أل) والإضافة
٩٨	- التشابه بين الإظهار والإضمار:
٩٨	- اختلاف الضمائر
١٠٠	المبحث الثالث: التناص التكاملي
١٠٠	- صور التناص التكاملي:
١٠٠	- التكامل القصصي
١٠٤	- الموضوع الثاني
١٠٦	- تكامل القصص (العام)
١٠٧	- التكامل في التدرج التشريعي
١٠٧	- تكامل التشريع في تحريم الخمر

رقم الصفحة	المحتويات
١١١	- التدرج في تشريع القتال
١١٥	- صور التناص التكاملي:
١١٥	- تكامل أطوار الخلق
١١٧	- تكامل الوصف (وصف الجنة والنار)
١٢٢	- تكامل درجات التحدي
١٢٤	المبحث الرابع: التناص التقابلي
١٢٤	- التقابل بين المعارضة وحوارية باختين
١٢٥	- جمالية التقابل في القرآن
١٢٥	- حقيقة التقابل في القرآن
١٢٦	- التقابل اللفظي
١٢٦	- تقابل المعنى
١٢٨	- صور التناص التقابلي في القرآن:
١٢٨	- سور مبنية على التقابل
١٣١	- تقابل المعاني في الآيات
١٣٧	المبحث الخامس: تناص التفاعل الخفي
١٣٧	- صور التناص التفاعلي:
١٣٨	- التناص التفاعلي كأداة لحسم الخلاف التفسيري
١٤٠	- التناص التفاعلي دافعاً لوهم الاضطراب عن آي الكتاب.
١٤٢	- التناص التفاعلي سلاحاً في المناظرات
١٤٩ - ٢٠٢	الفصل الثاني: علاقة التناص بالمعايير النصية
١٥٠	المبحث الأول: علاقة التناص بالسبك
١٥٠	- السبك
١٥١	- حضور المصطلح في التراث
١٥٢	- الإحالة
١٥٧	- صور التناص في الإحالات القرآنية:
١٥٧	- إحالات فريدة

رقم الصفحة	المحتويات
١٥٧	- الإحالة الموصولية
١٥٨	- الإحالة الإشارية
١٥٩	- الإحالة الضميرية
١٦٠	- التكرار
١٦١	- فوائد التكرار
١٦٦	- التكرار مع اختلاف المرجع
١٦٦	- تكرار المرادف
١٦٧	- تكرار الشهر واليوم والأيام
١٦٨	- العيون والأعين
١٦٨	- الفعلان
١٧٢	المبحث الثاني: علاقة التناص بالسياق
١٧٧	- السياق القرآني
١٧٨	- الشافعي أول من استخدم مصطلح السياق
١٧٨	- دور السياق في فهم النص عند الشاطبي
١٨٠	- السياق القرآني والتناص
١٨١	- أهم محددات استخدام السياق القرآني
١٨٢	- السياق الداخلي
١٨٣	- مناسبة مطالع السور لسياقها اللغوي الداخلي
١٨٤	- السمة التعبيرية تتأثر بالسياق وتلحظ عن طريق التناص
١٨٦	- الاستعانة الوحيدة بـ (الرحمن) في القرآن
١٩٠	- أثر السياق في الحذف
١٩١	- تناوب الكلمات بين الآيات المتناصّة
١٩٢	- ثانياً: السياق الخارجي
٢٠٠	- اختلاف الصيغ باختلاف السياق
٢٠٣ - ٢٨٤	الفصل الثالث أثر التناص بين آي القرآن الكريم النحوي والإدلاي
٢٠٤	المبحث الأول: التّرجيحُ بينَ الوجوهِ الإعرابيَّةِ وتَقديرُ المَحذوفِ

رقم الصفحة	المحتويات
٢٠٦	- صيغة (فعيل) بمعنى مفعول بين التذكير والتأنيث
٢٠٩	- الترجيح الإعرابي في التناص التكاملي
٢١١	- الترجيح بين معاني الفاء
٢١٣	- الواو ليست للترتيب
٢١٤	المبحث الثاني: تقدير المحذوف
٢١٤	- تقدير المحذوف ودلالة لفظه
٢١٧	- دلالة تقدير المحذوف
٢٢٠	- بين النذارة والبشارة
٢٢٤	- حذف الباء وإثباته
٢٢٥	المبحث الثالث: رفع الإبهام
٢٢٥	- كلمة سواء
٢٢٦	أولاً: رفع الإبهام المعجمي
٢٢٦	- الأرض بين السكون والخشوع
٢٢٨	- إقامة الله (جل جلاله) الحجة على خلقه بإرسال الرسل
٢٢٩	- عمل كفار الجن لسليمان (عليه السلام)
٢٣٠	- خبائث قرية سدوم قوم لوط
٢٣١	- مفاتيح الغيب، كنهها وطبيعتها
٢٣٣	- تعليم داود صنعة لبوس لقومه
٢٣٥	- الحسنة بعشر أمثالها
٢٣٦	- الأصنام والأوثان بين الاختلاف والائتلاف
٢٣٨	- حسنة إبراهيم (عليه السلام) في الدنيا
٢٤٠	ثانياً: رفع الإبهام بين العام والخاص
٢٤٠	- بين "السماء" و"السموات"
٢٤٣	- غفران الذنوب بين الإطلاق والتقييد
٢٤٤	- إنظار الله إبليس
٢٤٥	- موالاتة الكافرين
٢٤٦	- فئات الأعراب من حيث الإيمان وعدمه

رقم الصفحة	المحتويات
٢٤٨	- حبس المرء في النار بكسبه
٢٤٨	- المحرم تعاطيه من الدم
٢٥٠	- ما أهل لغير الله به
٢٥١	- الإشراف بالجن
٢٥٤	المبحث الرابع: التناظر والعدول
٢٥٥	- علماؤنا الأقدمون والعدول
٢٥٧	أولاً: العدول التركيبي
٢٥٧	- العدول من الفعل إلى الاسم
٢٥٧	- إخراج الله الحي والميت
٢٥٩	- إهلاك القرى
٢٦٠	- الإنفاق والإيمان
٢٦٤	- دلالة الاستغفار بين الاسمية والفعلية
٢٦٥	- دلالة التسبيح بين الاسمية والفعلية
٢٦٦	- دلالة الإضلال بإضافتها إلى الله أو الشيطان
٢٦٧	- العدول من مصدر الفعل إلى مصدر فعل آخر
٢٦٧	- أضل ضلالاً
٢٦٨	- أنبت نباتاً
٢٦٩	- كلم تكلماً
٢٦٩	- العدول من صيغة إلى أخرى بما يقتضيه المقام
٢٦٩	- العدول من فعيل إلى فعال
٢٧١	- العدول من اسم الفاعل إلى الفعل الماضي
٢٧٣	ثانياً: العدول الترتيبي
٢٧٣	- العدول في الترتيب بين الإنسان والأنعام
٢٧٤	- العدول في (من إملاق - خشية إملاق)
٢٧٤	- العدول الترتيبي بين (القلب والسمع)
٢٧٧	ثالثاً: التعريف والتنكير
٢٧٧	- المناسبة المعنوية لتعريف (الكذب) وتنكيره

رقم الصفحة	المحتويات
٢٧٨	- المناسبة المعنوية لتعريف (الحق) وتنكيره
٢٨٠	- تعريف (البلد) وتنكيره
٢٨١	- تعريف (السلام) وتنكيره
٢٨٢	- تعريف (السميع العليم) وتنكيره
٢٨٨-٢٨٥	الخاتمة
٢٨٦	أولاً: النتائج
٢٨٨	ثانياً: التوصيات
٣٤٤-٢٨٩	الفهارس الفنية
٣٤٥	فهرس الموضوعات